
القصص القرآني
عبر وعظات وفوائد إيمانية
الله محمد
جمع وترتيب
الفقير إلى الله تعالى
محمد محمود حماد
المجلد الأول
يهدى ولا يباع

القـصـص القـرآنـى
عبر وعظات وفوائد إيمانية

جمع وترتيب

الفقير إلى الله تعالى

محمــــد محمـــود حمـــاد

المجلد الأول

يُهدى ولا يُباع

إهداء ... وشكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

(النحل: ١٢٥)

إلى كل مسلم ومسلمة .. يبتغي وجه الله تعالى
وإلى كل من عاون في مراجعة وإخراج هذا الكتاب
و إلى كل من يكون سببًا في نشره

خير ما يفتح به القارئ الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المطَّلِع على الظواهر والسرائر، الغافر لمن شاء من الكبائر والصغائر، وصلاةً وسلامًا دائمين تغشيان الحبيب المصطفى ﷺ المبعوث رحمة للعالمين وصحبه أجمعين.

أما بعد،،

فهذا كتاب (القصص القرآني) من غير الأنبياء ومن تلك القصص:

١- بقرة بنى إسرائيل
٢- هاروت وماروت
٣- ابنا آدم
٤- أصحاب السبت
٥- عالم السوء
٦- أصحاب الكهف
٧- صاحب الجنتين
٨- ذو القرنين
٩- نبأ قارون
١٠- لقمان
١١- قوم سبأ
١٢- أصحاب القرية
١٣- مؤمن آل فرعون
١٤- أصحاب الجنة
١٥- أصحاب الأخدود
١٦- أصحاب الفيل

والقرآن الكريم لا يحكى القصص لمجرد الترفيه والتسلية، ولكنه يقص القصص من أجل التربية وترسيخ المعانى الإيمانية والأخلاق الحميدة المشتملة على العبرة والعظة.

وإذا كان أهل الدنيا ينزهون أعينهم وقلوبهم برؤية القصص الزائف المشتمل على المعاصى والمنكرات، فإن أهل الإيمان الصادق يمتعون قلوبهم وأرواحهم بسماع القصص الحق، الذى يقصه الله ﷻ عليهم، يربيهم به، ويرفع من شأنهم، ويقوى إيمانهم، فهم يجدون المتعة الروحية، ومع ذلك يؤجرون على قراءته وسماعه وتدبره؛ فمثلهم كمثل أم موسى عليه السلام تُرضع ولدها وتطفئ بذلك ظمأ نفسها، ومع ذلك تأخذ على ذلك أجرًا.

وهكذا المؤمن فى جميع أحواله وأعماله لأنه يحب الإيمان وتُوافق أسباب الإيمان هوى نفسه وراحة قلبه، ومع ذلك يؤجر على ذلك أعظم الأجر، كما قال الله ﷻ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨﴾ (الحجرات: ٧، ٨).

نعود إلى الإيضاح بهذا الجزء الأول من القصص القرآنى من غير الأنبياء، فقد بدأت القصة بالأهداف ثم عرضت المستخلص حول عناصر الدراسة، ثم شرعت بعد ذلك فى ذكر العبر والدروس والفوائد الإيمانية المستفادة من القصة والتى نود الإشارة إليها فيما يلى:

● قصص القرآن هو القصص الحق: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ (آل عمران: ٦٢).

•قصص القـرآن هـو أحسن القصص: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ (يوسف: ٣).

• قصص القرآن عبرة لأولى الألباب: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (يوسف: ١١١).

•قصص القرآن يثبت قلب رسول الله ﷺ وقلوب المؤمنين على الإيمان: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ (هود: ١٢٠).

•قصص القـرآن يبين سبيـل المؤمنـين، وسبيـل المجـرمين: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ (الأنعام: ٩٠).

•إيضاح أسس الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التى بُعِثَ بها كل نبى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

•تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم.

•إظهار صدق محمد ﷺ فى دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال.

•قصص القرآن تبين أسباب الهلاك، وأسباب النجاة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (الكهف: ٥٩).

●قصص القرآن تبين للمؤمنين أن الكفر ملة واحدة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (القصص: ٤٨ ـ ٥٠).

وهكذا تكون القصة فى القرآن الكريم بأسلوبها الرائع الذى تذعن له النفوس، وتخشع له القلوب، تكون القصة ذات تأثير عظيم، وكذلك أسلوبًا من أعظم أساليب الدعوة إلى الله ﷻ وإن العبرة فى القصة إنما تؤخذ من ثنايا أحداثها التى تقصها علينا، فهذه أمة أهلكت بالطوفان، وهذه أمة دمرت بالصيحة، وتلك خُسِف بها، وأخرى أرسل الله عليها حاصبًا، وكل هذه الأمم على اختلاف أزمانها وأماكنها، وعلى تباين بيئاتها وعاداتها، إلا أنها كانت جميعها تشترك فى هلاكها، ولم يكن ذلك السبب إلا عنادهم وتكذيب الرسل الذين بعثوا إليهم، فحق عليهم بذلك ألوان من العذاب أدت إلى تدمير بلادهم، وإهلاكهم دون أن تبكى عليهم السماء والأرض، قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (العنكبوت: ٤٠). وقد ذكر الله ﷻ ذلك كله، وقصه فى القرآن الكريم ليكون عبرة لأولى الألباب، يقول الله جل شأنه: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (يوسف: ١١١).

ونظرًا لأهمية القصص القرآني، بحيث تولى الله - عز وجل - قصه على رسوله، فقد جاء الأمر صريحًا من الله إلى رسوله ﷺ بأن يقص القصص القرآني على الناس.

جاء هذا الأمر الإلهى الصريح فى التعقيب على قصة الذى انسلخ من آيات الله فى سورة الأعراف.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ (الأعراف: ١٧٥).

عقّبَ ربُّنا ﷻ على قَصَصِ الأقوام السابقينَ وما جرى لهمْ بقوله: ﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (الأعراف: ١٠١).

وبقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (هود: ١٠٠-١٠٢).

وقد أمر الله ﷻ رسولَهُ ﷺ بأن يَقُصَّ تلك القصص على الناس وبيّن أن هذا يَدفعُ السامعينَ إلى التفكُّرِ والاعتبارِ، فقال تعالى: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

وإذا كان الرسول ﷺ مأمورًا بقص القصص على الأتباع، فإن هذا الأمر ينسحب على من بعده.

وهذا يتطلب منهم حسن تعلم وإدراك واستيعاب الأدلة الثلاثية لأهداف القصص القرآنى المنصوص عليها فى القرآن وهى :

الهدف الأول: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾

وهذا الهدف ورد فى التعقيب على قصة الذى انسلخ من آيات الله، وسار مع الباطل، وأتبعه الشيطان، وكان من الغاوين، وصار يلهث لهاثًا دائمًا كالكلب، وكان بإمكانه أن يرتفع ويرتقي، فى عالم الفضل والعزة والكرامة.

الهدف الثانى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

إنه الاعتبار بما جرى للسابقين، والاستفادة من ذلك، ولا يعتبر بهذا إلا أولو الألباب والأبصار.

وقد ورد الهدف صريحا فى قوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (يوسف: ١١١).

الهدف الثالث: ﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾

إن الله أراد من إيراد القصص القرآنى تثبيت فؤاد النبى ﷺ، وقلوب أصحابه وأتباعه، وقلوب أمته فى أى زمان ومكان.

وجاء هذا فى صحيح قوله تعالى ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (هود: ١٢٠).

وهناك بعض القصص القرآنى لم نتحدث عنه واكتفينا بما سردنا فى الملحق نماذج لكل قصة، فى إشارات قرآنية سريعة بذكر الآيات التى ذُكرت فى هذه القصة، ليكون ذلك بالجزء الثانى ..... إن كان فى العمر بقية، سيصدر هذا الكتاب قريبًا إن شاء الله.

وختامًا، أودُّ من القارئ الكريم أن يدعو لى فى ظهر الغيب، أن يتجاوز عن الخطأ إن وجد، وأن يمدنى بالملاحظات، فالكمال لله وحده، وقد حرصت على تحرى الصواب قدر استطاعتى ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا، واهدنا إلى الصواب فيما نقول ونعمل، واجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم، وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

اللهم اجعلنا من التائبين العابدين الحامدين السائحين الراكعين الساجدين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والحافظين لحدود الله، واجعل آخر كلامنا (لا إله إلا الله محمد رسول الله)

اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين لك، واجعلنا من عبادك الصالحين وارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم، والمصلين على نبيك حبيبنا محمد ﷺ.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الفقير إلى الله تعالى

محمد محمود حماد

تمهيد

أضواء قرآنية فى أهمية قصص القرآن

أولاً - قَصَصُ القرآنِ هو القَصَصُ الحقُّ:

لأنَّ الله ﷻ يقول فى وصفِهِ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾

(آل عمران: ٦٢).

وقال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ (الكهف: ١٣).

وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾

(الأنعام: ٥٧).

قَصَصُ القرآنِ هو القَصصُ الحقُ لأنَّ الذى يقصُّهُ علينا ويُخْبرنا بهِ هو الله - سبحانه وتعالى - الذى قال عن نَفسِهِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ (النساء: ١٢٢)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ (النساء: ٨٧).

قَصَصُ القرآنِ هو القَصَصُ الحقُّ لأنَّ اللهَ - سبحانه وتعالى - أخبرنا بهِ فى كتابِهِ الذى قال فى وَصفِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ (فصلت: ٤١، ٤٢).

ثانيًا - قَصَصُ القرآنِ هُوَ أحسَنُ القَصَص:

قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ (يوسف: ٣).

فكلُّ ما قصَّهُ اللهُ علينا فى كتابِهِ هو أحسنُ القصص وهذا يتناوَلُ كلَّ ما قصهُ الله تعالى فى كتابه.

ثالثًا - فى قَصَصُ القرآنِ عبرةٌ لأولى الألباب:

أصحابُ العقول السليمة يأخذون من قصص القرآن الدروس والعظات والعبر، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (يوسف: ١١١).

- ومِنَ الدروسِ والعظاتِ والعِبرِ التى تؤخذُ مِنْ قَصَصِ القرآنِ ما يلى:

١- المعاصى سببٌ لزوالِ النِّعَمِ:

على العاقل أن يتفكر ويعتبر بما أخبرنا الله به عن أقوام أنعم الله عليهم بأنواع النّعم فقابلوا هذه النعم بالكفر والمعاصى كانت النتيجة زوال النعم من بين أيديهم.

⇐ومن الأمثلة على ذلك:

- **قصة صاحب الجنتينِ:** الذى تكبّر على صاحبه وافتتن بجنتيه ولم يشكر، فزالت النعمة من بين يديه فأخذ يندم فى وقت لا ينفع فيه النّدم،

قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ (الكهف: ٤٢).

● **وكقصة سبأ:** وهم قومٌ أنْعمَ اللهُ عليهم بِنِعَمٍ كثيرةٍ؛ من المال والجنّات - أى البساتين - والأمنِ والأمانِ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ (سبأ: ١٥).

فلم يشكروا وقابَلوا هذه النعمَ بالإعْراضِ والكفرِ فزالت النِّعَمُ مِنْ بين أيديهم، قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ (سبأ: ١٦، ١٧).

● **وكقصة أصحابِ الجنة:** الذين اعتدوا على حق الفقراء والمساكين وقرّروا بالليل أنْ يحرموا الفقراءَ والمساكينَ من ثمارِ جنتهم. قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾ (القلم: ١٧، ١٨)، وفى الصباح خرجوا إلى بستانهم وهم مُصِرُّونَ على حرمان الفقراءِ والمساكين: ﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ (القلم: ٢١- ٢٥).

فلما أصرّوا وأجمعوا على حرمان الفقراءِ والمساكينِ حقهم، حرمهم اللهُ جنتَهم:

قال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾

(القلم: ١٩، ٢٠).

فلما وَصَلوا إلى جنتهم كانت المفاجأةُ :﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (القلم: ٢٦-٣٢).

يذكر ربُّنا هذه القصّة ليعتبرَ أولو الألباب، فيقول ربُّنا ﷻ: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ﴾ أيها الغنيُّ! الذى تفكُر فى حرمان الفقراءِ والمساكين :﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (القلم: ٣٣).

٢-المعاصى سببٌ لهلاكِ الأفرادِ والأممِ والشعوبِ والقرى:

كيف أهلك الله أفرادًا وأهلكَ شعوبًا وأهلك أممًا وأهلك قرىً بسببِ المعاصى :﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ (هود: ٨٣).

قال تعالى بعد أن قصّ على رسولِهِ قَصَصَ الأقوام السابقينَ وكيف أهلكهم بعد أنْ كذبوا رُسُلَهُ:﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (العنكبوت: ٤٠).

وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (الكهف: ٥٩).

وقال تعالى :﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (القصص: ٥٩).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾﴾ (الأنعام: ٦).

وهل في الدنيا والآخرةِ شرٌّ وداءٌ إلاّ وسببُهُ الذنوبُ والمعاصي؟!

○ فما الذى أخرجَ الأبوينِ مِن الجنةِ؟، دارِ النعيم والبهجةِ والسرورِ، ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ (طه: ١١٨، ١١٩).

○ وما الذى أخرج إبليسَ من ملكوتِ السماءِ وطرده ولعنه ومسخ ظاهَره وباطنَه وبُدِّل بالقرب بعدًا، وبالرحمةِ لعنةً، وبالجمالِ قبحًا، وبالجنةِ نارًا تلظّى؟!

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ (ص: ٧٧، ٧٨). ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ (الحجر: ٣٤، ٣٥).

○ وما الذى أغرق قوم نوح حتى علا الماءُ فوقَ رؤوسِ الجبال؟! ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (هود: ٤٢).

○ وما الذى سلّط الريحَ على قومِ عادٍ حتى ألقتْهم موتى على وجهِ الأرضِ كأنهم أعجازُ نخلٍ خاوية؟! ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ

عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾ (الحاقة: ٦)، ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ (القمر: ١٩، ٢٠).

○ وما الذى أرسل على قومِ ثمودَ الصيحةَ حتى قُطِّعت قلوبُهم فى أجوافِهم وماتوا عن آخرهم؟!

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ ﴾ (الحاقة: ٥). وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾ (القمر: ٣١).

○ وما الذى رفع قرى قوم لوط إلى السماءِ الدنيا ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهكلهم أجمعينَ، ثم أتبعهم حجارةً من السماءِ أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبةِ ما لمْ يجمعْهُ على أمةٍ غيرِهم؟! ولإخوانهم أمثالها: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ (هود: ٨٢، ٨٣).

○ وما الذى أرسل على قومِ شعيبٍ سحابَ العذابِ كالظللِ، فلما صار فوقَ رؤوسِهِم أمطرَ عليهم نارًا تلظى؟! ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾ (الشعراء: ١٨٩)، ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (العنكبوت: ٣٧).

○ وما الذى أغرق فرعونَ وقومَهُ فى البحر ثم نقلت أرواحهم إلى جهنمَ، فكانت الأجسادُ للغرقِ والأرواحُ للحرقِ؟! ﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ

إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (يونس: ٩٠-٩٢).

○ وما الذى خسف بقارون وداره وماله وأهله؟! ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (القصص: ٨١).

○ وما الذى أهلك القرونَ من بعدِ نوحٍ بأنواع العقوبات ودمّرها تدميرًا؟! ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ (الإسراء: ١٧)، ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (العنكبوت: ٤٠).

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (هود: ١٠٢). وقال تعالى: ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (النبأ: ٢٦). وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ (الكهف: ٤٩). وقال تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الروم: ٩)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (يونس: ٤٤).

٣- **الحسدُ مَرَضٌ خطيرٌ جدًّا :** قد يَدْفعُ صاحبَهُ إلى كلِّ شرٍّ ويدفعُ صاحبَه إلى أن يقتُلَ أخاهُ. ومن الأمثلة على ذلك:

▪ قِصَّةُ ابنَى آدمَ:

حسدَ أحدُهما ((قابيل)) الآخرَ ((هابيل)) فدفعَهُ الحسدُ إلى قَتْلِ أخيهِ فقتلَه فأصبحَ من الخاسرينَ. قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (المائدة: ٢٧-٣٠).

▪ قِصَّةُ يوسفَ مع إخوتِهِ:

حسدَ إخوةُ يوسفِ - يوسفَ عليه السلام، فدفعهم هذا الحسدُ إلى محاولة التخلصِ من يوسفِ بالقتل أو بأى وسيلةٍ أخرى.

قال تعالى عنهم: ﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (يوسف: ٧-١٠).

إن الحسد من شيمِ وأخلاقِ اليهودِ لأنهم شرُّ الناسِ. قال الله تعالى في وصفِهم:

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) ﴾ (البقرة: ١٠٩).

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤) ﴾ (النساء: ٥٤).

وحذّرَ النبي ﷺ أُمّتَهُ من هذا المرضِ، فقال ﷺ: ((لا تحاسدوا)) إلى أن قال: ((وكونوا عبادَ اللهِ إخوانًا))[1].

وأمرنا الله ﷻ أن نستعيذ به من شر من مَرِضَ بهذا المرض، فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) ﴾ (الفلق: ١ ـ ٥).

٤- مَن يتَّقِ اللهَ يجعلْ له مَخرَجًا ويرزقْهُ من حيثُ لا يحتسبُ:

مَنْ يتق اللهَ في هذه الدنيا يجعل اللهُ له مخرجًا، يَظهرُ لنا ذلك مِنْ قِصَّةِ يوسفَ عليه السلام: ﴿ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٩٠) ﴾ (يوسف: ٩٠).

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٥٩).

● فإنه لما راودته امرأة العزيز عن نفسه، وغلّقت الأبواب وقالت: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ قال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ فعصمه الله بسبب تقواه.

● ولما طلب النّسوةُ منه الفاحشةَ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾... فصرف الله عنه كيدهن.

● ولما دخل السجنَ مظلومًا صبرَ على هذا الظلمِ، واحتسبَ أجرَهُ عند الله، أخذ يدعو المساجينَ إلى عقيدةِ التوحيد وإلى عبادة الله وحده ... هذا كله بدافع التقوى.

● فلما اتّقى يوسفُ ربَّهُ جل وعلا جعلَ اللهُ له مخرجًا فأخرجه من السجن وجعلهُ عزيزًا في بلادِ مصرَ يرجعُ إليه الناسُ.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (يوسف: ٨٨ ـ ٩٠).

⇦فوائد التقوى:

إن لتقوى الله ﷻ فوائد جليلة عظيمة ... آجلة وعاجلة منها:

- **التقوى سبب للتمكين فى الأرض:**

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (يوسف: ٥٦ ، ٥٧).

- **إن التقوى سبب لدخول الجنة:**

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾ (مريم: ٦٣).

- **التقوى سبب تقبل الأعمال:**

قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (المائدة: ٢٧).

- **التقوى سبب لتيسير الأمور:**

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾ (الطلاق: ٤).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ (الطلاق: ٢ ، ٣).

- **التقوى سبب النجاة من المهالك:**

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ (مريم: ٧١ ، ٧٢).

وقال تعالى: ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (الزمر: ٦١).

● **التقوى سبب لتكفير السيئات ومغفرة الذنوب:**

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الأنفال: ٢٩).

● **التقوى سبب لزيادة الخيرات والأرزاق والبركات:**

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾(الأعراف: ٩٦).

٥- العَفْوُ عندَ المقدِرةِ:

إن الشريعة السمحة تأبى إلا أن تسمو بالإنسان فى معارج الكمال، فهى تثير فضيلة هامَّة فى نفسه؛ هى فضيلة العفو، لأنه من صفات الله، واسم من أسمائه، فهو عَفُوٌّ يحب العفو، فمن أجدر من المؤمن بأن يتخلَّق بما يحبه خالقه، وأن يدأب للاقتراب من حضرته، فينشر عليه من رحمته ومدده، فيعفو ويصفح عن مقدرة، عفوًا يصدر عن سماحة النفس لا عن مذلَّة العجز، قال ﷺ: ((ما نقص مالٌ من صدقة، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل)) (رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنهما).

المؤمن يعفو ويسامح وفقًا لتعاليم الله ﷻ؛ الذى يحب العفو مع قدرته على إهلاك المسيئين أجمعين. وتتفاوت قدرة المؤمن على العفو بحسب درجة إيمانه، ومدى قربه من الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٣) ﴾ (المائدة: ١٣).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

وقال تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (١٤٩) ﴾ (النساء: ١٤٩).

وقال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ (١٩٩) ﴾ (الأعراف: ١٩٩).

وقال تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٠) ﴾ (الشورى: ٤٠).

★★ العفوُ عند المقدرةِ مِنْ أخلاقِ الأنبياءِ والصالحينَ، ومن الأمثلة على ذلك :

○ **يوسفُ عليه السلام مع إخوتِـه :** فعل إخوةُ يـوسـفَ مع يوسفَ مـا فعلوا وقالوا فيه ما قالوا فلما احتاجوا إليه وقدر عليهم عفا عنهم قال تعالى :﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ ﴾ـ أى: على يوسفَ ـ ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (يوسف: ٨٨ـ٩٢).

○ ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (النور: ٢٢).

ولا يحلف القادرون منكم على الإنفاق والإحسان (أولو الفضل)، والذين يجدون سعة فى الرزق، على أن لا يصلوا أقرباءهم المساكين والمهاجرين، وليصفحوا عنهم، وليعفوا عما تقدم منهم من الإساءة والأذى، فالله تعالى يجزيهم بصفحهم عن أذى أقربائهم المساكين، وعلى إحسانهم إليهم، بالعفو والمغفرة. فإذا كنتم تحبون أن يعفو ربكم عن سيئاتكم، فافعلوا مع المسيء إليكم مثلما تحبون أن يفعل بكم ربكم، وتأدبوا بأدبه تعالى، فهو واسع المغفرة والرحمة.

رابعًا- قَصَصُ القرآنِ تثبِّتُ قلوبَ المؤمنين على الإيمان، وتزيدُ الإيمانَ فى القلوب.

قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (هود: ١٢٠ - ١٢٣).

لما بعث الله رسولَهُ محمدًا ﷺ فى مكة يدعو الناسَ إلى عبادةِ الله، لاقى ﷺ من قومهِ استكبارًا وعنادًا وتكذيبًا فقصَّ الله عليه قصصَ الأنبياء من قَبْلِه فى سورة هودٍ وكيفَ أنهم لاقوا مِنْ أقوامهم ما يلاقيه رسول الله ﷺ من قومِهِ، فصبروا على دعوة أقوامهم حتى أهلك الله المكذبين ونجّى الله رسلَهُ والذين آمنوا معهم.

ولذلك يقولُ الله - عز وجل - لرسوله ﷺ فى آخر السورة تثبيتًا له: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ ﴾ (هود: ١٢٠)، أى: يا رسول الله! نحن نقصُ عليك قصصَ الأنبياءِ ممن كان قبلُكَ؛ وليقوى بذلك قلبُكَ؛ ولتصبرَ على أذى قومِك؛ ولتتأسى بالرسل من قبلك؛ ولتعلمَ أن العاقبَة لك كما كانت لهم.

وجاءت آياتٌ كثيرةٌ فى كتابِ الله يأمُر اللهُ فيها رسولهُ بأن يصبرَ كما صبرَ الرسلُ مِنْ قبلهِ، ويخبرُهُ أنّ العاقبة والنصرَ لهُ ولمن آمن معهُ.

قال تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الأنعام: ٣٣، ٣٤).

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (يوسف: ١١٠).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (فاطر: ٢٥، ٢٦).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الحج: ٤٢ ـ ٤٤).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ ﴾ (فاطر: ٤).

ويخبرُ الله رسولَهُ ﷺ بأنه على الحق وأنّ الذين يُكذبونه على الباطلِ، وأنّ النصرَ له ولِمن معه، والخزى والهلاكَ للذين يُكذبونه.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الروم: ٤٧).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (النمل: ٧٦ ـ ٨١).

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (فاطر: ٨).

وأمر الله رسوله ﷺ بالصبر وحذّره من الاستعجال.

فقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

⇦ ومن أمور تثبيت قلوب المؤمنين على الإيمان:

الأمرُ الأولُ: أن يعلم المؤمنون أن الأنبياءَ جميعًا جاءوا بدينٍ واحدٍ ألا وهو الإسلام.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ ﴾ (آل عمران: ١٩)، وقال تعالى: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ (المائدة: ٣)، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (آل عمران: ٨٥).

و نوحٌ عليه السلام يقول الله ﷻ عنه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ (يونس: ٧١) إلى قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ (يونس: ٧٢).

و إبراهيم عليه السلام يقول الله ﷻ عنه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾

(البقرة: ١٢٧ ، ١٢٨).

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام أيضًا: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (آل عمران: ٦٧).

و موسى عليه السلام قال الله ﷻ عنه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ (يونس: ٨٤).

و عيسى عليه السلام ومن معه من الحواريّين قال الله ﷻ عنهم: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ (آل عمران: ٥٢).

و يوسفُ عليه السلام يقول الله ﷻ عنه: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ (يوسف: ١٠١).

و سليمان عليه السلام يقول الله عز وجل عنه: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (النمل: ٣٠ ، ٣١).

ويقول عنه أيضًا: ﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (النمل: ٤٢).

وقال تعالى عن بلقيس ملكة سبأ: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (النمل: ٤٤).

و رسُولُنا ﷺ يقولُ الله عز وجل عنه: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ (النمل: ٩١).

وقال تعالى عنه أيضًا: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ (الزمر: ١١ ، ١٢).

فالإسلامُ دينُ الأنبياء جميعًا، والأنبياءُ هم أفضلُ الخلق على الإطلاق فدينهم أحسنُ الأديان، وملَّتهُمْ أحسنُ المِلَلِ وطريقهُم أقومُ الطُرُقِ لا يَضِلُّ عنها إلا هالِكٌ.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (فصلت: ٣٣).

الأمرُ الثاني: تثبتُ قلوب المؤمنين على الإيمان بتدبُر قصص القرآن؛ إذا علموا أن الأنبياء جميعًا كانت دعوتهم واحدةً ألا وهي: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ (الأعراف: ٥٩).

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (النحل: ٣٦).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

و نوحٌ عليه السلام يدعو قومهُ إلى عبادة الله وحدُه لا شريك له، قال تعالى عنه: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ (الأعراف: ٥٩).

و هودٌ عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى عنه: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ (الأعراف: ٦٥).

و صالحٌ عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة الله وحدهُ لا شريك له، قال تعالى عنه: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ (الأعراف: ٧٣).

و شعيبٌ عليه السلام يدعو قومَه إلى عبادة الله وحدهُ لا شريك له، قال تعالى عنه: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ (الأعراف: ٨٥).

وإبراهيم عليه السلام يدعو قومَه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى عنه: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (العنكبوت: ١٦).

وعيسى عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة الله وحدهُ لا شريك له، قال تعالى عنه: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ (المائدة: ٧٢).

ورسولُنا ﷺ يدعو إلى عبادةِ الله وحده لا شريك له، قال تعالى عنه: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (آل عمران: ٦٤).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ ﴾ (الكافرون: ١-٣).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (الزمر: ٦٤ - ٦٦).

فالأنبياءُ جميعًا دينهُم واحدٌ وهو الإسلام، ودعوتهم واحدةٌ وهي: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ (المؤمنون: ٢٣)

فإذا عرفَ المسلمُ ذلك من خلال قصصَ القرآن ثبتَ على إيمانِه لأنهُ عرفَ أنهُ على الدين الحق وأن غيرهُ على الباطل وليسَ بعد الحقِ إلا الضلال، والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبع.

الأمر الثالث: أن يعلم المؤمنون أن مِن سنن الله التى لا تتبدلُ ولا تتغيرُ: أنّ من كذّب رسلهُ ووقف فى وجه دعوتهم أهلكه الله.

الإيمان بالرسل جميعًا من أركان الإيمان.

قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

ولما سئل ﷺ عن الإيمان، قال: ((أن تؤمنَ بالله وملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ واليومِ الآخرِ وتؤمن بالقدر خيرهِ وشرهِ))[1].

فمن كذب برسولٍ واحدٍ فقد كذبَ بكل الرسل.

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥ ﴾ (الشعراء: ١٠٥)، ولم يكذبوا إلا رسولهم نوحًا عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣ ﴾ (الشعراء: ١٢٣)، ولم يكذبوا إلا رسولهم هودًا عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٤١ ﴾ (الشعراء: ١٤١)، ولم يكذبوا إلا رسولهم صالحًا عليه السلام.

مِن هذه الآيات يتبين لنا أن من كذبَ برسولٍ واحدٍ فقد كذب بكل الرسلِ وكفرَ وضلَّ ضلالاً مبينًا.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٨).

** ومن سنن الله التى لا تتبدلُ ولا تتغيرُ ولا تتحولُ أنَّ مَنْ كذب برُسلِ الله ووقف في وجه دعوتهم دَمَّره اللهُ وأهلكهُ ومن الأمثلة على ذلك:

١- قوم نوح عليه السلام كذبوا رسولَهم فأهلكهم الله بالغرق قال تعالى: ﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾ (القمر: ٩ ـ ١٢)، إلى قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ ﴾ (القمر: ١٦).

٢- عادٌ كذبوا رسولهم هودًا عليه السلام فأهلكهم الله بالريح الباردة قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ ﴾ (القمر: ١٨ ـ ٢٦).

٣- ثمودٌ كذبوا رسولهم صالحًا عليه السلام فأهلكهم الله بالصيحة قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القمر: ٢٣)، إلى قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾ (القمر: ٣٠، ٣١).

وبعد أن قصَّ الله على رسولِهِ قصَصَ الأمم السابقةِ وكيفَ انتقم منهم ودمرهم وأهلكهم لما كذبوا رسله أمرُه أن يقولَ لقومه كفار مكة: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ (القمر: ٤٣ ـ ٤٦).

قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (هود: ١٢١، ١٢٢).

وقال تعالى: ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ ﴾ (القمر: ٢٦).

الأمر الرابع: أن يعلم المؤمنون أن النصرَ للإسلامِ والمسلمين وأنَّ العاقبة للمتّقين.

في سورة الشعراء يقصُّ الله ـ عز وجل ـ على رسوله ﷺ قصص الأنبياء من قبله، وفي كلِّ قصةٍ يخبرُ ربنا ـ جل وعلا ـ رسولهُ كيف أهلك المكذبين ونجّى رسولَهُ والمؤمنين معهُ، ويقول في آخرِ كلِّ قصةٍ: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ (الشعراء: ٨، ٩).

فيختمُ ربنا ـ جل وعلا ـ كُلَّ قصةٍ بهذين الاسمين من أسمائه الحسنى: ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ (الشعراء: ٩)

﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الذي انتقم ممن كفر وكذب برسله.

﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الذي نجّى رسولهُ والذين آمنوا معه.

وقد أخبرَ اللهُ في كتابه أن النصرَ والتمكينُ للإسلامِ والمسلمين، وأن العاقبةَ دائمًا للمتقين.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ (غافر: ٥١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣)، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (الأنبياء: ١٠٥)، ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ (المجادلة: ٢١).

خامسًا - قصص القرآن يهدى الله به المؤمنين إلى كلِّ خيرٍ وذلك لأنَّه سبحانه وتعالى يُبيِّنُ لِعبادهِ من خلالِه سبيلَ المؤمنين، وسبيلَ المجرمين.

وسبيل المؤمنين وفى مقدمتهم أنبياءُ الله يرشد مَن سلكه إلى كلِّ خيرٍ ويهديه إلى أقوم الطرق فينال بذلك سعادةِ الدنيا والآخرة وبيان ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أنَّ اللهَ ﷻ عَصَمَ الأنبياءَ واجتباهم واختارهم واصطفاهم وهداهم إلى صراط مستقيم.

في سورة الأنعام بعد أن ذكر الله عددًا من أنبيائه قال: ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ (الأنعام: ٨٧).

وفي سورة مريم بعد أن ذكر الله عددًا من أنبيائه قال: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ (مريم: ٥٨).

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام: ١٢٤).

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (الحج: ٧٥).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ (ص: ٤٧).

وقال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾ (طه: ٣٩).

فالأنبياء هم أفضلُ الخلق على الإطلاق، وهم الكُمَّلُ من البشرِ، اختارَهم اللهُ ليُبَلِّغوا رسالته إلى الناسِ، فمن اهتدى بهديهم وسلك سبيلهم تحصلَ على سعادةِ الدنيا والآخرة.

الوجه الثاني: أنّ الله ـ عز وجل ـ أمرَ المؤمنين في كتابه أن يقتدوا بالأنبياء ويتأسوا بهم ويسلكوا سبيلهم. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ (الأنعام: ٨٣). وبعد أن ذكر الله عددًا من أنبيائه قال لرسولهِ ﷺ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩٠). والأمرُ في هذه الآية لـرسولِ الله ﷺ ولأمتهِ

أيضًا لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢١). وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ (الممتحنة: ٤) إلى قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ (الممتحنة: ٦).

وقال تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ (الفاتحة: ٦، ٧).

وفى مقدمةِ الذين أنعم الله عليهم، الأنبياء والرسلُ.

قال تعالى فى سورة مريم بعد أن ذكرَ عددًا من الأنبياء الكرام: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ (مريم: ٥٨).

من خلال التَّدبُّر فى قصَصَ القرآن يتبين لنا أنّ الأنبياء والرسل هم أفضلُ الخلق على الإطلاق وهم الكُمَّلُ من البشر وذلك لأن الله اصطفاهم واختارهم واجتباهم وهداهم وأمرَ رسولَهُ والمؤمنين أن يقتدوا بهم. قال تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴾ (الأنعام: ٩٠).

** إن الاقتداءَ بالأنبياءِ يجب أن يكون فى كل جوانب الحياة، مثلاً:

الجانبُ الأولُ: علينا أن نقتدى بهم فى رحمتهم وشفقتهم ونُصحهم للناسِ عامةً ولأقربِ الناسِ إليهم خاصةً.

الأنبياء هم أنصحُ الناسِ للناسِ، وهم أرحمُ الناس بالناس ولقد قصَّ الله ـ عزّ وجل ـ علينا فى كتابه الكريم من أخبار أنبيائه ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ما يدلُّ دلالةً واضحةً على شدةِ نصحهم للناس ورحمتهم بهم وشفقتهم عليهم، وأنهم بذلوا جميعَ الأسبابِ الممكنةِ لهداية الناس وإنقاذهم من عذاب الله سبحانه.

** والأدلة على أنهم أنصحُ الناسِ للناس كثيرةٌ جدًّا منها:

١- قوله تعالى عن نبيه نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (الأعراف: ٦١ ، ٦٢).

٢- وقوله تعالى عن نبيه هود عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الأعراف: ٦٧ ، ٦٨).

٣- وقوله تعالى عن نبيه صالح عليه الصلاة والسلام بعد هلاك قومه: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (الأعراف: ٧٩).

٤- وقوله تعالى عن نبيه شعيب عليه الصلاة والسلام بعد هلاك قومه: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ (الأعراف: ٩٣).

** والأدلة على أن الأنبياء هم أرحم الناس بالناس كثيرةٌ جدًّا منها:

١- قوله تعالى عن دعوة نوح عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ (الأعراف: ٥٩).

٢- وقوله تعالى عن شعيب عليه الصلاة والسلام وهو يحذر قومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾ (هود: ٨٩).

٣- وقد وصفَ الله ـ عزّ وجل ـ نبيه محمداً ﷺ بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ (التوبة: ١٢٨).

ولقد بلغ من نصح وشفقة ورحمة نبينا محمدٍ ﷺ بالناس أن كاد هذا الأمرُ أن يُهْلِكَهُ، فخاطبه الله ـ عز وجل ـ قائلاً: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ (الشعراء: ٣).

فكان ﷺ يحزنُ حُزنًا شديدًا على عدمِ إيمان الناس نصحًا لهم وشفقةً عليهم، كيف لا؟ والله ﷻ يقولُ عن رسولِه ﷺ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ (الأنعام: ٩٠).

وقال له أيضًا: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ (آل عمران: ١٥٩).

وقال له أيضًا: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ (النحل: ١٢٥).

** من الأمثلة على رحمةِ الأنبياء ونصحهم وشفقتهم بأقربائهم:

• دعوة نوح عليه السلام ابنه إلى الإيمان وإلى الركوب معه فى السفينة التى نجّى الله فيها المؤمنين من الغرق.

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢﴾ (هود: ٤٢).

ومما يلفت النظر فى هذه المناداة من نوح عليه السلام لابنه أنه حذره بأن لا يكون مع الكافرين، ولم يقل له: مع المغرقين؛ فإنّ نهايةَ الغرقِ الموتُ، وأما نهايةُ الكفرِ فغضبُ اللهِ عز وجل والخلود فى نار جهنم وذلك أعظم وأشد.

ولم يستجب ابنُ نوح لوالدهِ عليه السلام فهلك مع الهالكين.

قال تعالى: ﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣﴾ (هود: ٤٣).

ومع ذلك فقد أدرك حُب الولد ـ وهو حب فطرى ـ والرحمة به نوحًا عليه السلام فتوجه إلى ربه لعله أن يرحمَ ولدهُ. وهذا من باب الرحمةِ والنصح والشفقةِ على الأقاربِ.

قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (هود: ٤٥، ٤٦).

• دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه، تلك الدعوة التى اتسمت بالنصح والشفقة والرحمة مع أدبٍ جمٍّ وحلمٍ وتلطفٍ من الابن النبى إلى أبيه الكافر.

قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾﴾
(مريم: ٤١ ـ ٤٧).

ولم يستجب الوالدُ الكافرُ لنصيحةِ الابن النبى ومع ذلك فإن إبراهيم عليه السلام يُحاولُ الشفاعة فيه يومَ القيامةِ ولكن حقت كلمةُ العذابِ على الكافرين.

• ولما أمر اللهُ ـ عز وجل ـ رسولهُ محمدًا ﷺ بدعوةِ قرابته في قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ (طه: ١٣٢).

وفي قوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ (الشعراء: ٢١٤).

امتثل رسولُ الله ﷺ الأمرَ فنادى قرابتَه الأبعد ثم الأقربَ فأنذرهم عذاب الله ﷻ وحذرهم من عقوبتهِ.

الجانب الثاني: علينا أن نقتدى بالأنبياء ـ عليهم السلام ـ في دعائهم والتجائهم إلى الله وحده.

عَلِمَ الأنبياءُ وأيقنوا أن الله وحدَهُ هو الذى يستجيبُ الدعاء.

قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ (النمل: ٦٢).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر: ٦٠).

★★ فلم يدعوا إلا الله ولم يلتجئوا إلا إليه. ومن الأمثلة على ذلك:

• إبراهيم عليه السلام يقول في دعائه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (إبراهيم: ٣٥).

• وقال أيضًا في دعائه: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الشعراء: ٨٣ ـ ٨٩).

• نوح عليه السلام يقول فى دعائه: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ (نوح: ٢٨).

• موسى عليه السلام يقول فى دعائه ـ عندما قتل القبطى ـ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ (القصص: ١٦).

وقال أيضًا فى دعائه: ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾

(القصص: ٢٤).

• سليمان عليه السلام يقول فى دعائه: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

(النمل: ١٩).

• أيوب عليه السلام يقول فى دعائه: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴾

(الأنبياء: ٨٣، ٨٤).

• يونس عليه السلام ـ وهو فى بطن الحوت ـ يقول فى دعائه: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ٨٧).

• زكريا عليه السلام يقول فى دعائه: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (الأنبياء: ٨٩، ٩٠).

• يوسف عليه السلام يقول في دعائه: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (يوسف: ١٠١).

• ومحمدٌ ﷺ رسولُنا الكريم يقولُ في دعائه: ((يا مقلب القلوب ثبّتْ قلوبنا على دينك))[1].

ويقول ﷺ في دعائه: ((اللهم إنى عبدُك وابنُ عبدك وابنُ أمَتِك، ناصيتى بيدك ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سمَّيت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك أو علّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همّي))[2].

وكان من دعائه ﷺ الدائم حين يسلّم من صلاة الصبح أن يقول: ((اللهم إنى أسألك عِلمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملاً متقبلاً))[3].

• على كُلٍّ منا أن يتقى الله فى نفسه ويقتدى بالأنبياء فى الدعاءِ فلا يدعو إلا الله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴾ (الأنعام: ٩٠).

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذى (٢١٤٠)، وأحمد (٣/١١٢)، والحاكم (١/٧٠٧)، والبخارى فى ((الأدب المفرد(٦٨٣)، [((صحيح الجامع)) (٧٩٨٧)].

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١/٢٩١)، وابن حبان (٩٦٨)، والحاكم (١/ ٦٩٠)، [((تخريج الكلم الطيب)) (١٢٣)].

(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٩٢٥)، وأحمد(٦/٣٢٢)، والطيالسي (١٦٠٥)، وأبو يعلى(١٢/٣٦١)، [((صحيح ابن ماجه)) (٧٦٢)].

الجانب الثالث: علينا أن نقتدى بالأنبياء فى شجاعتهم وثباتهم وكمال توكلهم على الله وحده.

** ومن الأمثلة على ذلك:

■ نوحٌ عليه السلام الذى قال الله عنه: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ (يونس: ٧١).

■ هودٌ عليه السلام حيث قال الله عنه: ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ (هود: ٥٤ ـ ٥٦).

■ موسى عليه السلام قال الله عنه عندما أصدرَ فرعونُ قرارًا بقتله: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (غافر: ٢٦ ، ٢٧).

■ موقف موسى عليه السلام عندما تبعه فرعونُ وجنوده عند البحر قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ (الشعراء: ٦١ـ٦٣).

▪ محمدٌ ﷺ وهو في الغار مع صاحبه أبي بكر ﷺ: قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (التوبة: ٤٠).

سادسًا - قصص القرآن يبينُ أسبابَ الهلاك، وأسباب النجاةِ.

يُبين الله لعباده مِن خلالِ قصَصِ الأقوام السابقين أسباب الهلاك ليجتنبوها، وأسباب النجاةِ ليأخذوا بها، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيَّ عن بينة.

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (هود: ١٠٠ - ١٠٣).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ

عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الحج: ٤٢ ـ ٤٦).

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (العنكبوت: ٣١ ـ ٣٥).

وقال تعالى لكفار مكة يُخبرهم عن هلاك قوم لوط: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ (الصافات: ١٣٧ ، ١٣٨).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الأحقاف: ٢٧).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ (المرسلات: ١٦ ـ ١٩).

العاقلُ إذا قرأ أو استمع إلى قصص القرآن عرف أسباب الهلاك وتجنبها وعرف أسباب النجاة فأخذ بها ولعل هذا مما يبين لنا أهمية قصصِ القرآنِ.

** أسبابُ الهلاكِ وأسبابُ النجاةِ التى جاءتْ فى الكتاب والسنة:

⇦ أمّا أسباب الهلاك فهى كثيرةٌ جدًّا منها:

أولاً: الكفرُ بالله.

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ (سبأ: ١٧).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (فاطر: ٢٥، ٢٦).

ثانيًا: الشرك بالله ((وهو أعظمُ الظلم)).

قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (الكهف: ٥٩).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (يونس: ١٣).

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (هود: ١٠٢).

ثالثًا - تكذيب الرسل:

قال تعالى عن نوح عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾ (الشعراء: ١١٧ ـ ١٢٢).

وقال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ (الفرقان: ٣٧).

رابعًا - المكرُ السيئُ برسلِ الله:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ﴾ (فاطر: ٤٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ (النمل: ٤٥)، إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ (النمل: ٤٨ ـ ٥٢).

خامسًا - البطر :

البطرُ هو الكفرُ بنعم الله.

قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (القصص: ٥٨).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ (إبراهيم: ٧)

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾ (إبراهيم: ٢٨، ٢٩).

سادسًا - حبُّ الدنيا والتنافس فيها :

قال ﷺ لأصحابه: ((فوالله ! ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكنى أخشى عليكم أن تُبسط الدنيا عليكم، كما بُسِطَتْ على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تَنافسوها، وتُهلككم كما أهلكتهم))[1].

- فحُبُّ الدنيا والتنافسُ فيها يُهلِكُ أصحابها.
- فما الذى أهلك فرعون؟ إنها الدنيا.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٣١٥٨)، ومسلم (٢٩٦١) واللفظ له.

- **وما الذى أهلك قارون؟ إنها الدنيا .**
- **وما الذى أهلك عادًا؟ إنها الدنيا .**
- **وما الذى أهلك كفارَ مكة؟ إنها الدنيا .**
- **ولذلك حذرَ النبى ﷺ أمتَهُ من الدنيا .**
- **والله ـ عز وجل ـ حذر عبادَه من الدنيا .**

فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ ﴾ (فاطر: ٥).

وبَيَّن ربُّنا ـ جل وعلا ـ لعبادهِ حقيقة الدنيا حتى لا يغترّوا بها، قال تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ ﴾ (الحديد: ٢٠).

سابعًا - الشُّح :

الشُّحُّ هو أعلى درجات البُخلِ وهو سببٌ لهلاكِ الأفرادِ والشعوبِ والأمم.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧ ﴾ (النساء: ٣٧).

وقال تعالى ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ (التوبة: ٧٥، ٧٦).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٩).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الحديد: ٢٤).

وقال تعالى: ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (القلم: ١٢ - ١٤).

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ (الليل: ٨ - ١٠).

وقال تعالى: ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾ (المعارج: ١٨ - ٢١).

قال ﷺ: ((اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة، واتقوا الشُّحَّ، فإن الشُّحَّ أهلك من كان قبلكمُ، حملَهُم على أن سَفَكُوا دِمَاءهم واستحلُّوا محارِمهم))[1].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

وقال ﷺ: ((إياكم والشُّحَّ؛ فإنما هَلَكَ مَنْ كان قبلكمُ بالشحِّ؛ أمرهم بالبُخلِ فبخِلوا، وأمرهم بالقَطيعةِ فقطعوا، وأمرهم بالفجورِ ففجروا))[1].

ثامنًا - كثرة الخبثِ :

والخَبثُ: هو المعاصى والفسوقُ والفجورُ.

وقال ﷺ : ((ما ظهرَ فى قومٍ الربا والزنا، إلا أحَلُّوا بأنفسهم عقاب الله))[2].

وقال ﷺ : ((إذا ظهرَ السوءُ فى الأرض أنزلَ الله بأسَه بأهلِ الأرضِ، وإن كان فيهم قومٌ صالحون، يصيبُهم ما أصاب الناس، ثم يرجعون إلى رحمةِ الله ومغفرتهِ))[3].

قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (العنكبوت: ٤٠).

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١٦٩٨)، وأحمد (٢/١٥٩)، وابن حبان(٥١٥٤)، والبيهقى فى ((السنن))(٤/١٨٧)، [((صحيح الجامع))(٢٦٧٨)].

(٢) حسن: أخرجه أحمد (١/٤٠٢)، [((صحيح الجامع))(٥٦٣٤)].

(٣) صحيح: أخرجه البيهقى فى ((الشعب))(١/٦٩)، والحاكم (٤/٥٦٨)، وأبو نعيم فى ((الحلية))(١٠/٢٣٠)، والطبرانى فى ((المعجم الأوسط))(٢/٣١٧)؛[((صحيح الجامع))(٦٨٠)].

تاسعًا - الغلوُّ فى الدين :

الغلوّ: هو مجاوزةُ الحدِّ، وهو سببٌ لهلاك الأفرادِ والشعوبِ والأمم.

قال ﷺ: ((يا أيها الناس! إياكمْ والغُلُوّ فى الدين؛ فإنه أهلكَ من كان قبلكم الغلوُّ فى الدين))(1).

ولمّا كان الغلوُّ فى الدين سببًا للهلاكِ فقد حذر الله - عز وجل - فى كتابه من الغلوِّ فى الدين.

فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ (النساء: ١٧١).

وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾ (المائدة: ٧٧).

---

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٣٠٢٩)، والنسائي(٣٠٥٧)، وابن حبان(٣٨٦٠)، [((صحيح ابن ماجه))(٢٤٧٣)].

⇦ أمَّا أسبابُ النجاةِ فهي :

أولاً - الإيمانُ الصادق :

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (يونس: ١٠٣).

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ (هود: ٥٨).

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ (هود: ٦٦).

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ (هود: ٩٤).

ثانيًا - التقوى :

التقوى سببٌ للنجاةِ من عذاب الدنيا ومن عذاب يوم القيامة.

قال تعالى : ﴿ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (النمل: ٥٣).

وقال تعالى : ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (الزمر: ٦١).

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (النساء: ١٣١).

وما بعث الله رسولاً إلى قومه إلا وأمرهم بالتقوى، ففى سورة الشعراء يقول كل رسولٍ لقومه:

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (الشعراء: ١٢٤ ـ ١٢٦).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (الحشر: ١٨، ١٩).

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (آل عمران: ١٣٣).

وقال تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ (البقرة: ١٩٧).

وقال تعالى: ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ ﴾ (البقرة: ٢٣٧).

وقال تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ (النساء: ٩)

وقال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ ﴾ (المائدة: ٢).

وقـــال تعـــالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ ﴾ (المائدة: ٦٥).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ (التوبة: ١١٩).

ثالثًا - الذكرُ والدعاء فى السراء والضراء:

إذا كان العبدُ ذاكرًا لله - عز وجل - فى سرائه وضرائه داعيًا له فى كل وقتٍ، ثم وقع فى كربٍ وبلاءٍ فدعا الله، نجاه سبحانه وتعالى.

فهذا يونس عليه السلام يقول الله عنه: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (الأنبياء: ٨٧، ٨٨).

وأخبرنا الله فى كتابه عن سبب نجاة يونس عليه السلام.

فقال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (الصافات: ١٤٣، ١٤٤).

رابعًا - الأمرُ بالمعروفِ والنهى عن المنكرِ:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (الأعراف: ١٦٥).

خامسًا - الشكر:

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (القمر: ٣٣ - ٣٥).

سادسًا - التمسك بسنةِ رسول الله ﷺ.

قال ﷺ في موعظته البليغة: ((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أُمِّر عليكم عبدٌ حبشي، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهْديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة))[1].

سابعًا - قصصُ القرآنِ يبيِّنُ للمؤمنين أن الكفرَ ملةٌ واحدةٌ ويظهر ذلك من وجوهٍ:

الوجهُ الأولُ: كُفرُهم بكل ما جاءت به الرسل.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾ (إبراهيم: ٩).

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذى (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٢٦/٤)، والحاكم (١٧٦/١)، [((صحيح الجامع))(٢٥٤٩)].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ (الزخرف: ٢٣ ـ ٢٥).

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ (القصص: ٤٨ ـ ٥٠).

في هذه الآيات، يخبرُ ربنا ـ جل وعلا ـ رسولهُ محمدًا ﷺ أن الكفرَ ملةٌ واحدة، فما يسمعه من قومه هو عين ما قاله الكفار من قبل لمن أرسلوا إليهم، ولذلك يقول الله لرسوله ﷺ: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ (فاطر: ٨).

وقال تعالى: ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ (يس: ٧٦).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ (النمل: ٧٨، ٧٩).

الوجه الثانى: تكذيبهم بكلِّ ما جاءت به الرسلُ واتهامهُمْ بالكذب.

فى سورة الشعراء قصَّ الله علينا قصص الأنبياء مع أقوامهم فما مِنْ رسولٍ إلا وكذبهُ الملأُ الذين كفروا من قومه.

قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ (الشعراء: ١٠٥).

وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ (الشعراء: ١٢٣).

وفى سورة يس قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ (يس: ١٣ ـ ١٧).

ولم يكتفوا بذلك بل رموهم واتهموهم بالكذب.

فهذا فرعونُ ومن معه يتهمون موسى عليه السلام بالكذب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ (غافر: ٢٣، ٢٤).

وكذلك ثمود يتهمون نبيهم صالحًا عليه السلام بالكذب، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ (القمر: ٢٣ ـ ٢٦).

وها هم كفار مكة يتهمون رسول الله ﷺ بالكذب، قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ (ص: ٤، ٥).

فهذه أدلةٌ من كتاب ربنا ـ عز وجل ـ تُبينُ أن الكفرَ ملةٌ واحدةٌ وأن الكفار لا يعرفون إلا التكذيب بالحق كما قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ (ق: ٥).

وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾ (القمر: ١ ـ ٣).

الوجه الثالثُ - يظهرُ ذلك من سلوكهم سبيل السخرية والاستهزاء برسل الله، وكذلك من اتهامهم لرسلِ الله بالاتهاماتِ الباطلة.

● **سبيل السخرية والاستهزاء.**

قال تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٣٦ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۝٣٧ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۝٣٨﴾ (هود: ٣٦ ـ ٣٨).

وقال تعالى عن كفار مكة: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (الأنبياء: ٣٦).

وقال تعالى عنهم أيضًا: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ (الفرقان: ٤١).

● سبيل الاتهامات الباطلة مثل الضلال والجنون.

قال قوم نوح لنبيهم: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ (الأعراف: ٦٠).

فقال نوح عليه السلام لهم: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾ (الأعراف: ٦١).

وقالوا عنه أيضًا: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ (المؤمنون: ٢٥).

وقال فرعون عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ (الشعراء: ٢٧).

واتهم كفار مكة رسولَ الله ﷺ بالجنون، قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ (القلم: ٥١).

والله ـ عز وجل ـ يدافعُ عن رسولهِ فيقول: ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ (الطور: ٢٩). وقال تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ (التكوير: ٢٢).

وقال تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ (الكهف: ٥).

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ (الذاريات: ٥٢، ٥٣).

الوجه الرابعُ: حقدهم على الإسلام والمسلمين.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾ (الحج: ٧٢).

وقال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ﴾ (آل عمران: ١١٨).

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ (التوبة: ٨).

وقال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ﴾ (النساء: ٨٩).

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ﴾ (البقرة: ١٠٩).

وقال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ (البقرة: ١٠٥).

والله ﷻ يقول لهم: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

(فصلت: ٤٠).

الوجه الخامس: إنفاقهم أموالهم بالليل والنهار ليصدوا عن سبيل الله.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (الأنفال: ٣٦).

والكفار يقلبون الحقائق أمام الناس.

فهذا فرعون يقولُ لقومه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ (غافر: ٢٦).

وقال لهم أيضًا: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾

(غافر: ٢٩).

وقال لهم أيضًا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (الشعراء: ٣٤، ٣٥).

والله - عز وجل - يقول: ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ (٧٩) ﴾ (طه: ٧٩).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٤) ﴾ (القصص: ٤).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ (٩٩) ﴾ (هود: ٩٦ - ٩٩).

وقال الملأ الذين كفروا من قوم نوح عليه السلام: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ (٢٤) ﴾ (المؤمنون: ٢٤).

الوجه السادسُ: مكرهم بالليل والنهار برسلِ اللهِ فهم يريدون قتلهم أو إخراجَهُم من بلادهم.

قال تعالى: ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ (٤٩) وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) ﴾ (النمل: ٤٨ - ٥٢).

وقال تعالى عن قوم إبراهيم: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (العنكبوت: ٢٤).

وقال عنهم أيضًا: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ (الأنبياء: ٦٨-٧٠).

وقال تعالى عن فرعون: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ (غافر: ٢٦).

وقال تعالى عن كفار مكة: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ (الأنفال: ٣٠).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ (إبراهيم: ١٣).

وقال قوم لوط لرسولهم: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ (الشعراء: ١٦٧).

وقالوا أيضًا: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (النمل: ٥٦).

وها هم كفار مكة يخرجون الرسول ﷺ وأصحابَهُ من ديارهم وأموالهم.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ﴾ (الحج: ٤٠).

وقال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ (التوبة: ٤٠).

وإن الله ـ عز وجل ـ قد قال فى كتابه: ﴿ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ (غافر: ٢٥).

وقال تعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾ (البروج: ١٩، ٢٠).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾ ﴾ (الطارق: ١٥ ـ ١٧).

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ ﴾ (مريم: ٨٤).

الوجهُ السابع: ذلهم وندمهم حين ينزلُ بهم عذابُ الله ويظهر ذلك أيضًا حال اعترافهم فى نار جهنم بما أسلفوا.

قال تعالى: ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ٩٧).

وقال تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ (الحجر: ٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الأنعام: ٣٠).

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ (الزمر: ٧١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ (غافر: ٤٧ ـ ٥٠).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ (الزخرف: ٧٤ ـ ٧٨).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ (فاطر: ٣٦، ٣٧).

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ (الملك: ٦ـ ١١).



(١) بقرة بنى إسرائيل

أهداف القصة :

١- التعريف ببعض صفات بنى إسرائيل .

٢- التنبيه إلى أهمية الاستجابة الفورية لأمر الله ﷻ .

٣- التذكير بقدرة الله تعالى على إحياء الموتى .

٤- التحذير من كثرة السؤال فيما لا ينبنى عليه عمل .

٥- معرفة أهمية التزام الأدب مع الله ﷻ .

٦- غرس قيمة احترام الأنبياء وتوقيرهم فى النفوس .

الآيات:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

(البقرة: ٦٧ - ٧٣).

البيان:

في عهد نبي الله موسى عليه السلام كان يعيش رجل غني ولم يكن له أولاد يرثونه من بعد موته، وكان هذا الرجل يعطي الفقراء ولا يبخل بماله على أحد فكان الناس جميعًا يحبونه حبًّا شديدًا. وكان لهذا الرجل إخوة فقراء يحقدون عليه رغم أنه كان يعطيهم من ماله الكثير والكثير وكانوا يحسدونه ويتمنون موته ليأخذوا ماله؛ لكن الله تعالى أطال في عمره حتى ضاق إخوته فاجتمعوا سرًّا عند أحدهم ذات ليلة ورأى أحدهم أن يصبروا حتى يموت ثم

يأخذوا ماله، ورأى آخرون أن يقتلوه ويتخلصوا منه فاعترض بعضهم بأن الناس حينئذٍ سيعلمون بأنهم هم الذين قتلوه ليأخذوا ماله فوسوس إليهم الشيطان بأن يقتلوه ويسرعوا باتهام أحد الجيران. وبالفعل نفذ القتلة جريمتهم وقتلوا أخاهم وأسرعوا بإلقاء التهمة على الجار البريء فاجتمعوا عنده وجاء أهل القرية وكاد أن يتقاتل إخوة الرجل وأهل الرجل الذى اتهموه ظلمًا فى قتل أخيهم، فأشار بعضهم أن يذهبوا لنبى الله موسى عليه السلام ويسألوه، فأوحى الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام أن يأمرهم بذبح بقرة ولكنهم قالوا لنبى الله: "يا موسى أتسخر منا وقد جئنا نستشيرك فيما يجب أن نفعله؟!" فأخبرهم بأن الله - تعالى - يأمرهم أن يذبحوا بقرة... وكان يمكنهم أن يستجيبوا لأمر الله فيذبحوا أى بقرة، لكنهم عادوا فسألوا نبى الله موسى عليه السلام عن لون البقرة وعن أوصافها، وكان يجيبهم فى كل مرة حتى عجزوا بسبب أسئلتهم الكثيرة وعدم استجابتهم الفورية لأمر الله - تعالى - أن يجدوا هذه البقرة إلا بعد بحث طويل ومجهود شاق عند راع فقير، ولما رأى هذا الراعى عزمهم الأكيد على شرائها طلب منهم وزنها ذهبًا، فإذا كانت تزن خمسين كيلو جرامًا مثلاً فيجب أن يدفعوا خمسين كيلو جرامًا ذهبًا، ولم يجدوا أمامهم إلا أن يجمعوا له ما طلب من المال ويأخذوا البقرة ثم توجهوا جميعًا إلى نبى الله موسى عليه السلام، فأوحى الله - تعالى - إليه أن يأمرهم بذبح البقرة وأن يضربوا القتيل بجزء منها، فلما فعلوا ذلك إذا بالرجل القتيل يجلس فى مكانه ويخبر عن الذين قتلوه وهم إخوته ثم يموت مرة أخرى وسط دهشة عظيمة من جميع بنى إسرائيل، وهكذا ظهر الحق، وخسر القتلة كل شيء بسبب طمعهم وحقدهم.

عبر ودروس هادية وفوائد إيمانية
من قصة بقرة بنى إسرائيل

حب المال غريزة فى الإنسان، ولكنه إذا استولى على قلب الإنسان وعقله أدى به إلى عواقب غير محمودة، ونهاية غير محبوبة، أما كثرة الجدال فإنها تورث التردد وعدم الطاعة والوقوع فى المعاصي، إضافة إلى قضية البعث يوم القيامة للحساب على ما قدمنا من أعمال.

* **العبر والدروس:**

١- حب المال إذا زاد عن حده أورث صاحبه طمعًا يقتل صاحبه، وتطلعًا إلى ما فى أيدى الناس، وهذا ما نجده فى هذه القصة، كيف أدى حب المال إلى ارتكاب جريمة القتل؛ لذا يجب علينا أن لا نجعل المال يستولى على قلوبنا حتى لا يتحكم فينا؛ ويجعل منه إبليس وسيلة إلى تزيين المعاصى لنا لنحصل عليه بأى طريق حلالاً كان أم حرامًا.

٢- اللجوء للحيل الخبيثة ليس من طباع المؤمنين المخلصين لذا يجب علينا أن نأخذ العبرة وأن لا نلجأ إلى مثل هذا الأسلوب؛ لأن هذا يتنافى والأخلاق الفاضلة، ناهيك عن مخالفته للدين الحنيف.

٣- العمل الشريف الذى يرضى عنه الله ـ سبحانه وتعالى ـ، هو أفضل طريق لكسب الرزق، أما التحايل على الناس وسلب أموالهم فهو عمل غير شريف، ولا يصح لإنسان أن يفعل ذلك.

٤- حب المال الزائد يجعل طريق الحصول عليه محفوفًا بالمخاطر، ومن هنا قد يرتكب الإنسان الجريمة بحيث يحصل على هذا المال، وهذا ما رأيناه فى ثنايا أحداث هذه القصة حيث ارتكبت جريمة قتل شنيعة للحصول على المال.

٥- إذا أراد الله بسط الرزق لعبد من عباده هيأ له الأسباب، ومهد له طرق الخير، هذه حقيقة لابد من الاعتراف بها، والعمل على هديها، وقد رأينا ذلك الولد الصالح عندما أراد الله أن يجعله من أغنياء بنى إِسرائيل، كيف سهل الله له السبل لذلك.

٦- جزاء الإحسان إحسان، هكذا تعلمنا من عبر هذه القصة حيث أغنى الله الولد الصالح البار بوالدته، أحسن الولد إليها وإلى الناس فأحسن الله إليه والله يحب المحسنين .

٧- أما الدرس المهم والعبرة الغالية فِى هذه القصة فهما الدليل العملي، والبرهان البيانى في كيف يحيى الله الموتى، ليكون دليلاً يجعل الإنسان دائمًا على استعداد لهذا اليوم، وأن يخشى الله فيما يفعل وما يترك، وأن يعرف معرفة لا شك فيها، ويؤمن إيمانًا لا ريب معه أنه سيبعث بين يدى الله ليسأله عما اقترفت يداه وسوف يحاسب على ما قدم فى هذه الحياة، فالعاقل من يعمل لهذا اليوم.

٨- خراب القلب من الأمن والغفلة، وعمارته بالخشية والذكر.

● إذا زَهِدَتِ القلوبُ فى موائد الدنيا، قعدت على موائد الآخرة بين أهل تلك الدعوة، و إذا رضيت بموائد الدنيا فاتتها تلك الموائد.

● القلب يمرض كما يمرض البدن، وشفاؤه فى التوبة والحمية؛ ويصدأ كما تصدأ المرآة وجلاؤه بالذكر؛ وَيَعْرَى كما يعرى الجسم، وزينته التقوى، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الأعراف: ٢٦)، ويجوع القلب ويظمأ كما يجوع البدن، وطعامُه وشرابه المعرفةُ والمحبة والتوكل والإنابة والخدمة.

٩- نبَّه قوله تعالى ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (البقرة: ٦٧)، على أن الاستهزاء بأمرٍ من أمور الدين جهل كبير، وقد منع المحققون من أهل العلم استعمال الآيات كأمثال يضربونها فى مقام المزح والهزل، وقالوا إنما أُنزل القرآن للتدبر والخشوع لا للتسلى والتفكه والمزاح.

١٠- ذكر تعالى إحياء الموتى فى هذه السورة الكريمة فى خمسة مواضع: فى قوله: ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ ﴾ (البقرة: ٥٦)، وفى هذه القصة: ﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ ﴾ (البقرة: ٧٣)، وفى قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡ ﴾ (البقرة: ٢٤٣) وفى قصة عزير: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾(البقرة: ٢٥٩)، وفى قصة إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

١١- المسارعة إلى تنفيذ أوامر الله ورسوله ﷺ وعدم التلكؤ فى الاستجابة.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الأنفال: ٢٤).

فالحياة الحقيقية فى الاستجابة لأمر الله ولأمر رسول الله ﷺ ... وهذه مقتضيات الشهادة.

فأنت تقول: أشهد أن لا إله إلا الله .... أى كأنك تقول: أنا أعبد الله وكأنى أراه ... فإن لم تكن تراه فإنه يراك حقيقة. فمن عَبَد الله كأنه يراه فلا يمكن أن يعصيه أبدًا فإن كان العبد لا يرى الله ﷻ فى الدنيا فهو على يقين من أن الله يراه وهذه هى مرتبة الإحسان التى هى أعلى مراتب هذا الدين.

ولذلك لما سأل جبريل عليه السلام النبى ﷺ عن الإحسان - كما فى الصحيح - قال: ((الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لمَ تكن تراه فإنه يراك)).

موانع الاستجابة

إن موانع الاستجابة لأمر الله ولأمر رسول الله ﷺ كثيرة، منها:

١- التعلق بغير الله تعالى:

من مفسدات القلب التعلق بغير الله تبارك وتعالى. وهذا أعظم مفسداته على الإطلاق.

فليس عليه أضر من ذلك، ولا أقطع له عن مصالحه وسعادته منه، فإنه إذا تعلق بغير الله وكله الله إلى ما تعلق به، وخذله من جهة ما تعلق به، وفاته تحصيل مقصوده من الله ﷻ، بتعلقه بغيره، والتفاته إلى سواه. فلا على نصيبه من الله حصل، ولا إلى ما أمله ممن تعلق به وصل.

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ۝٨٢﴾ (مريم: ٨١، ٨٢).

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ۝٧٤ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ ۝٧٥﴾: (يس ٧٤، ٧٥).

فأعظم الناس خذلانًا من تعلق بغير الله؛ فإن ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه، أعظم مما حصل له مما تعلق به. وهو معرَّض للزوال والفوات. ومثل المتعلق بغير الله: كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت، أوهن البيوت.

فأساس الشرك وقاعدته التي بني عليها: التعلق بغير الله. ولصاحبه الذم والخذلان، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ (الإسراء: ٢٢). مذمومًا لا حامد لك، مخذولاً لا ناصر لك.

٢- الاغترار بكثرة أهل الباطل يؤدي إلى تحريف الحق:

إن رؤية أكثر أهل الأرض وهم يعيشون بعيدًا عن شرع الله وعن هدى رسول الله ﷺ جعل الفتنة تتسرب شيئًا فشيئًا إلى أصحاب القلوب الغافلة حتى ظنوا أن الحق مع الكثرة... مع أن الله ((جل وعلا)) قال في كتابه وهو أصدق القائلين: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ (الأنعام: ١١٦)، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ (يوسف: ١٠٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ (يوسف: ١٠٦).

وقال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

(المائدة: ٤١).

وهذا الشيء الذى حدث مع مشركى قريش حين قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (الزخرف: ٢٣)، ولقد حذرنا الحق ((جل وعلا)) من هذا فقال: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ (المائدة: ١٠٠).

ولذا فإن من الواجب علينا ألا نغتر برؤية أهل الباطل وهم يملأون الأرض فسادًا وإضلالاً.. وعلينا أن نتبع قول الحق جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ (التحريم: ٦)، وأن نذكر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ (الأنعام: ٩٤)، وقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ (مريم: ٩٣ ـ ٩٥).

وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ (الإسراء: ١٣ـ ١٥).

٣- اتباع الهوى:

ومن أعظم الأسباب فى عدم الاستجابة ((اتباع الهوى و النفس وطريق الضلال)) وهى أبواب الشيطان إلى القلب. قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ ﴾ (الحج: ٣، ٤).

وقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (القصص: ٥٠).

وقال تعالى موضحًا خطر اتباع الهوى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (الفرقان: ٤٣، ٤٤).

وقال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

(الجاثية: ٢٣).

فهذا الذى يتبع هواه يناديه الله عز وجل من فوق سبع سماوات قائلاً: ((ففروا إلى الله))، ومع هذا تجد من يتّبع هواه ((يفر من الله))، ((ولا حول ولا قوة إلا بالله)).

٤- النشأة فى بيئة غير صالحة:

إن النشأة فى تلك البيئة يُضعف الإيمان ومن ثَم يجعل الاستجابة صعبة ولذلك فإن المؤمن لابد أن يحرص على أن يعيش فى بيئة صالحة تعينه على أمر دينه ودنياه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩) ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٠) ﴾ (النساء: ٩٧ - ١٠٠).

٥- الحاجة إلى القدوة الصالحة و الإقبال على الطاعات:

إن وجود القدوة الصالحة من أهم أسباب الاستجابة والهداية، وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا (٢١) ﴾ (الأحزاب: ٢١).

فالهداية والاستجابة لن تكون إلا باتباع المصطفى ﷺ كما قال تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ (الممتحنة: ٦).

٦- عدم السماع:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (فصلت: ٢٦).

وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الأنعام: ٣٦).

ولهذا أمرنا الله بأن نستمع لأمره بقلوبنا قبل أى شىء فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الأنفال: ٢٠-٢٤).

فإن لم يستمع الإنسان لأمر الله ويستجب له فإن الله أخبر عن حال هذا الإنسان فى النار حين يقول هو ومن على شاكلته: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾ (الملك: ١٠، ١١).

فالذين يستجيبون للشيطان ولا يستجيبون للرحمن .... هؤلاء لهم أعين ولكن لا يبُصرون بها ولهم آذان ولكن لا يسمعون بها ... كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ (ق : ٣٧)، وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (الأعراف : ١٠٠)، وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (الأعراف : ١٧٩).

فالبصر الحقيقى بصر القلب، والسمع الحقيقى سمع القلب.

قال تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الحج : ٤٦).

و قال تعالى : ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (المطففين : ١٣، ١٤).

٧- الانشغال بشهوات الدنيا وملذاتها :

قال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ (مريم : ٥٩).

وقال تعالى : ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (هود : ١٤-١٦).

ومن الأسباب أيضًا: الانشغال بالمال والزوجة والأولاد يقول الله عز وجل: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (الأنفال: ٢٨)، وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ (آل عمران: ١٤).

فإن اتبَّع الإنسان الشهوة تسلط الشيطان كما أخرج آدم عليه السلام من الجنة بالشهوة.

و إن جاهد الشهوات و لم يسلطها على نفسه، و تَشَبَّه بأخلاق الملائكة، صار قلبه مستقر الملائكة و مهبطهم.

٨- طول الأمل والغفلة عن الآخرة والتمني:

قال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ (الحجر: ٣).

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ (ق: ٢٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ (مريم: ٣٩).

وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ (الأنبياء: ١).

وقال تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ (الأنبياء: ٩٧).

وقال ﷺ: ((يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والأمل))[١].

يهدد الله تعالى الكافرين، ويقول لرسوله الكريم: دعهم فى غفلاتهم، يتمتعوا ويأكلوا ويلههم الأمل بالحياة عن التوبة والإنابة إلى الله، فسوف يعلمون سوء عاقبتهم إذا هم عاينوا سوء الجزاء.

ومن موانع الاستجابة: ركوب بحر التمنى و هو بحر لا ساحل له.

الكلمة الأخيرة:

رحم الله عبدًا عمل لساعة الموت.

رحم الله عبدًا عمل لما بعد الموت.

رحم الله عبدًا نظر لنفسه قبل نزول الموت.

---

(١) أخرجه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى عن أنس.

كيف نستجيب لأمر الله تعالى؟

لكي نستجيب لأمر الله ولأمر رسول الله ﷺ، فعلينا أولاً أن نسد مداخل الشيطان (الشهوة والغضب والهوى والحسد والطمع في الناس والعجلة والبخل وخوف الفقر) وأن نبتعد عن أسباب ((عدم الاستجابة)) التي ذكرناها ... ثم علينا أن نأخذ بالأسباب التي تثمر في قلوبنا ثمرة الهداية والإيمان.

١- قراءة القرآن بتدبر والعمل بما فيه؛ فالقرآن فيه الوعد والوعيد وفيه ذكر الجنة والنار والأحكام والأخبار والقصص والآداب والأخلاق. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ (يونس: ٥٧).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ (فصلت: ٤٤).

وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ (الإسراء: ٨٢).

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ (الزمر: ٢٣).

٢- استشعار عظمة الله عز وجل ومعرفة أسمائه وصفاته والتدبر فيها وعقل معانيها واستقرار هذا الشعور فى القلب وسريانه إلى الجوارح لتنطق عن طريق العمل بما وعاه القلب فهو مَلِكُها وسيدها وهى بمثابة جنوده وأتباعه فإذا صَلُح صلحت وإذا فسد فسدت. ولذا قال جل وعلا: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (الزمر: ٦٧).

٣- طلب العلم الشرعى وهو العلم الذى يؤدى تحصيله إلى خشية الله وزيادة الإيمان به ﷻ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ (فاطر: ٢٨).

٤- الاستكثار من الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ (الكهف: ١، ٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ (الإسراء: ٩).

٥- الخوف من سوء الخاتمة: لأنه يدفع المسلم إلى الطاعة ويجدد الإيمان فى قلبه؛ أما سوء الخاتمة فأسبابها كثيرة منها ضعف الإيمان والانهماك فى المعاصى - فساد الاعتقاد والبدع - الكذب - التسويف بالتوبة - عدم الاستقامة على الطاعة - مصاحبة أهل الفساد - النفاق ومخالفة الباطن للظاهر، وعدم تذكر الموت؛ فإن من جعل الموت نُصب عينيه بادر بالأعمال الصالحة حتى إذا وافته المنية مات على طاعة الله جل وعلا.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ (الرعد: ٢١).

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ (٤١) ﴾ (النازعات: ٤٠، ٤١).

وقال تعالى: ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ (٤٦) ﴾ (الرحمن: ٤٦).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسًا قَمۡطَرِيرًا (١٠) ﴾ (الإنسان: ١٠).

وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ (٥١) ﴾ (الأنعام: ٥١).

وقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ (١٦) ﴾ (السجدة: ١٦).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴾ (المؤمنون: ٥٧).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴾ (المؤمنون: ٦٠).

٦- ذكر الله تعالى: وهو صحة وطاعة القلوب وشفاؤها ودواؤها، وقد أمر الله به فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا (٤١) ﴾ (الأحزاب: ٤١). أن لا يفتر عن ذكر ربه، ولا يأنس بغيره إلا بمن يدله عليه ويُذَكِّرُه، ويُذَاكِرَه بهذا الأمر، وأن يكون همه واحدًا، أن يكون فى الله.

ووعد بالفلاح لمن أكثر منه فقال: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾ (الأنفال: ٤٥)، وهو وصية النبى ﷺ لمن كثرت عليه شرائع الإسلام فقال له: ((لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله)).

٧- قصر الأمل: وهذا مهم جدًّا فى تجديد الإيمان، يقول ابن القيم رحمه الله: ومن أعظم ما فيها هذه الآية ﴿أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ٢٠٦ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ٢٠٧﴾ (الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧).

وقال تعالى: ﴿كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ (يونس: ٤٥).

وقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾ (الأحقاف: ٣٥). وقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ٥٥﴾ (الروم: ٥٥).

٨- التفكر فى حقارة الدنيا حتى يزول التعلق بها من قلب العبد ... قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ (الحديد: ٢٠).

وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٣٢﴾ (الأنعام: ٣٢).

استجب قبل فوات الأوان

على المسلم إقامة التوحيد لله (جل وعلا) والاستعانة بالله ـ تقوى الله ـ الصدق ـ التوبة من قريب ـ التفكر فى حقارة الدنيا وأن يعمل صالحًا لعله أن يخفف عنه من السكرات فى ذلك اليوم العصيب وإقامة التوحيد . استجب لنداء الرحمن قبل فوات الأوان .

قال تعالى :﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (آل عمران : ١٣٣ – ١٣٦) . وقال جل شأنه :﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ (الحديد : ٢١) .

أما سمعت قول الله تعالى وهو يصف حال أهل الغفلة وهم يصرخون بعد موتهم يريدون الرجوع مرة أخرى إلى الدنيا ليعملوا صالحًا؟!

قال تعالى :﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

(المؤمنون: ٩٩ ، ١٠٠). وقال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴾ (غافر: ١١). وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (فاطر: ٣٦، ٣٧).

وقال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الفجر: ٢١ ـ ٢٦).
وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (السجدة: ١٢ـ ١٤).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (الأنعام: ٩٤).

وقال تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ (التغابن: ٧).

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الزمر: ٤٧، ٤٨).

وقال تعالى: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الشورى: ٤٥).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الزخرف: ٣٦ ـ ٣٨). وقال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (الزخرف: ٦٦).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (الدخان: ١٥، ١٦).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (طه: ١٢٤ ـ ١٢٦).

حاسب نفسك واجعل لنفسك مع نفسك وقفةً صادقة لتعرف وجهتك ومقصدَك من الآن فتبذل الغالي والنفيس من أجل مرضاة الله والفوز بجنته واعلم أن هذا هو الفوز العظيم الذى لا فوز بعده.

أما إن غفلت عن تلك الغاية فليس أمامك إلا الندم حيث لا ينفع الندم ولا تُجدى الحسرة والألم.

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (فصلت: ٣٠).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

(الأحقاف: ١٣، ١٤).

(٢) هاروت وماروت

أهداف القصة :

١- اليقين بأن النافع والضار هو الله تعالى .

٢- التعريف بخطورة السحر وجزاء السحرة .

٣- التأكيد على أهمية الحفاظ على الرابطة الأسرية .

٤- التحذير من اللجوء إلى السحرة والعرافين .

٥- التنبيه إلى ضرورة الابتعاد عن إيذاء الناس .

٦- التحذير من تعلم العلوم الضارة أو غير النافعة .

٧- التحذير من الشرك بالله تعالى .

٨- التأكيد على الإيمان بالقدر وأنه أحد أركان الإيمان .

الآيات:

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (البقرة: ١٠١-١٠٣).

البيان:

ذكَر الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بعضَ مخازى اليهود من بنى إسرائيل، الذين لم يؤمنوا به ولا بالقرآن الكريمِ المصدِّق للتوراة الأصلية التى أُنزلت على نبي الله موسى عليه السلام وتضمنت الدعوة إلى الإيمانِ باللهِ وحدَه لا شريكَ له ولا شبيه، والإيمان بموسى عليه السلام رسولاً ونبيًّا، وبالإسلامِ دينًا وشريعةً.

وكان من المخازى التى ارتكبها الكفارُ من بنى إسرائيل أنَّهم فى عهد نبى الله سليمانَ عليه السلام تركوا الزَّبور كتابَ الله واتَّبعوا ما ألقت إليهم الشياطين من كُتب السِّحر.

كانتِ الشياطين تصعدُ إلى الفضاءِ فتصل إلى الغمام والسحابِ حيثُ يسترقونَ السمعَ من كلامِ الملائكةِ الذين يتحدَّثونَ ببعض ما سيكونُ بإذن الله فى الأرض من موتٍ أو أمر أو مصائب، فيأتون الكهنة الذين يزعمون بأنَّهم يعلمون الغيبَ ويُخبرونهم، فتُحدِّثُ الكهنةُ الناسَ فيجدونه، كما قالوا، فلما ركنت إليهم الكهنة، أدخلوا الكذبَ على أخبارهم فزادوا مع كل كلمةٍ سبعين كلمة، وكتبَ الناسُ ذلك الكلام فى الكتب، وفشا فى بنى إسرائيل أنَّ الجنَّ والشياطين يعلمون الغيبَ والعياذ بالله. فبعثَ نبى الله سليمان عليه السلام بعضَ جنوده وجمعَ تلك الكتبَ فجعلها فى صندوق، ثم دفنها تحتَ كرسيّه، ولم يكن أحدٌ من الشياطين يستطيع أن يقتربَ من الكرسى وإلاّ احترقَ، وقال سليمان: ((لا أسمعُ أحدًا يذكرُ أنَّ الشياطين يعلمونَ الغيبَ إلاّ ضربتُ عنقَه)). وكانت الشياطينُ مغتاظينَ من نبى الله سليمان عليه السلام لأنَّ اللهَ أعطاهُ سرًّا، فكانوا يطيعونه مع كفرهم، فكانوا يعملون له أعمالاً شاقّة. ولما ماتَ سليمان عليه السلام، وقلّ عدد العلماءِ الذين عرفوا ماذا فعل سليمانُ بكتبِ السّحر وأنَّه دفنها تحت كرسيّه، ومضى جيلٌ وأتى غيرُه، تمثّل إبليسُ فى صورة إنسان، ثمّ أتى جماعة من بنى إسرائيل، فقال لهم:

هل أدلّكم على كنْزٍ لا ينفد بالأخذ منه؟ قالوا: نعم، قال: ((إنّ سليمان لم يكن نبيًّا إنما كان ساحرا، فاحفروا تحتَ كرسيّه))، فاعترض المسلمونَ وغضبوا وقالوا: ((بل كان سليمانُ نبيًّا مسلمًا مؤمنًا)). وعاد إبليس لتزيين الشر فوسوسَ للكفار من بنى إسرائيل ممن صدقوا كلامَه وذهب معهم وأراهم المكانَ ووقف جانبًا، فقالوا له: ((اقتربْ يا هذا))، فقال:

لا ، ولكننى ها هنا بين أيديكم، فإن لم تجدوا الصندوق فاقتلوني، فحفروا فوجدوا الصندوق وأخرجوا تلك الكتب. فلما أخرجوها قال إبليس اللعين: ((إن سليمان إنما كان يضبط الإنس والشياطين والطيرَ بهذا السحر))، فقال الكفار: ((لقد كان سليمان ساحرًا، هذا سِحرهُ، به كان يأمرنا وبه يقهرنا)). ثم طار إبليس، وفشَا بين الناس أن سليمان كان ساحرًا والعياذ بالله، (وكذلك صاحبُه آصفُ بنُ برْخيا الذى جلب له عرش بلقيس بكرامةٍ أكرمه الله بها) ـ والله أعلم ـ ، وأخذ كفارُ بنى إسرائيل يعلمون بما فى تلك الكتب، والحقُّ أن السحرَ ليس من عمل الأنبياءِ ولا الأولياء، وما كفَر سليمان عليه السلام لأنّه نبى من عند الله منزّه عن الكبائر وصغائرِ الخِسَّة وعن كل القبائح والرذائل فضلاً عن أنّه منزَه عن الكفر. ولما كثُر السحرةُ الذين تتلمذوا على أيدى الشياطين فى عهد سيدنا سليمان عليه السلام وادَّعوا النبوةَ وتحدّوا الناس بالسحر، أنزل الله مَلَكين من ملائكته الكرام وهما هاروت وماروتُ ليعلّما الناسَ ما هو السحرُ فيتمكنوا من تمييز السحر من المعجزة، ويتبين كذبُ السحرةِ فى ادعائهم النبوة، ولكى لا يلتبس على بعض الناس حالهم، فإنّ السحرَ يعارَض بسحرٍ أقوى منه فقد يبطِل السحرَ ساحرٌ آخر.

وفيه التمويه والتخييل على الناس، وخُدع وشعوذات، ومن جهةٍ أخرى هو نوعٌ من خدمة الشياطين للسحرة لأن الشياطين أجسام لطيفة لا يراها الناس، ويكونُ السحرُ أحيانًا بوضع تركيبةٍ من موادَّ معينةٍ تُجمع وتُحرق ويتخذُ منها رماد وحِبرٌ ويُقرأ عليها كلمات وأسماء ثم تستعمل فيما يحتاجُ إليها من السحر، وأما المعجزةُ فهى أمرٌ خارق للعادة لا يعارض

بالمِثْل، يظهر على يدِ النبي، وقد يكونُ مقرونًا بالتحدّي. نزلَ الملَكان هاروت وماروت ليُظهرا للناسِ الفرقَ بين السحر المطلوب تجنُّبه، وبين المعجزةِ التى هى دليلُ نبوّة الأنبياء عليهم السلام، فكانا يعلّمان تعليمَ إنذارٍ لا تعليمَ تشجيع له، كأنهما يقولان: لا تفعل كذا، كما سأل سائل عن صفة الزنا أو القتل أُخبر بصفته ليجتنبه، أو يقولان: فلا تكفر، أى فلا تتعلم السحرَ معتقدًا أنّه حقّ فتكفر وكانا لا يُعلّمان أحدًا حتى ينصحاهُ بأنهما جُعلا ابتلاءً واختبارًا، وبيَّن اللهُ فى القرآن أن الملكيْن أقصى ما يعلّمانه هو كيفَ يُفرّق بين الرجل وزوجته، وأن ضرر ذلك لا يكونُ إلا بمشيئة الله، لأنَّ اللهَ تعالى هو الذى يخلق النفع والضرر، ثم أثبتَ تعالى أنّ من يتعلم السحر ويرتكبه فهو ضرر عليه ويعودُ عليه بالوبال.

وهاروت وماروت ملَكان كريمان من ملائكةِ اللهِ الذين لا يعصون اللهَ ما أمرهم ويفعلونَ ما يؤمرون.

⇦ المستخلص عن قصةِ هاروت وماروت سيكون حول العناصر التالية:

- **العنصرُ الأول:** اليهود تركوا الحق واتبعوا الباطل.
- **العنصر الثانى:** اليهودُ والسحرُ.
- **العنصرُ الثالث:** هاروتُ وماروتُ.

- العنصر الأول: اليهودُ تركوا الحق واتبعوا الباطل:

يقول الله عز وجل: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (يونس: ٣٢). ويقول سبحانه: ﴿ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (يونس: ٣٥).

من ترك الحق اتبع الباطل .

ومن ترك الهدى اتبع الضلال.

ومن ترك سبيل المؤمنين اتبع سبيل المجرمين.

ومن ترك عبادة الرحمن ابتلى بعبادة الأوثان .

ومن لم ينفق ماله في طاعة الله أنفقه في طاعة الشيطان .

ومن ترك الذل لربه ابتلى بالذل للعبيد .

ومن زاغ أزاغ الله قلبه، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ (الصف: ٥).

ومن ضل زاده الله ضلالاً ، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾ (مريم: ٧٥).

ومن اهتدى زاده الله هدى، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ (محمد: ١٧).

اليهودُ تركوا الحق الذى جاء به محمدٌ ﷺ واتبعوا ما تتلو الشياطين، قال تعالى عنهم فى قصة هاروت وماروت: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ - وهو محمدٌ ﷺ - ﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ - أى: لما فى التوراة - ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ ﴾

(البقرة: ١٠١، ١٠٢).

جاءت الأدلة تُخبرُ أن اليهود يعرفون محمدًا ﷺ كما يعرفون أبناءهم ومع ذلك فإنهم لم يؤمنوا به حسدًا من عند أنفسهم واتبعوا الباطل، والدليل على ذلك من القرآن:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ (الصف: ٦). وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (آل عمران: ٨١).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

(الأحقاف: ١٠).

- العنصرُ الثانى : اليهودُ والسحرُ :

اليهود تركوا الحق الذى جاءت به التوراة، وجاء به القرآن، وجاء به محمد ﷺ واتبعوا السحر الذى جاءت به الشياطين. قال تعالى: ـ ﴿ وَٱتَّبَعُوا ﴾ أى: اليهود ـ ﴿ مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ أى: ما ترويه وتخبر به وتحدث: ـ ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ أى: على عهد ملك سليمان ـ ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾ أى: بتعلم السحر ـ ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا ﴾ أى: بذلك.

اليهود نبذوا ما جاء فى التوراة والقرآن من وجوب الإيمان بجميع رسل الله تعالى، واتباع ما جاءوا به من توحيد الله وطاعته، واتبعوا ما علمتهم الشياطين من السحر الذى نسبته إلى سليمان عليه السلام كذبًا وزورًا! وسليمان عليه السلام رسول أمين بريء من السحر، وما زعمته الشياطين لأتباعهم أن سليمان عليه السلام ما بلغ ذلك الملك العظيم والحكم على الجن والإنس إلا بالسحر.

⇦ وقد جاءت الأدلة فى كتاب الله تعالى تحدث عن وجود السحر والسحرة :

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ (البقرة: ١٠٢). وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (يونس: ٨١). وقال تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَٰحِرٍ

﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ (طه: ٦٧ـ ٦٩). وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا﴾ ـ أى: السحرة ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ (الأعراف: ١١٦). وقال تعالى: ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ (الأعراف: ١٢٠ ـ ١٢٢).

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ (الفلق: ١ ـ ٤).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ (الأعراف: ١٣٢).

وقال تعالى: ﴿لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ (الحجر: ١٥).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ (الزخرف: ٤٩).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ (المدثر: ٢٣ — ٢٥).

لقد حاربت الآية التى مرت معنا السحر والساحرين، وحارب الملكان هاروت وماروت السحر والساحرين. وعند إمعان النظر فى الآية، فإننا نجدها تعتبر السحر كفرًا، وتعتبر الساحر كافرًا والأدلة على ذلك من الآية هى:

١- نفيها للسحر عن سليمان عليه السلام بهذه العبارة: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾ أى: إن سليمان عليه السلام لم يكن ساحرًا، ولم يكن يتعامل بالسحر، والآية عندما نفت السحر عن سليمان عليه السلام، نفت عنه الكفر، وهذا يدل على التلازم بين السحر والكفر والارتباط الوثيق بينهما.

٢- إثبات الكفر للشياطين حال تعليمهم السحر للناس: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ إن الشياطين قد كفروا لأنهم علّموا الناس السحر، أى كفروا عندما مارسوا السحر وعملوا به وعلموه الآخرين.

٣- جاء تحذيرُ الملكين ـ هاروت وماروت ـ للناس من ممارسة السحر والعمل به بهذه الصيغة: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ قالا: إنما نحن فتنة واختبار، وابتلاءٌ وامتحان، فلا تعمل بالسحر، ولا تكفر، قالا: لا تكفر ولم يقولا لا تسحر، وما هذا إلا للتلازم والارتباط بين السحر والكفر.

فعندما أراد الله نفى السحر عن سليمان عليه السلام، نفى عنه الكفر، وعندما أراد الملكان نهى الناس عن ممارسة السحر نهوهم عن الكفر.

والسحر نوعان:

١- سحر تخييل: قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ (طه: ٦٦).

٢- سحر تفريق: يفرق الساحر به بين المرء وزوجه، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ (البقرة: ١٠٢).

وقد حصر البعض أصول السحر فى ثلاثة:

- زجر النفوس بمقدمات توهيمية وإرهابية بما اعتاده الساحر من التأثير النفسانى فى نفس المسحور الضعيف روحًا، المستعد لقبول التأثير ويشهد لهذا قول الله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ (الأعراف: ١١٦).

- استخدام مؤثرات من خصائص الأجسام من حيوان ومعادن كالزئبق وسائر العقاقير المؤثرة ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ (طه: ٦٩).

- الشعوذة باستخدام خفايا الحركة والسرعة حين يخيل أن الجماد يتحرك ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ (طه: ٦٦).

اعلموا أن السحر والساحر لا يستطيعان أبدًا أن يضرا أحدًا إلا بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ١٠٢).

- العنصر الثالث : هاروت وماروت :

وإذا كنا نريد أن نعرف قصة هاروت وماروت فلا بدّ أن نقف عند بيان القرآن لها .

يُشيرُ القرآن إلى أن الله ـ سبحانه ـ اختار ملكين من ملائكته أحدهما ((هاروت)) والآخر ((ماروت)) وأهبطهما فى مدينة ((بابل)) وهى مدينة معروفة فى العراق، ويبدو أن لمهمتهما التى أرسلا لأجلها فى بابل صلة بالسحر، ومن المعروف أن السحر كان منتشرًا فى بابل، ولعله انتشر فيها على أيدى اليهود ؛ فإن السحر مرتبطٌ باليهود ارتباطًا مباشرًا، وهم أكثر الأمم والشعوب ممارسةً ونشرًا له.

هاروت وماروت كانا يُعلّمان الناس السحر بإذنٍ من الله؛ لكشف حقيقته وتحذير الناس منه، لا ليتعلموه ويمارسوه ويعملوا به، ولهذا كانا لا يعلّمانِ من أحدٍ حتى يقولا له : إنما نحن فتنة فلا تكفر، أى فلا تعمل بالسحر ولا تمارسه فتكفر بذلك. وبعد أن انتهت مهمةُ الملكين ((هاروت وماروت)) فى بابل صعدا إلى السماء ملكين كريمين، كما نزلاً منها ملكين كريمين.

ولكنّ أهل بابلٍ لم يأخذوا بنصيحة الملكين الكريمين، بل لقد استغلوا ما تعلموه من السحر فى الشر والفساد! فصاروا يمارسون السحر، ويفرقون به بين المرء وزوجه، وقد ذمهم الله بذلك التصرف الضال، قال تعالى :﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (البقرة ١٠٢).

ولعل هناك سؤالاً يدور فى الأذهان وهو : كيف تُعلِّمُ الملائكة السحر والله ـ عز وجل ـ يقول فى وصفهم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾؟ (التحريم : ٦).

الجواب : الملكان هاروت وماروت لم يعصيا ربهما حتى فى ذلك؛ فإنهما قد نزلا فى أرض بابل بأمر من الله، وكانا يُعلِّمان الناس السحر ليفرق الناس بين السحر ـ الذى هو من فعل شياطين الإنس والجن ـ وبين معجزات الأنبياء ، ولذلك كانا يقولان للناس ناصحين لهم إنما نحن فتنة فلا تكفر.

لقد أنزل الله هاروت وماروت فى أرض بابل فتنةً للناس ـ أى : ابتلاءً وامتحانًا ـ والله عز وجل ـ يبتلى عباده بما شاء لا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره، لا يُسأَل عما يفعل وهم يسألون.

- فقد ابتلى الله عز وجل أهل بابلَ بهذين الملكين.
- وابتلى اليهود بالحيتان فكانت تأتيهم يوم سبتهم شرعًا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم.
- وابتلى المسلمين فى الحج بصيد البر. فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٩٤﴾ (المائدة : ٩٤).
- وابتلى جنود طالوت بالنهر قال تعالى : ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ ﴾ (البقرة : ٢٤٩).

والله ـ عز وجل ـ يبتلى الناس بعضهم ببعض، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ (الفرقان: ٢٠).

والإنسان وجدَ فى هذه الدنيا للامتحان والابتلاء، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ (العنكبوت: ٢، ٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ (الإنسان: ٢)، وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ (الملك: ٢).

إذًا الملكان هاروت وماروت نزلا فى أرض بابل فتنةً للناس، فمن تعلم منهما السحر ـ وأخذ بنصيحتهما ـ ليميز بين السحر والمعجزة، وكان على حذرٍ من السحر والسحرة نجح فى الامتحان، ومن تعلم السحر منهما ولم يأخذ بنصيحتهما واستخدم السحر فى التفريق بين المرء وزوجه أو غير ذلك فشل فى الامتحان.

(٣) قصة ابنى آدم

أهداف القصة:

١- التنبيه إلى أهمية التقوى عند المسلم.

٢- التعريف بأهمية تربية الأبناء تربية إسلامية صحيحة.

٣- التحذير من الحسد والبغضاء.

٤- التأكيد على ضرورة التسليم والرضا بقضاء الله.

٥- التذكير بأهمية التقرب إلى الله تعالى.

٦- التحذير من خطورة ارتكاب الموبقات المهلكات.

الآيات:

قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ
أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنۢ
بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ
(٢٨) إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ
(٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ ٱللَّهُ
غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ
أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ (٣١) مِنْ أَجْلِ
ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ
فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا
وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ
لَمُسْرِفُونَ (٣٢) ﴾ (المائدة: ٢٧-٣٢).

البيان:

كان آدم عليه السلام يزوج ذكر كل بطن بأنثى الآخر، وكان من أبنائه قابيل وهابيل وكانت أخت قابيل أجمل من أخت هابيل، فأراد قابيل أن يستأثر بها دون أخيه، وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى، فأمرهما آدم عليه السلام أن يقربا قربانًا.

كانت القرابين حينئذٍ إذا قُبلت نزلت نار من السماء فأكلتها وإذا لم تقبل لم تنزل نار لأكلها ... فخرج قابيل وهابيل ليقربا وكان قابيل صاحب زرع فقرب زرعًا رديئًا. وكان هابيل راعيًا صاحب ماشية فقرب كبشًا سمينًا من خيار ماشيته. فوضعا قربانهما على الجبل فنزلت نار من السماء فأكلت الكبش ولم تأكل من قربان قابيل شيئًا ... وظهر منه الحسد والبغي، وكان يضمرهما قبل ذلك في نفسه. فغضب وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي، وأخبره هابيل بأنه لن يقاومه إن همَّ بقتله، فلما كان ذات ليلة أبطأ هابيل فى الرعي، فبعث آدم قابيل لينظر ما أبطأ به، فلما ذهب إذا هو به، فقال له: تُقبل منك ولم يتقبل مني؟ فقال: إنما يتقبل الله من المتقين. فغضب قابيل عندها وضربه فقتله. وقيل: إنه إنما قتله بصخرة رماها على رأسه وهو نائم فشدخته (والله أعلم). ووقف قابيل أمام جثة أخيه لا يدرى ما يصنع بها حتى رأى غرابًا يدفن غرابًا آخر ففعل قابيل مثله ودفن أخاه وسط حسرة وندم على ما اقترفته يداه من إثم.

⇦ المستخلص: عن قصة ابنى آدم سيكون حول العناصر التالية:

- **العنصرُ الأولُ:** هكذا يفعلُ الحسدُ بأهلهِ.
- **العنصر الثاني:** هكذا يفعل الإيمان بأهله.
- **العنصر الثالث:** من قتل نفسًا بغير حقٍّ فكأنما قتل الناسَ جميعًا.
- **العنصرُ الرابع:** القتلُ سببٌ لخسرانِ الدنيا والآخرة.

- العنصرُ الأولُ : هكذا يفعلُ الحسدُ بأهلهِ :

★★ الحسد نوعان: محمودٌ ومذمومٌ .

الحسدُ المحمودُ : هو أن يتمنى الإنسانُ أن يكونَ عندهُ مثلَ ما عند أخيه من النعم من غير أن يتمنى زوال النعمةُ عن أخيه، وهذا لا بأس به ولا يُعابُ على صاحبه ولذلك يقول ﷺ : ((لا حسدَ إلا في اثنتين : رجلٌ آتاهُ اللهُ القرآنَ فهو يقومُ به آناءَ النهار، ورجلٌ آتاهُ الله مالاً فهو ينفقه آناءَ الليلِ وآناء النهار))[1] .

وأما الحسد المذمومُ : فهو أن يتمنى الحاسدُ أن تزولَ النعمةُ من عند أخيه سواءٌ انتقلت إليه أم لا .

ومثال هذا يظهرُ لنا من قصة ابني آدمَ إذْ تقربا بقربانٍ إلى اللهِ فَتَقبَّلَ اللهُ مِن أحدهما ولم يتقبلْ من الآخر، فحسد أخاهُ على هذه النعمةِ ودفعهُ الحسد إلى البغي، ودفعه البغى إلى القتل .

قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠﴾ (المائدة: ٢٧ - ٣٠).

هكذا يفعل الحسدُ بأهله.

---

(١) صحيح : أخرجه البخارى (٧٢٩)، ومسلم (٨١٥).

** ومن الأمثلة على ذلك فى كتاب الله:

• إبليسُ لما رأى أن الله خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمهُ الأسماء كلّها حسده، ودفعهُ هذا الحسدُ إلى عدمِ السجود لآدم، ولم يكتفِ بذلك بل دفعه الحسد إلى الحرص على إخراج آدم من الجنة، ولم يكتف بذلك أيضًا بل دفعه الحسدُ إلى أنه أقسم بالله على إغواءِ بنى آدم وإعلان الحربِ على آدم وذريته إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ (الإسراء: ٦٢)، وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ (الأعراف: ١٦)، وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (ص: ٨٢).

واليهود والنصارى حسدوا المسلمين على نعمةِ الإسلام فدفعهم هذا الحسدُ إلى أن يعملوا بالليل والنهار ليردوا المسلمين عن دينهم، قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ (البقرة: ١٠٩)، ولم يكتفوا بذلك بل دفعهم الحسدُ إلى إعلانِ الحرب على المسلمين ليردوهم عن دينهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ (البقرة: ٢١٧).

• وإخوةُ يوسف عليه السلام دفعهم الحسدُ إلى أن دبروا للتخلص من يوسف عليه السلام بأى طريقة ولو بالقتل، قال تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى

ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (يوسف: ٧ـ١٠). وقال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ (الفتح: ١٥)، وقال ـ عز وجل ـ: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ (النساء: ٥٤).

الحسدُ مرضٌ خطيرٌ يضرُّ بالحاسدِ والمحسودِ:

★★ أمّا ضررهُ بالحاسدِ فمن وجوهٍ كثيرةٍ:

● أنه يُدخلُ الهمَّ والحزنَ إلى قلبِ الحاسدِ، ولذلك قيل في الحسد: إنه مذمومٌ وصاحبُهُ مغموم وغمهُ لا لمصيبةٍ حلَّتْ في نفسه أو في ماله أو في أهل بيته وإنما لنعمةٍ أوتيها غيرهُ هو لا يشفى من غمهِ وحزنهِ إلا بزوال نعمة المحسود، وهذا حزنٌ لا مثيل له بين الأحزان، وهذا لا نجدهُ إلا في حزنِ الحاسد لنعمة المحسود.

● أن الحسدَ يجرُّ إلى معصية الله بمخالفةِ أمره أو بفعل ما نهى عنه، ولقد كان الحسد أول ذنب عُصي الله به في السماء، وأولُ ذنب عُصِي به في الأرض: حَسَدَ إبليسُ آدم عليه السلام فلم يُنفذ أمر الله بالسجود لآدم حسدًا منه له، وحسدَ ابن آدم أخاه على تقبل الله لقربانه فقتله.

• أن الحاسد فى حسده لمن حوله كأنما يتسخّط على قضاء الله ويعترضُ على ربه أن أعطى المحسود هذه النعمة التى لا يرضاها الحاسدُ له، وهذا أمرٌ كبيرٌ وعظيم جدًّا، قد يجرُّ الحاسد إلى الردةِ عن الإسلام.

• أن الحسدَ يُسَوِّدُ قلبَ الحاسدِ ويُشغلُهُ عن ذكر الله وهذا خسرانٌ عظيمٌ للحاسد.

★★أما ضررهُ بالمحسود فهو واضحٌ، وذلك كما حدثَ لابن آدم فقد قُتِلَ بسببِ الحسد الذى ملأ قلبَ أخيه، ولذلك أمرنا الله ـ عز وجل ـ بالاستعاذة من شرِّ الحاسد إذا حسد، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ (الفلق: ١ ـ ٥).

وكان جبريلُ عليه السلام يرقى رسول الله ﷺ من شر هذه النوعية من البشر، قال عليه السلام: ((بسم الله أرقيك، من كل شيءٍ يؤذيك، من شرِّ كلِّ نفسٍ أو عينِ حاسدٍ الله يشفيك، باسم الله أرقيك))[1].

- العنصر الثانى: هكذا يفعلُ الإيمان بأهلهِ:

الإيمانُ إذا تمكن من قلب المؤمن دفعهُ إلى كلِّ خيرٍ، ومنعهُ من كلِّ شرٍّ، وهذا يظهرُ فى قصة ابنى آدم ((قابيل وهابيل)) فهذا هابيلُ الابنُ البارُّ المؤمن التقى يقول لأخيه الفاجرِ المجرمِ الذى قال له: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ يقول له: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (المائدة: ٢٧ ـ ٢٩).

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢١٨٦).

★★ ومن الأمثلة على ذلك:

١- الرجلُ المؤمن الذى كان يكتم إيمانه وكان حاضرًا فى مجلس فرعون الذى قرر فيه قتل موسى عليه السلام، فدفعه إيمانه إلى الدفاع عن موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ (غافر: ٢٨). وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى وقد دفعهُ إيمانه إلى إسداء النصيحة لموسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ (القصص: ٢٠).

٢- الرجلُ المؤمنُ الذى جاء من أقصا المدينة يسعى لينصح قومه باتباع المرسلين، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾

(يس: ٢٠، ٢١).

٣- أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما رأى كفارًا يعتدون على رسول الله ﷺ دفعه إيمانه إلى الدفاع عن رسول الله ﷺ، وهو يقول لقومه: ((أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله...))[١].

---

(١) صحيح، أخرجه البخارى (٣٦٧٨).

– العنصرُ الثالثُ: من قتل نفسًا بغير حق فكأنما قتل الناس جميعًا:

وهذا يؤخذ من قصة ابنى آدم، من فعل قابيل الذى قتل أخاهُ بغير حق.

قال تعالى عنه أنه قال لأخيه: ﴿ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ ﴾، وقال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة: ٣٢).

القتل جريمةٌ نكراء سواء قَتَل الإنسانُ غيرَه متعمدًا، أو قتل غيرهُ خطأً، أو قتل نفسه.

بالنسبة للقتل المتعمد فقد جاءت الآياتُ والأحاديثُ تحذرُّ من أن يقتل الإنسان غيره متعمدًا، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ (النساء: ٩٣)، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾ (الفرقان: ٦٨، ٦٩).

وقال ﷺ: ((لو أن أهلَ السماء والأرضِ اشتركوا فى دم مؤمن لكبَّهم الله عز وجل فى النار))[١].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذى (١٣٩٨)، ((صحيح الجامع))(٥٢٤٧).

وقال ﷺ: ((لزوالُ الدنيا أهونُ على الله من قتلِ مؤمنٍ بغير حق))(١).

أما بالنسبة للذى يقتلُ غيرهُ خطأً، أى: أنه لا يقصدُ قتله حقيقةً كالذى يضرب رجلاً بسيارته فيموت، فحفاظًا على أرواح الناس، وحفاظًا على دماءِ المسلمين شرع الله على من قتل مؤمنًا خطأ الدية والكفارة.

والدية: هى حقُّ المقتول تُعطى للورثةِ، وإن سامحوا بنفسٍ طيبةٍ فلهم ذلك.

وأما الكفارة: فهى حقٌّ الله لا تسقطُ عن القاتل خطأً أبدًا، وهى عِتقُ رقبةٍ مؤمنةٍ، فإن لم يجدْ فصيامُ شهرين متتابعين.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٩٢﴾ (النساء: ٩٢).

وأما بالنسبة للذى يقتل نفسه ((المنتحر)) فحفاظًا على أرواح الناس، حرَّم الله على الإنسان أن يقتل نفسه، فنفسك هذه أنت لا تملكها، إنما هى لله ولا يجوز لك أن تتجرأ عليها بالقتل.

---

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢٦١٩)، والبزار (٦/٣٧٥)، والبيهقى فى ((الشعب)) (٤/٣٤٥)، ((صحيح ابن ماجه))(٢١٣٨).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ (النساء: ٢٩)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ﴾ (البقرة: ١٩٥).

وقال ﷺ: ((من تردَّى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيه خالدًا فيها أبدًا ومن تحسى سُمًّا فقتل نفسه فسُمُّهُ فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدتهُ فى يده يجأُ بها فى بطنه فى نارِ جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا))[1].

قتل النفس بغير حق جريمةٌ فى حق الإنسانية ولذلك قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (المائدة: ٣٢).

- العنصرُ الرابعُ: القتل سببٌ لخسرانِ الدنيا والآخرة:

وهذا يؤخذ من قصة ابنى آدم من فعل القاتل قابيل، قال تعالى: ﴿فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ (المائدة: ٣٠).

قتلَ الأخُ أخاه! ماذا استفاد من ذلك؟ هل حقق مراده وأهدافه؟ هل نال ما وعده به شيطانُه اللعينُ ونفسهُ الشرّيرة؟ إنه لم يجنِ من سفكِ دم أخيه خيرًا، ولم يستفدْ منه شيئًا، لقد خسرَ خسارةً مطلقةً: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٥٧٧٨)، ومسلم (١٠٩).

(المائدة: ٣٠). نعم، لقد كانت خسارته عامةً شاملةً، مستوعبةً لكل ما في كلمة ((الخسارة)) من المعاني، ولكل ما فيها من الصورِ والظلالِ، ولكل ما تحمله من المظاهر، ومن مظاهر خسارته:

١- خسر أخاه عندما سفك دمه، وخسر معاني الأخوة التى كانت تربطهُ بأخيه.

٢- خسر والديه وأهله حيث غضبُوا عليه لجريمته.

٣- خَسرَ كلّ معانى الإنسانية الخيّرة، مثل الرحمة والمودة والتسامح.

٤- خسر راحة نفسه وهدوءه واطمئنانه وسعادته، وخسر حياته حيث حوّلها من حياة خيّرة نافعة إيجابية إلى حياة شريرة ظالمة معتدية.

٥- خسر آخرته، بأن أخرجها من رحمة الله وجنته إلى عذابه وناره.

٦- خسر تاريخه، حيث صار رمزًا للبغى والظلم والعدوان وأصبح مثالاً لمعانى الشر والفساد، وقدوةً لكل قاتلٍ ظالم شرير، إلى غير ذلك من صور الخسارة ومظاهرها وألوانها التى يلقيها قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٣٠﴾ (المائدة: ٣٠).

وهذه الخسارة كلها سببها اتِّباع وساوِس الشيطان، وهذه الخسارة يقع فيها كل من عصى الله؛ فإنها نتيجة طبيعية لكل ذنب ومعصية، وهى نهاية كل من اتبع خطوات الشيطان، وهى حصيلة الكفر والفسوق والعصيان.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۝١١٩﴾ (النساء: ١١٩)، وقال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝١٩﴾ (المجادلة: ١٩).

عبر ودروس هادية وفوائد إيمانية
من قصة ابنى آدم ((قابيل وهابيل))

أولاً - تقوى الله سببٌ لسعادةِ الدنيا والآخرة وذلك لأنّ:

التقوى سببٌ لقبولِ الأعمال عند الله، وهذا يؤخذ من قصةِ ابنى آدمَ، من فعل هابيل وقوله قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (المائدة:٢٧).

- **التقوى تجعلُ أهلها من أكرمِ الناسِ عند اللهِ:**

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (الحجرات:١٣).

- **تقوى الله سببٌ للحصول على الرزق الحلال:**

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق: ٢، ٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الأعراف:٩٦).

- **تقوى الله سببٌ لتيسير الأمور:**

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾ (الطلاق: ٤).

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ (الليل: ٥ ـ ٧).

- **تقوى الله سببٌ لتكفير السيئات ومغفرة الذنوب:**

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الأنفال: ٢٩).

- **تقوى الله سببٌ للتمكين في الأرض:**

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (يوسف: ٥٦، ٥٧).

وقال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (يوسف: ٩٠).

- **تقوى الله سببٌ للحصول على محبة الله:**

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ (التوبة: ٤).

- **تقوى الله سببٌ للحصول على معية الله:**

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (النحل: ١٢٨).

• تقوى الله تجعلك من أولياء الله:

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ (يونس: ٦٢، ٦٣). وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ (الجاثية: ١٩). وقال تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (الأنفال: ٣٤).

• تقوى الله تُنجي صاحِبها من عذاب النار:

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ (مريم: ٧١، ٧٢). وقال تعالى: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ (الزمر: ٦١). وقال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ (الليل: ١٤ ـ ١٧).

• تقوى الله سببٌ للفوز بالجنةِ:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ (مريم: ٦٣). وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾ (الذاريات: ١٥). وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ (الطور: ١٧). وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ (القمر: ٥٤).

● التقوى هى زادنا إلى جنات النعيم:

قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾﴾ (البقرة: ١٩٧).

كما قال القائل:

تـزودْ من معاشك للمعـاد　　　وقـم لله واجمعْ خيرَ زاد
ولا تجمعْ من الدنيـا كثيرًا　　　فـإن المـال يُجمعُ للنفاد
أترضى أن تكون رفيق قومٍ　　　لهم زادٌ وأنت بغير زادِ؟

تذكر أن العمرَ قصيرٌ والموتُ يأتي بغتة!

وقال:

تـزودْ من التقـوى فإنك لا تـدري　　　إذا جـنَّ ليلٌ هـل تعيش إلى الفجر
فكم من صحيحٍ مات من غير علةٍ　　　وكم من عليلٍ عاش حينًا من الدهر

★★ من أجل الحصول على سعادة الدنيا والآخرة أمر اللهُ عباده بالتقوى ووصاهم بها:

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ (الأحزاب: ٧٠).

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الحشر: ١٨).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (النساء: ١٣١).

ثانيًا- الخوف من الله يمنع صاحبه من كل شرٍّ ويدفعه إلى كل خيرٍ:

وهذا يؤخذ من قصة ابنى آدم، من فعل هابيلَ ورده عندما قال له أخوهُ قابيل: ﴿ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ فقال هابيل: ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) ﴾ (المائدة: ٢٨، ٢٩)؛ فالخوف من الله يمنع صاحبه من القتل.

★★ إن الخوفَ من الله يمنع من اقتراف المعاصى ويدفع إلى فعل الطاعات .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) ﴾ (المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١).

وتقول عائشة ـ رضى الله عنها: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) ﴾. قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: ((لا يا بنتَ الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يُقبل منهم)) ﴿ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) ﴾ (المؤمنون: ٦١).

وقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾ (الإنسان: ٧ـ١٠).

وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۝٣٧﴾ (النور: ٣٦، ٣٧).

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝٦٣ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝٦٤ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦﴾ (الفرقان: ٦٣ ـ ٦٦). وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦﴾ (السجدة: ١٦).

★★ وكذلك الخوف من الله يمنع صاحبه من الزنا، ومن الأمثلة على ذلك:

يوسف عليه السلام عندما راودته امرأةُ العزيز عن نفسه وغلقت الأبواب، وقالت: هيت لك فكان جوابه: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۝٢٣﴾ (يوسف: ٢٣). وعندما طلب منه النسوةُ ذلك أيضًا: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ﴾ (يوسف: ٣٣).

وقال ﷺ: ((سبعةٌ يظلهم اللهُ تعالى في ظله يومَ لا ظلَّ إلا ظله)) وذكر منهم ـ: ((ورجلٌ دعتهُ امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ فقال: إني أخاف الله)) [1].

★★ الخوف من الله يدفعُ إلى طاعةِ اللهِ، ولذلك فإنّ أعبدَ الخلقِ لله هم الذين يخافون من الله.

– ومن الأمثلة على ذلك:

١– الملائكة خلقٌ لا يعصون الله ما أمرهم ويعبدونه بالليل والنهار لا يفترون، قال تعالى في وصف الملائكة: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ (٥٠) ﴾ (النحل: ٥٠).

٢– الأنبياءُ والرسل هم صفوة الخلق ومع ذلك يخافون من الله، قال تعالى بعد أن ذكر الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠) ﴾ (الأنبياء: ٩٠).

٣– ورسولُنا ﷺ أفضل الخلق عند اللهِ؛ عبدٌ غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومع ذلك يخافُ من الله، قال تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) ﴾ (الأنعام: ١٥).

٤– الصحابة والصالحون من أمةِ محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) ﴾ (السجدة: ١٦).
وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) ﴾ (المؤمنون: ٦٠، ٦١).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

★★ الخوفُ من الله سببٌ لدخول الجنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ (الطور: ١٧)، إلى قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ (الطور: ٢٥-٢٨). وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ (الرحمن: ٤٦). وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ (النازعات: ٤٠، ٤١).

★★ وعدم الخوفِ من الله والأمنُ من مكرِ الله سببٌ لدخول النار.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾ (الانشقاق: ١٠-١٣). وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ (غافر: ٧٥، ٧٦).

★★ الخوفُ من اللهِ يدفعُ صاحبَهُ إلى فعل الطاعات ويوصلهُ إلى جنات النعيم، والأمنُ من مكر الله يدفع صاحبَهُ إلى فعلِ المعاصي ويوصله إلى نار جهنم، ولذلك مدحَ الله الخائفينَ منه..

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ (المعارج: ٢٧ ، ٢٨)، إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (المعارج: ٣٥). وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ (الرعد: ١٩ ـ ٢٢).

★★ وذمَّ اللهُ الآمنين من مكره..

فقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ (الإسراء: ٦٠). وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ (الأعراف: ٩٧ ـ ٩٩). وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ (النحل: ٤٥ ـ ٤٧).

★★ إن الخوفَ من الله سببٌ لكل خير، والأمنُ من مكر الله سببٌ لكلِّ شرٍّ، ولذلك جاءت آيات كثيرة فى كتاب ربنا يخوّف اللهُ فيها عباده، وجاءت أحاديثُ كثيرة فى سنة نبينا ﷺ يخوف فيها النبى ﷺ أمتهُ.

قال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾ (الزمر: ١٦).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (البروج: ١٢). وقال تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ (آل عمران: ٣٠). وقال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (المائدة: ٩٨). وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ (الحج: ١، ٢).

احذر أن تكون إمامًا فى الشر، احذر أن تكون رأسًا فى المعاصى فيقتدى بك الناس فى معصية الله، فتأتى يوم القيامة تحملُ وزركَ ووزرَ من اقتدى بك، وتندم فى وقت لا ينفع فيه الندم.

قال تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (النحل: ٢٥). وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ﴾ (فاطر: ١٨).

ثالثًا - من الدروس والعظات والعبر التى تؤخذُ من قصةِ ابنى آدم: الوالدُ الصالح لا يُعيَّبُ بولده الطالح.

فهذا آدم عليه السلام نبى من أنبياء الله لا يُعيَّبُ بولده الطالح قابيل الذى قتل أخاهُ هابيل ظلمًا وعدوانًا .

وهذا نوحٌ عليه السلام من أولى العزم لا يعيبُ بولده الكافرِ الذى مات على كفره .

لأن آدم عليه السلام لم يقصرْ فى تربية ولده وكذلك نوح عليه السلام لم يقصرْ فى تربية ولده وفى دعوته لمفارقة الكفرة فقد قال له: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (هود: ٤٢).

(٤) أصحاب السبت

أهداف القصة:

١- التعريف بأهمية صيانة الحرمات.

٢- توضيح بعض صفات بنى إسرائيل.

٣- التحذير من التحايل على شرع الله.

٤- التأكيد على استخدام العقل فيما يفيد .

٥- استشعار أهمية التقوى.

٦- التحذير من السلبية ومجالسة أهل الباطل.

٧- بيان أهمية النهى عن المنكر والأمر بالمعروف.

٨- التأكيد على ضرورة تحمل الابتلاء فى سبيل الله.

٩- التأكيد على احترام شعائر الله تعالى.

الآيات:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ (الأعراف: ١٦٣ – ١٦٨).

البيان:

مرت الأيام وبنو إسرائيل على عادتهم يقدسون يوم السبت ويفردونه لطاعة يتقربون بها، أو لعبادة يسبحون الله فيها.

وفى قرية من قراهم على شاطئ البحر الأحمر كان يسكن قوم من سلالة بنى إسرائيل فى زمن داود عليه السلام، وكان عليهم أن يلتزموا سنة آبائهم و أجدادهم، فيسيروا على عبادة الله فى يوم السبت، فكانوا لا يزاولون فيه عملاً من أعمال دنياهم من صيد أو متاجرة أو صناعة.

وكان على ساحل البحر تخرج الحيتان إليهم ليلة السبت ويومه؛ إذ قد أمنت أن تصاد فهى تأنس فى هذا الزمن وتأمن فتتكاثر وتتزاحم، والقوم حينئذ لا تمتد أيديهم إلى ترويع هذه الحيتان بصيد ؛ لأنهم مشغولون بتسبيح خالقهم، ومحرم عليهم أن يفزعوا صيدًا أو يمارسوا فى الدنيا عملاً. وإذا جاءت ليلة الأحد تسربت الحيتان إلى البحر فانبعثت إلى باطنه، فتعذر على القوم أن يصطادوها فى أيام هى حلٌّ لهم.

تحركت دواعى الطمع وثارت عوامل الجشع فى نفوس الفساق من أهل هذه القرية، فغفلوا عن تعاليم أنبيائهم، وتشاوروا فيما بينهم، وتبادلوا زمام الرأى وقالوا: ما بالنا نترك هذه الحيتان فى يوم تكثر فيه وتزيد وتتزاحم متسابقة إلينا، ثم نأتى إلى صيدها فى أيام تحجم عنا وتدبر، فلا سبيل إليها إلا بمشقة وجهاد، إننا بذلك لحائدون عن طريق الصواب.

فلما رأوا ذلك احتالوا على اصطيادها فى يوم السبت بأن نصبوا الحبال والشباك وحفروا الحفر التى يجرى معها الماء إلى مصائد قد أعدوها إذا دخلها السمك لا يستطيع أن يخرج منها، ففعلوا ذلك فى يوم الجمعة فإذا جاءت الحيتان مسترسلة يوم السبت علقت بهذه المصايد فإذا خرج سبتهم أخذوها فغضب الله عليهم ولعنهم لما احتالوا على خلاف أمره، وانتهكوا محارمه بالحيل التى هى ظاهرة للناظر، بينما هى فى الباطن مخالفة محضة، فلما فعل ذلك طائفة منهم افترق الذين لم يفعلوا فرقتين. فرقة أنكروا عليهم صنيعهم هذا واحتيالهم على مخالفة الله وشرعه فى ذلك الزمان.

وفرقة أخرى لم يفعلوا ولم ينهوا بل أنكروا على الذين نهوا وقالوا: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أى ما الفائدة فى نهيكم هؤلاء وقد استحقوا العقوبة لا محالة، فأجابتهم الطائفة المنكرة بأن قالوا ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أى فيما أمرنا به من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فنقوم به خوفًا من عذابه ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ (الأعراف: ١٦٤). أى ولعل هؤلاء يتركون ما هم عليه من هذا الصنيع فيقيهم الله عذابه ويعفو عنهم إذا هم رجعوا واستمعوا.

إن الذين ارتكبوا هذا الصنع اعتزلهم بقية أهل البلد ونهاهم من نهاهم منهم، فلم يقبلوا فكانوا يبيتون وحدهم ويغلقون بينهم وبينهم أبوابًا حاجزًا لما كانوا يترقبون من هلاكهم. فأصبحوا ذات يوم وأبواب ناحيتهم مغلقة لم يفتحوها وارتفع النهار واشتد الضحاء فأمر بقية أهل البلد رجلاً أن يصعد على سلالم ويشرف عليهم من فوقهم فلما أشرف عليهم إذا هم قردة لها أذناب يتعاوون ويتعادون ففتحوا عليهم الأبواب فجعلت القردة تعرف قراباتهم فجعلوا يلوذون بهم ويقول لهم الناهون: ألم ننهكم عن صنيعكم فتشير القردة برؤوسها أن نعم.

⇦ المستخلص عن قصة أصحاب السبت سيكون حولَ العناصر التالية:

- **العنصر الأول:** اليهود والسبت.
- **العنصر الثانى:** قصة أصحاب السبت تُبيّن حقيقة اليهود.
- **العنصر الثالث:** الدعوةُ إلى الله خير للذين يريدون وجه الله.

- العنصر الأول: اليهود والسبتُ .

يوم السبتِ مقرون باليهود وقد ذُكِرَت كلمة ((السبت)) ومشتقاتها فى القرآن سبع مراتٍ، ووردت المرات السبعُ كلُّها فى سياق الحديث عن اليهود .

●قال تعالى :﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ ﴾ (الأعراف: ١٦٣).

●وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (النحل: ١٢٤).

●وقال تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ ﴾ (النساء: ٤٧).

●وقال تعالى :﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ ﴾ (النساء: ١٥٤).

وقال تعالى :﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (البقرة: ٦٥).

فالسبتُ يوم راحة لليهود ، حيثُ طلبَ الله منهم الانقطاع عن العمل فيه، وعدم القيام بأى عملٍ، قال لهم:﴿ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ لكن اليهودَ - الذين

تعودوا على المخالفة وارتكابِ المحظور ـ عصوا ربهم، وخالفوا أمره، فاعتدوا في السبت، وقاموا بالأعمال المحظورة فحقتْ عليهم لعنة الله، قال تعالى: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ (النساء: ٤٧)، وعاقبهم الله لاعتدائهم هذا بأن مسخهم قردةً خاسئين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ (البقرة: ٦٥).

ورفضُ اليهودِ ليوم الجمعة، واختيارهم ليوم السبتِ دليلٌ على طبيعة اليهود في التمردِ على أوامرِ الله، قال تعالى في وصفهم: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ (البقرة: ٩٢، ٩٣).

– العنصرُ الثاني: قصةُ أصحابِ السبتِ تُبين حقيقة اليهود.

قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ (الأعراف: ١٦٣).

المعنى: ((أى: واسأل هؤلاء اليهود عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله ففاجأتهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم في المخالفة، وحذّر هؤلاء من كتمان صفتك التي يجدونها في كتبهم، لئلا يحل بهم ما حل بإخوانهم وسلفهم)).

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ ﴾ أى: يتجاوزون حد الله فيه، وهو نهيهم عن الصيد فى يوم السبتِ، فقد أُخذت عليهم العهودُ والمواثيقُ أن يحفظوا يوم السبت من أى عمل.

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا ﴾ أى: ظاهرةً على وجه الماءِ من كل مكان: ﴿ وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الأعراف: ١٦٣).

★★ فى هذه الآية جاء ذكر ثلاثة ابتلاءاتٍ:

الأول: نهيهم عن الصيد يوم السبت.

الثانى: مجيء الحيتان إلى اليهود يوم السبت ((شرّعًا)) أى: على وجه الماء بحيثُ تكون قريبة منهم، تغريهم بصيدها.

الثالث: ذهابُ الحيتان يوم لا يسبتون، واختفاؤها عندما يتوجهون لصيدها فى الأيام الأخرى.

لم يصمد فريقٌ من سكان القرية أمام إغراء الحيتان لهم، فتحايلوا على أمر الله لهم، بأن نصبوا الحبال والشباك وحفروا الحفر التى جرى فيها الماء إلى مصائد قد أعدوها فإذا دخل السمك فيها فلا يستطيع أن يخرج منها، وفعلوا ذلك فى يوم الجمعة حتى إذا جاءت الحيتان مسترسلة يوم السبت علقت فى هذه المصايد فإذا خرج يوم السبت أخذوها فى اليوم التالي، فغضب الله عليهم ولعنهم لما احتالوا به على مخالفة أمره.

★★ انقسم أهلُ القريةِ فى هذه المخالفة إلى ثلاث فرق:

١- الفرقة المعتدية الباغية التى احتالت على أمر الله وصادت السمك يوم السبتِ بالحيلة.

٢- الفرقة الواعظة الصالحةُ التى وعظتْ المخالفين فأمرتهم بالمعروف ونهتهم عن المنكر.

٣- الفرقة الساكتةُ عن الإنكارِ، التى توجهتْ باللومِ على الواعظين، بدلَ أن تتوجه به على المخالفين، قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ (الأعراف: ١٦٤).

أجاب المصلحون الناصحون الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر على الفرقة الساكتة اللائمة فقالوا: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ (الأعراف: ١٦٤)؛ **فبينوا لهم أن هناك دافعين يدفعان للنصح والتذكير وإنكار المنكر:**

الدافع الأول: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ (الأعراف: ١٦٤)، وكأنهم يقولون لهم: إننا نريد أن نقدم العذر لأنفسنا أمامَ الله حتى ننجوا من يوم الحساب والعقاب.

★★ عندما ننكرُ المنكرَ علينا أن نحرصَ على تحقيق ما يلى:

١- أن نقوم بالواجب الذى كلفنا الله به، وهو واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لأننا إن لم نقم به فسوف نكون عرضةً للعذاب.

٢- نقدم عذرًا أمام الله لأنفسنا بأننا بذلنا جهدنا، واستطاعتنا وقمنا بالمطلوب منا.

إن من رحمة الله بنا أنه لما أمرنا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لم يُطالبنا بالنتائج، وإنما طالبنا ببذلِ الجهدِ ولم يحاسبنا على الثمرة والنتيجة، فنحن نكون قد قمنا بالواجب عندما نُذكِرُ وننصحُ ونُنكِرُ المنكر، ولو لم يستجب لنا الناس، ولقد قال الله لرسوله ﷺ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ (الغاشية: ٢١-٢٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ (الرعد: ٧)، وقال تعالى ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ (الكهف: ٢٩).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ (يونس: ٩٩، ١٠٠).

فالداعى إلى الله وإن لم يستجبْ له أحدٌ فقد أعذر لنفسه عند الله سبحانه وتعالى.

وتقديمنا للمعذرة ينجينا من العذاب الدنيوى إذا وقع بأهل المنكرِ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ (هود: ١١٧).

٣- أن نقيمَ الحجةَ على أصحاب المنكر فإنّ لهم علينا حق النصح والتذكير.

فالتذكير قد ينفع، قال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (الذاريات: ٥٥)، والنصيحة قد تنفعُ قال تعالى: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ (الأعراف: ٦٢)، وقال تعالى: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ (الأعراف: ٦٨)، وقال ﷺ: ((الدين النصيحة))[1].

وإنكارُ المنكر قد ينفع، قال ﷺ: ((من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان))[2].

فإذا لم ينفع مع الناس التذكيرُ، وإذا لم تفلح معهم النصيحة، وإذا لم يتركوا المنكر، نكون قد أقمنا الحجة عليهم، وأقمنا عليهم شاهدًا من أنفسهم.

الدافع الثاني: ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (الأعراف: ١٦٤). أي: لعل وعظهم وتذكيرهم، يوجدُ عندهم التقوى والطاعة والاستقامة.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ - أي: فلما تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم وأعرضوا عنه إعراضًا كليًّا، بحيث لم يخطر ببالهم شيءٌ من تلك المواعظ أصلاً - ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ﴾ وهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وهم العصاة المرتكبون للمعصية: ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ ﴾. أي: شديد - ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾. بفعلهم المنكر، ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ (الأعراف: ١٦٦).

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٥٥).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٤٩).

الأمة إذا نسيت دينها وأقبلتْ على معصية الله وظهر الفساد في برها وبحرها، ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (الروم: ٤١). نزل بهم عذاب الله وهذه سنة الله في خلقه.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (الأعراف: ١٦٥).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الأنعام: ٤٢ ـ ٤٥).

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ (الأعراف: ٩٤، ٩٥).

نسيان الدين والغفلةُ عن أوامر الله وعن الحساب والجزاء والجنة والنار سببٌ للعذاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (السجدة: ١٣، ١٤).

وقال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ (الأعراف: ٥٠، ٥١).

ومع هذا التهديد من رب العالمين بالعذاب فى الدنيا والآخرة للعصاة والمجرمين الذين يبارزون الله بالمعاصى ترى كثيرًا من الناس قد أقبلوا على المعاصى ونسوا الموت والقبر والبعث والحساب والجزاء والجنة والنار.

- العنصر الثالث: الدعوة إلى الله خير للذين يريدون وجه الله:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ (فصلت: ٣٣)، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ (يوسف: ١٠٨).

والدعوة إلى الله عمل الأنبياء والصالحين والدعاة المخلصين وفى مقدمتهم رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ (الأحزاب: ٤٥، ٤٦).

الدعوةُ إلى الله سفينةُ النجاة إذا نزل العذابُ بالعصاة، قال تعالى فى قصة أصحاب السبت: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ (الأعراف: ١٦٥)، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ (هود: ١١٦، ١١٧)، وقال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ (الشعراء: ١١٩، ١٢٠).

الدعوةُ إلى الله سببٌ للنجاة من الخسران المبين، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ أى: أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر - ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ③﴾ (العصر: ١ - ٣).

الدعوةُ إلى الله سببٌ للنجاة من اللعنة، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٧٩﴾ (المائدة: ٧٨، ٧٩).

موقف اليهود مع ((الله عز وجل - الملائكة - أنبياء الله - موسى وعيسى عليهما السلام - مع رسول الله ﷺ - مع المؤمنين)).

١- حال اليهودِ مع ربهم عز وجل:

الله - عز وجل - خلق اليهودَ وأنعمَ عليهم نعمًا كثيرةً لا تعدُّ ولا تُحصى، فبدل أن يقابلوا هذه النعم بالشكرِ، قالوا عن الله - عز وجل - قال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ (آل عمران: ١٨١)، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ (المائدة: ٦٤).

موقف اليهودِ من أوامر الله عز وجل.

اليهود إذا أمرهم الله قالوا سمعنا وعصينا، وحرفوا كلام الله عن مواضعه، واحتالوا على أمر الله!

قال تعالى في وصفهم: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ (النساء: ٤٦).

وقال تعالى في وصفهم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (البقرة: ٥٨، ٥٩).

وقال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ (النساء: ١٥٤، ١٥٥).

٢- موقف وحال اليهود مع الملائكة:

اليهود يكرهون جبريل عليه السلام! فلما سأل يهودى من أهل المدينة رسول الله ﷺ بعض الأسئلة فقال رسول الله ﷺ: ((أخبرنى بهن جبريل آنفًا))، قال اليهودى: ذاك عدو اليهود من الملائكة[1].

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٤٤٨٠) من حديث عبد الله بن سلام رضى الله عنه.

والله عز وجل يقول: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ (البقرة: ٩٧، ٩٨).

٣- اليهودُ مع أنبياءِ الله:

اليهود هم قتلة الأنبياء، قال تعالى في وصفهم: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ (البقرة: ٨٧).

وعللوا موقفهم هذا بقولهم: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (البقرة: ٨٨).

وقال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ (البقرة: ٩١)، واليهود هم الذين ذبحوا أنبياء الله يحيى وزكريا - عليهما السلام!

٤- اليهودُ مع نبي الله موسى عليه السلام:

اليهودُ قالوا لموسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ

﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ (البقرة: ٦١).

اليهود قالوا لموسى عليه السلام: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ (النساء: ١٥٣).

اليهودُ اتخذوا العجل وعبدوه في غياب موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾ (البقرة: ٩٢).

اليهود لما جاوزَ موسى عليه السلام بهم البحر - ونجاهم الله من فرعون وجنوده - مروا على قوم يعكفون على أصنامٍ لهم، فقالوا: يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة! قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ (الأعراف: ١٣٨ - ١٤٠).

٥- اليهود مع عيسى عليه السلام وأمه:

اليهودُ اتهموا مريم بالزنا قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (آل عمران: ٤٢)، وهمّوا بقتل عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا (١٥٧) ﴾

(النساء: ١٥٦، ١٥٧).

٦- اليهود مع رسولنا محمد ﷺ:

أنكروا صفته التي جاءت في التوراة.

قال تعالى عنهم: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) ﴾

(البقرة: ١٠١).

وقال تعالى أيضًا في وصفهم: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٨٩) ﴾ (البقرة: ٨٩).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) ﴾ (البقرة: ١٤٦).

٧- اليهودُ مع المؤمنين:

اليهودُ أشدُّ الناس عداوةً للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ (المائدة: ٨٢).

اليهود يشعلون الحرب دائمًا على المؤمنين ليردوهم عن دينهم، قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ (البقرة: ١٠٩).

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ (البقرة: ٢١٧)، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ (المائدة: ٦٤).

إن اليهود يعملون بكل ما يملكون من قوةٍ لمنع الخير عن المؤمنين، قال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ (البقرة: ١٠٥).

٨- الغدرُ والخيانة ونقض العُهود والمواثيق:

قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ (النساء: ١٥٥).

غدر اليهود بالمسلمين في غزوة الأحزاب. كما قال تعالى في وصفهم أيضًا: ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ (البقرة: ٩٩، ١٠٠).

٩- اليهودُ والسحر:

قال تعالى في وصفهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ (البقرة: ١٠١، ١٠٢).

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (يونس: ٨١).

وفى قصة أصحاب السبت يقول ربنا - جل وعلا - لرسوله ﷺ: ﴿ وَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الأعراف: ١٦٣) أى: اسأل اليهود الموجودين عندك فى المدينة عن أجدادهم أصحاب القرية الذين احتالوا على أوامر الله واعتدوا فى السبت، فغضب الله عليهم وجعلهم قردةً خاسئين. إلى أن قال رب العزةِ - لرسوله ﷺ فى آخر قصة أصحاب السبت - مهددًا لليهود فى كل زمان ومكان: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ (الأعراف: ١٦٧، ١٦٨).

ثانيًا - الجزاءُ من جنس العمل:

★★ وهذا يؤخذ من قصة أصحاب السبت عندما ابتلاهم الله بأمور وهى:

١- تحريم الصيد يوم السبت.

٢- مجيء الحيتان يوم السبت على وجه الماء قريبًا منهم.

٣- ذهاب الحيتان فى باقى الأيام.

★★ انقسم أهل القرية فى هذا الامتحان إلى ثلاث فرق:

١- فرقة معتديةٌ: اعتدتْ فى السبت واحتالت على أوامر الله، فمسخهم الله قردةً خاسئين؛ والجزاء من جنس العمل.

٢- فرقة آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر لتنجوا من عذاب الله، فأنجاهم الله عندما نزل العذابُ بأهل القرية، والجزاء من جنس العمل.

٣- فرقة ساكتةٌ: لم تأمر ولم تنه ولم تعتدِ فى السبت، فسكت الله عن ذكرهم؛ والجزاءُ من جنس العمل.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ (الأعراف: ١٦٤ ـ ١٦٦).

عبر ودروس هادية وفوائد إيمانية
من قصة أصحاب السبت

وهذا يؤخذ من قصة أصحاب السبت فقد حرم الله عليهم الصيدَ فى يوم السبت وقال لهم: ﴿لَا تَعْدُواْ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ (النساء: ١٥٤)، فاحتالوا على أمر الله ونصبوا الشباك والحبال وحفروا البرك يوم الجمعة حتى إذا جاء السمك يومَ السبت حُبسَ فى تلك الشباكِ والحبالِ والبركِ ولم يخرج منها، فيأخذونه فى يوم الأحد، فغضبَ الله عليهم بحيلتهم هذه ومسخهم قردةً خاسئين.

★★ من الغافلين من احتال على دينِ الله وشرعه ومن الأمثلة على ذلك:

١- أناس احتالوا على تحريم الربا وأكلوه باسم الفائدة والربح البسيط والربح المركب!

٢- واحتالوا على تحريم الرشوة وأخذوها باسم الهدية!

٣- واحتالوا على تحريم الغناء والموسيقى وأحلوهما باسم غذاء الروح!

٤- واحتالوا على تحريم الخمور وشربوها باسم المشروبات الروحية!

٥- واحتالوا للمرأة التى طلقت ثلاثًا وبانت من زوجها بينونةً كبرى بأن جاءوا برجل - ليتزوجها ثم يُطلقها لتحلّ - بزعمهم - لزوجها الأول! وهذا زواجٌ باطلٌ ومحرم وفاعله ملعون والزوج الأول الذى يقبل بذلك ملعون؛ قال ﷺ: ((لعن الله المُحَلِّل والمحلَّل له)).

٦- واحتالوا على تحريم الربا وأحلوه ببيع باطلٍ وهو أن يأتى الرجل المحتاجُ للتاجر صاحب المال فيقول له: بعنى هذه البضاعة بالتقسيط بألف جنيه، فيقول له التاجرُ: بعتك، فيقول الرجل المحتاج: اشترى منى هذه البضاعة نقدًا، فيقول التاجر: اشتريتها منك بسبعمائة جنيه، فيُعطى التاجر الرجلَ سبعمائة جنيه على أن يردها ألف جنيه، وهذا بيعٌ باطل وحيلةٌ على الشرع وهذا ما يسمى ببيع العينة.

(٥) قصة عالم السوء

أهداف القصة:

١- التأكيد على أهمية الثبات على الحق.

٢- التحذير من زينة الدنيا وزخرفها.

٣- استشعار أن القلوب بيد الله.

٤- الحذر من اتباع الشيطان.

٥- التعريف بأهمية العمل بالعلم.

الآيات:

قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾

(الأعراف: ١٧٥-١٧٧).

البيان:

هو رجل مؤمن من بنى إسرائيل وكان عالمًا، وذات يوم بعثه نبى الله موسى عليه السلام إلى ملك مدين ليدعوه إلى الإيمان بالله الواحد الأحد، فلما وصل إلى مدين رشاه الملك وأعطاه من الأموال والنساء واشترط عليه أن يترك دين التوحيد ويتبع دينه الوثنى ففعل الرجل وكفر بالله، واستخدمه الملك فى فتنة الناس وإضلالهم.

عالمُ السوءِ: هو عالمٌ قد انسلخ من علمه، فهو عالمٌ جاهلٌ. أخلد إلى الأرض، وخيَّم الضلالُ على فِكرِه أى باعَ دينه بعرضٍ من الدنيا، واتبعَ هواه، وارتد إلى ظلمة الجاهلية.

قال تعالى: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

ومثله كمثل الحمار، قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ (الجمعة: ٥).

فعالِمُ السوءِ الذى انسلخ من علمه نزل من منزلةِ العلماء إلى منزلةِ الكلابِ والحَميرِ، ولذلك بعد أن قال الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ (الأعراف: ١٧٥)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

(الأعراف: ١٧٩).

عالِم السوءِ الذى انسلخ من علمه وباعَ دينه بعرضٍ من الدنيا أخطرُ على الأمة من أعدائها، ولذلك وصفه الله لنا فى كتابه ووصفه لنا رسول الله ﷺ فى سنته.

فهذه صفاتُ عالِم السوءِ لتكونوا منه على حذر:

الصفةُ الأولى: إذا أمرَ الناس بالبر نسى نفسه!

وهذا يدل على أنه إنسان لا عقل له، قال تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (البقرة: ٤٤).

وقال ﷺ: ((مثلُ العالم الذى يُعَلمُ الناسَ الخيرَ وينسى نفسهُ كمثلِ السراجِ يضىءُ للناسِ ويحرقُ نفسه))[1].

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩) واللفظ له.

الصفة الثانية: فِعْلُهُ يُخالِفُ قولَهُ!

والله - عز وجل - يمقتُ ذلك، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الصف: ٢-٣).

وقال ﷺ: ((يؤتى بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمعُ إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان! ما لك؟ ألم تكن تأمرُ بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقولُ: بلى، قد كنت آمُرُ بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه!)).

ولذلك كان ﷺ يستعيذ بالله من علمٍ لا ينفع فيقول ﷺ: ((اللهم إني أعوذُ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يستجاب لها))[1].

يقول سبحانه وتعالى في أمثال هؤلاء الذين يدعون الناسَ إلى الجنة بأفواههم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم: ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (المنافقون: ٤).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ (البقرة: ٢٠٤-٢٠٦).

---

(١) صحيح، أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

الصفة الثالثة: عالمُ السوءِ الذى انسلخ من علمه لا يريدُ إلا الدنيا الفانية ورضا الناس، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

و قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (هود: ١٥-١٦).

الصفة الرابعة: عالِمُ السوءِ الذى انسلخ من علمه متبعٌ لهواه فى الحقيقة.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

فالهوى إلهه الذى يأمرهُ وينهاهُ.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ (الجاثية: ٢٣) وقال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (الفرقان: ٤٣، ٤٤).

عبر ودروس هادية وفوائد إيمانية
من قصة عالِم السوء

أولاً- المنسلخ مِنْ علمه مذمومٌ من كل وجه، وهو قد خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

ذمَّ الله عالِمَ السوءِ المنسلخَ من علمه من عشرة وجوهٍ:

أولها: أنه ضلَّ بعد العلم، واختار الكفر على الإيمان عمدًا لا جهلاً، قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾ (الأعراف: ١٧٥).

فعالِم السوءِ ضلَّ وكفر بعد علمٍ والله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ (الكهف: ١٧)، ويقول سبحانه: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ ﴾ (الإسراء: ١٥)، ويقول - عز وجل -: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ ﴾ (مريم: ٧٥).

ثانيها: أنهُ فارق العلمَ مفارقة من لا يعودُ إليه أبدًا، فإنه قد انسلخ من الآيات بالجملة كما تنسلخ الحيةُ من قشرها.

قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ (الأعراف: ١٧٥).

ثالثها: أن الشيطان أدركه ولحقَه فظفر به وافترسهُ.

ولهذا قال تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ (الأعراف: ١٧٥).

والشيطانُ إذا أدرك الإنسان ولحقه واستحوذ عليه فبماذا يأمره وإلى ماذا يجره؟

▪ يغويه، كما قال تعالى في قصة عالِم السوء: ﴿ فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ (الأعراف: ١٧٥). وذلك لأن الشيطان أقسم بالله ليُغوينَّ بني آدم أجمعين إلا المخلصين منهم، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (ص: ٨٢، ٨٣).

▪ يدعوه إلى الكفر، قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الحشر: ١٦، ١٧).

▪ يصدهُ عن سبيل الله، وعن كل خير يوصل إلى رِضَى الله والجنة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الزخرف: ٣٦-٣٩)، وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الأعراف: ١٦، ١٧).

▪ يأمرهُ بالفحشاءِ والمنكر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ﴾ (النور: ٢١).

▪ يُنْسِيه ذكر الله ويدعوه إلى حزبه، قال تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ (المجادلة: ١٩)، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ (فاطر: ٥-٦).

▪ يأمره ويزين له الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ، فيحلل ويحرمُ هذا الإنسان بغير علم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ (البقرة: ١٦٨، ١٦٩)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ (النحل: ١١٦، ١١٧).

فعالم السوءِ الذى انسلخ من علمه أدركه الشيطان واستحوذ عليه وجنَّدهُ فى حزبه حتى أصبح لا يعرفُ إلا هواه ولا يتبعُ إلا شهواته ثم دفعه ذلك إلى الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ، وإلى تحليل ما حرم الله، وتحريم ما

أحل الله كما قال تعالى عن علماء السوء: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ (مريم: ٥٩)، وقال تعالى فيهم أيضًا: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ (الأعراف: ١٦٩).

رابعُها: أنه غَوِيَ بعد الرشدِ. قال تعالى: ﴿ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ (الأعراف: ١٧٥).

ومن سلك سبيلَ الغي كان من أهل النار، قال تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (الشعراء: ٩١ ـ ١٠٤).

فعالِم السوء الذى انسلخ من علمه ينطبق عليه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (الأعراف: ١٤٦).

خامسها : أنه سبحانه لم يشأ أن يرفعه بالعِلم، فكان العِلم سببَ هلاكه، لأنه لم يُرفع به! فصار وبالاً عليه، ولو لم يكن عالمًا لكان خيرًا له وأخف لعذابه، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

العالِم الذى لم يعمل بعلمه يدخلُ النارَ قبلَ عُبَّاد الوثن، وحديث النبى ﷺ عن أولِ من تُسَعَّرُ بهم النار ومنهم العالم الذى لم يعمل بعلمه وأراد بعلمه الدنيا الفانية.

سادسها وسابعها : أنه سبحانه أخبر عن خِسَّةِ همتِهِ، وأنهُ اختارَ الأسفلَ الأدنى على الأشرف الأعلى.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

والأرض هى الدنيا، فعالم السوءِ أخلدَ إلى الدنيا، أى: ركن إليها وترك الآخرة!.

- ركن إلى الدنيا التى حذر الله منها فى كتابه فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ ﴾ (فاطر: ٥).

- عالِمُ السوءِ ركن إلى الدنيا التى قال الله فى وصفها: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝٢٠ ﴾ (الحديد: ٢٠).

وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (العنكبوت: ٦٤).

• عالم السوء ركن إلى الدنيا التى توعد الله من ركن إليها بالعذاب الأليم فى النار، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ (هود: ١٥، ١٦).

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ (النازعات: ٣٧-٣٩).

عالم السوء ركن إلى الدنيا التى ذمها رسول الله ﷺ، قال ﷺ: ((إنّ مما أخاف عليكم بعدى، ما يُفتح عليكمُ من زهرةِ الدنيا وزينتها)).

ثامنها وتاسعها: أنه ترك طريق الحق والهدى واتبع هواه، فجعل هواه إمامًا له يقتدى به ويتبعه.

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ﴾ (الأعراف: ١٧٦)، وقال تعالى فى وصف الذين يتبعون أهواءهم: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (الجاثية: ٢٣).

وقال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (الفرقان: ٤٣، ٤٤).

عاشرها: إن الله ﷻ شبَّهه بالكلب ولهثه على الدنيا الذى هو أخسُّ الحيوانات همّة، وأسقطها نفسًا، وأبخلُها وأشدُّها كَلَبًا، ولهذا سُمِّى كلبًا، قال تعالى: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

ثانيًا: العلم الشرعى يرفعُ صاحبهُ إلى أفضل المنازل، والجهلُ ينزلُ بصاحبه إلى أخبث المنازل.

وهذا يؤخذ من قصة عالم السوءِ، فعالمُ السوءِ نزل من منزلة العلماء وهى من أفضل المنازل إلى منزلة الكلاب وهى من أخبث المنازل.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ (الأعراف: ١٧٦، ١٧٧).

وقال ﷺ: **((إنما الدنيا لأربعة نفرٍ: عبدٍ رزقهُ الله مالاً وعلمًا فهو يتقى فيه ربهُ، ويصلُ فيه رحمهُ، ويعلم لله فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رزقه الله تعالى علمًا ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية، يقول: لو أن لى مالاً، لعملت فيه بعمل فلانٍ فهو بنيته، فأجرهما سواءٌ، وعبدٍ رزقهُ الله مالاً، ولم يرزقه علمًا، فهو يخبط فى ماله بغير علمٍ، لا يتقى فيه ربه، ولا يصل فيه**

رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًا، فهذا بأخبث المنازل، وعبدٍ لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملتُ فيه بعمل فلان، فهو بنيته، ووزرهما سواء))[1].

العلم يرفع أهله في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (المجادلة: ١١).

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ (الأنعام: ٨٣).

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

(يوسف: ٧٦).

وقال ﷺ: ((إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضعُ به آخرين)).

وقال ﷺ: ((يُقالُ لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت تُرتِّلُ في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها)).

ثالثًا- فكِّرْ واعتبِرْ قبل أن تندم.

وهذا يؤخذ من قصة عالم السوء من قوله تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ (الأعراف: ١٧٦).

---

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في ((الكبير)) (٢٢/٣٤٥)، وأحمد (٤/٢٣١)، والترمذي (٢٣٢٥)، ((صحيح الجامع)) (٣٠٢٤).

فكّر فى قصص القرآن ترى أن المعاصى سببٌ لكل شر:

● ما الذى أخرج الأبوين من الجنة، دار اللذة والنعيم والبهجةِ والسرور، إلى دار الآلام والأحزان.

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ (١٢٣) وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا (١٢٥) ﴾ (طه: ١٢٣ ـ ١٢٥).

● وما الذى أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنهُ، ومسخ ظاهره وباطنه فبُدّل بالقرب بُعدًا، وبالرحمة لعنةً، وبالجمال قُبحًا، وبالجنة نارًا تلظى؟!

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ (٣٥) ﴾ (الحجر ٣٤، ٣٥).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ (١٨) ﴾ (الأعراف: ١٨).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ (٧٦) قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ (٧٨) ﴾ (ص: ٧٥ ـ ٧٨).

● وما الذى أغرق أهل الأرض ـ فى زمن نوح عليه السلام ـ حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟!

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ (القمر: ٩ – ١٧).

• ما الذى سلط الريح على قوم عادٍ حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاويةٍ؟!

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (فصلت: ١٥، ١٦).

و قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

(القمر: ١٨ – ٢٠).

• وما الذى أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قُطِّعت قلوبهم فى أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟!

قال تعالى: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (هود: ٦٧).

و قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾

(القمر: ٣١).

و قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (الحجر: ٨٣).

● وما الذى رفع قرى قوم لوط ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، وأهلكهم جميعًا، ثم أتبعهم بحجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمةٍ غيرهم.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾

(هود: ٨٢، ٨٣).

وقال تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ ﴾

(الشعراء: ١٧٣).

وقال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الحجر: ٧٣، ٧٤).

● وما الذى أغرق فرعون وقومه فى اليم؛ نُقلت أرواحهم إلى جهنم فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟!

قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (القصص: ٤٠، ٤١).

وقال تعالى: ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾ (هود: ٩٧، ٩٨).

- وما الذى خسف بقارون وداره وماله وأهله الأرض؟!

قال تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (القصص: ٨١).

- وما الذى أهلك أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون؟!

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (النحل: ١١٣).

- وما الذى أحرق الجنة لأصحاب الجنة؟!

قال تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾

(القلم: ١٧ – ٢٠).

● وما الذى أبدل قوم سبأٍ أمنهم خوفًا وشبعهم جوعًا؟!

قال تعالى: ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧) ﴾ (سبأ: ١٦، ١٧).

● وما الذى أنزل عالمَ السوءِ من منزلة العلماء إلى منزلة الكلاب والحمير؟!

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

أليس السبب فى ذلك كله المعاصى والذنوب!!

الكلمة الأخيرة: فكر واعتبر بعاقبة المعاصى والذنوب قبل فوات الأوان؛ حيث لا ينفع الندم ولا تُجدى الحسرة والألم.

من آثار الذنوب والمعاصى:

■ المعاصى سببٌ لزوال النعم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧) ﴾ (إبراهيم: ٧)، وقال تعالى: ﴿ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا ... ﴾ (سبأ: ١٥، ١٦) - أى: لم يشكروا واقترفوا المعاصى ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧) ﴾ (سبأ: ١٦، ١٧).

■ المعاصى والذنوب سببٌ للهلاك: قال تعالى: ﴿ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ (الأنعام: ٦). وقال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ﴾ (العنكبوت: ٤٠).

وقال ﷺ: ((إن الله ليملى للظالم، حتى إذا أخذهُ لم يفلته))، قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)﴾ (هود: ١٠٢)[1]

■ المعاصى والذنوب سببٌ للهزيمة والذل، قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥)﴾ (آل عمران: ١٦٥).

وهذه الآية نزلت فى شأن أصحاب رسول الله ﷺ، إذ خالف الرماة فى غزوة أحد أمر رسول الله ﷺ ونزلوا عن الجبل قبل أن يأمرهم بذلك.

■ المعاصى والذنوب سببٌ لغياب الأمن والأمان والإيمان، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١١٣)﴾ (النحل: ١١٢، ١١٣).

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

(٦) أصحاب الكهف

أهداف القصة:

١- التعريف بآثار قدرة الله الباهرة.

٢- التذكير بدور الشباب المؤمن فى النهوض بالأمة.

٣- التأكيد على أهمية مصاحبة الصالحين.

٤- اليقين بالبعث والنشور .

٥- التحذير من بعض المفاهيم المغلوطة.

٦- إيقاظ بعض المعانى الإيمانية فى النفوس.

الآيات:

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا
(٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا
رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ
أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا
بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا
اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ
يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦) ﴾ (الكهف: ٩ - ١٦).
إلى قوله: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا لَبِثُوا ۖ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن
وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) ﴾ (الكهف: ٢٥، ٢٦).

البيان:

قصةُ أصحاب الكهف مظهرٌ من مظاهرِ الإيمان؛ حيث يظهر لنا من خلالها كيف يصنعُ الإيمان الرجالَ، وكيف يدفعُ الإيمان أصحابه إلى كلِّ خيرٍ.

أصحابُ الكهفِ مجموعة من الفتية الشباب المؤمنين بالله، وقف هؤلاء الفتيةُ المؤمنون وقفة للبحث والنظر، وخرجوا منها بنتيجةٍ قاطعة وهى أن الله وحدهُ ربُّ العالمين وأنهم لن يؤمنوا إلا به، ولن يعبدوا إلا إياه.

لقد عرفوا أن قومهم كانوا كافرين، لأنهم عبدوا غيرَ الله، وكفرُهُم هذا أوجد عندهم الظلم والكذب والافتراء، فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا؟ ثم فكر أولئك الفتية المؤمنون فى الخطوة التالية، فوجدوا أن العزلة هى الحل فقرروا اعتزال قومهم، فهم مؤمنون، وقومهم كافرون، ولا مجال لأن يعيشوا معهم.

وكان بالمدينة رجل مؤمن يعبد الله - تعالى - ولا يسجد للأصنام التى لا تنفع ولا تضر، وكان يدعو الناس للإيمان بالله، وزاد أتباعه من المؤمنين فلما علم الملك بخبره أرسل إليه جنوده فقبضوا عليه وأخرجه أمام الناس وطلب منه أن يكفر بالله ويسجد للأصنام لكن الرجل المؤمن قال: لا أسجد إلا لله.... الذى خلقنى ورزقنى ويميتنى ثم يحييني.

فاغتاظ الملك وأمر جنوده بقتل الرجل المؤمن فقتله الجنود وهو يقول: لا إله إلا الله... لا إله إلا الله.

وكان ملكًا ظالمًا يعذب الناس ويأخذ أموالهم وما يملكون، وكان كافرًا بالله يعبد الأصنام ويأمر الناس بعبادتها وترك عبادة الله الواحد الأحد.

وكان حول الملك مجموعة من الفتيان مقربون إليه ويقودون الجيوش فى الحروب وينظمون له شئون الدولة... وكان من بين هؤلاء الفتيان ستة قد آمنوا بالله وأعلنوا جميعًا إيمانهم أمام الملك فى عزة وقوة وصرخ فيهم الملك: كيف ... كيف تتركون ديني؟ ألا تخافون أن أفتك بكم؟ فقالوا

جميعًا : اقتلنا أو اتركنا ، فالأمر بيد الله لا بيدك أنت وإننا لا نخاف إلا من الله فكتم الملك غيظه وقال لهم : أنتم رجالى المخلصون ولا زلتم شبابًا تستمتعون بالحياة وسوف أترككم اليوم لتفكروا فى أمركم، وغدًا نتقابل هنا فى هذا القصر لتعلنوا أنكم ندمتم على ما فعلتم.

خرج الفتيان المؤمنون من القصر وقد ازدادوا إيمانًا وثقة بأنه لا أحد يملك الحياة والموت لأحد إلا الله - سبحانه - الذى آمنوا به وعبدوه وقرروا جميعًا الهرب إلى مكان يعبدون الله تعالى فيه بأمان بعيدًا عن أعين الملك الكافر وجنوده، فذهب كل منهم إلى بيته وحملوا متاعهم معهم، فرآهم جنود الملك فطاردوهم وأرسلوا إلى الملك الظالم ليخبروه فنزل بنفسه مع كبار الفرسان ليقبض عليهم. الفتيان المؤمنون يدعون الله أن ينجيهم من القوم الظالمين حتى لا يفتنوهم عن دينهم، فرآهم أحد الرعاة المؤمنين فعرفهم وطلب منهم أن ينضم إليهم فرحبوا به وانطلق بهم مع كلب له إلى كهف فى أعلى جبل فدخلوه ونظروا من أعلى الجبل فإذا بالجنود يعودون إلى المدينة خائبين بعد أن فشلوا فى الإمساك بهم. فقام الفتيان فصلوا شكرًا لله نجاهم وأتاهم النعاس فناموا جميعًا وجلس الكلب على باب الكهف وكأنه يحرسهم، وفى صباح اليوم التالى تتبع الملك وجنوده آثار أقدام الفتيان حتى وصلوا إلى الكهف فدخلوه فإذا الفتيان نائمين لكن الله تعالى أرعبهم وأخافهم من منظر الفتية حتى لا يقتربوا منهم، فكان كلما دخل أحد من الجنود عليهم الكهف يخرج مرعوبًا وهو يصرخ من الفزع ولا يدخل مرة أخرى فانصرف الملك وجنوده يائسين.

وظل الفتية نيامًا فى الكهف منذ دخولهم إليه حتى بعثهم، وتساؤلهم فيما بينهم: ثلاثمائة سنة شمسية (وهى السنة التى كان يتعامل بها أهل الكتاب)، تُعادل ثلاثمائة وتسع سنوات قمرية (وهى السنة التى كان يتعامل بها العرب)، وفى تلك الفترة مات الملك الكافر وتولى على البلاد ملك مؤمن، وآمن كل أهل البلد معه وانتشرت المساجد فى البلاد.

وأراد الله - تعالى - أن يعلم الناس بالمعجزة العظيمة والقدرة الإلهية فبعثهم الله، وسأل كل منهم الآخر عن الفترة التى ناموها فقالوا: إنها يوم أو نصف يوم، ولم يعلموا أنهم ناموا مئات السنين فأرسلوا واحدًا منهم ليشترى طعامًا لهم من البلد وليحذر من جنود الملك. وبالفعل نزل أحدهم إلى السوق ووجد معالم البلاد قد تغيرت واشترى الطعام، ولكن البائع فوجئ به يعطيه نقودًا مرت عليها مئات السنين فتخيل أن الشاب قد وجد كنزًا فأخذه إلى الملك وأخبره الخبر، واندهش الملك وتعجب الشاب أيضًا من طول الفترة التى ناموها وتعجب الناس من قدرة الله - تعالى- بعد أن تأكدوا من أحفاد الشاب ومن أسماء أصحابه المؤمنين التى يحفظونها منذ زمن بعيد.

واصطحب الملك الشاب المؤمن وتبعهم أهل القرية أجمعون إلى الكهف ليروا المعجزة العظيمة فلما علم بقية الفتية المؤمنين بالخبر خرجوا فسلموا على أهل القرية وعلى الملك المؤمن ثم دخلوا الكهف فماتوا جميعًا وقال الناس: سبحان الله: إن الله على كل شيء قدير.

⇦ **المستخلص عن قصة أصحاب الكهف سيكون حول العناصر التالية:**

- **العنصر الأول:** صفات أصحابِ الكهفِ .
- **العنصر الثانى:** الكرامات التى أكرمَ الله بها أصحاب الكهف.
- **العنصر الثالث:** أصحاب الكهفِ بعد أن استيقظوا من نومهم.
- **العنصر الرابع:** أصحاب الكهف بعد أن عثر الناسُ عليهم وعلموا أمرهم.

- العنصر الأولُ : صفاتُ أصحابِ الكهفِ.

** وصف الله - عز وجل - أصحابَ الكهف بصفاتٍ ينبغى للمسلمين أن يتصفوا بها وهى :

الصفة الأولى : شبابٌ :

قال تعالى :﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ﴾ - أى : فى سن الشباب، والشباب هم أقبلُ للحق من غيرهم.

قال ابن كثير فى هذه الآية : ((ذكر الله تعالى أنهم فتيةٌ وهم الشباب، وهم أقبلُ للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين عتوا وانغمسوا فى دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله - تعالى - ولرسوله ﷺ شبابًا ، وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يُسلمْ منهم إلا القليل، وهكذا أخبر الله - تعالى - عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شبابًا)) .

ولذلك اهتمَ النبى ﷺ بالشباب وسن الشبابِ.

فقال ﷺ: ((سبعةٌ يظلهم الله تعالى فى ظله يومَ لا ظلَّ إلا ظله)) - وذكر منهم - ((وشابٌّ نشأ فى عبادة الله))[1].

وقال ﷺ: ((اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شُغلك، وشبابَك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك))[2].

وقال ﷺ: ((لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامة، حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟ وعن علمه ما عمل به؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ وعن جسمه فيما أبلاه؟))[3].

وقال ﷺ: ((يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومَن لم يستطعْ، فعليه بالصومِ؛ فإنه له وِجاءٌ))[4].

الصفة الثانية: مؤمنون:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ (الكهف: ١٣).

أصحاب الكهفِ مجموعةٌ من الشباب آمنوا بربهم فتحولوا من طلاب للدنيا إلى طلاب للآخرة!! وهكذا يفعل الإيمان بأهله.

وهذا هو ما حدث للسحرةِ الذين جاءوا إلى فرعون يطلبون الدنيا فقط كما الجماعة المأجورة، قال تعالى عنهم: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ۝٤١﴾ (الشعراء: ٤١).

(١) أخرجه البخارى (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).
(٢) صحيح: أخرجه الحاكم (٤/٣٤١)، والبيهقى فى ((الشعب))(٧/٢٦٣)،((صحيح الجامع))(١٠٧٧).
(٣) صحيح: أخرجه الترمذى (٢٦٠٢).
(٤) صحيح: أخرجه البخارى (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠) واللفظ له.

فلما آمنوا ودخل الإيمان فى قلوبهم أصبحوا لا يطلبون إلا الآخرة ولا يريدون إلا ما عند الله.

قال تعالى عنهم عندما هددهم فرعون: ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (٧٣) ﴾ (طه: ٧٢، ٧٣).

وهذا هو ما حدث لجليس الملك فى قصة أصحاب الأخدود أيضًا.

لقد كان جليسُ الملك يعيشُ عند الملكِ ويتمتعُ بالدنيا فلما آمن ودخل الإيمان فى قلبه تغير وعندما سأله الملك من ردّ عليك بصرك؟ قال: ربي، فقال له الملك: أولك رب غيري؟ قال: ربى وربك الله ... هكذا يصنعُ الإيمان الرجال ولما طَلَبَ منه الملك أن يرجع عن دينه أبى فنُشِرَ بالمناشير ولم يرجعْ عن دينه.

أصحاب الكهفِ مجموعةٌ من الشباب جمعهم الإيمان بالله، والإيمانُ الصادقُ سببٌ للاتحاد والاجتماع والاعتصام، بينما الشرك وفساد العقيدة سببٌ للتفرق والاختلاف.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: ١٠).

وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (التوبة: ٧١).

وقال ﷺ: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا)) وشبكﷺ بين أصابعه))[1].

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥).

أما الشركُ فهو سبب الافتراق: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الروم: ٣١، ٣٢).

الصفة الثالثة- مهتدون:

قال تعالى ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾

(الكهف: ١٣).

أصحاب الكهفِ مجموعةٌ آمنوا بالله وزادهم الله هدى، ومن هداه الله فلا مضل له، ومن أضله الله فلا هادى له كما قال تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ (الكهف: ١٧).

قال تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾ (الأعراف: ١٧٨).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ (الزمر: ١٨).

وكان ﷺ يقولُ فى كل خُطبهِ ومواعظهِ: ((من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له)).

قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ ﴾ (الصافات: ١١٨).

استدل العلماء بهذه الآية ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣﴾ على أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ۝١٧﴾

(محمد: ١٧).

وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۝٧٦﴾ (مريم: ٧٦). وقال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ (الفتح: ٤). وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤﴾

(التوبة: ١٢٤).

الصفة الرابعة: ثابتون على دينهم.

قال تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ (الكهف: ١٤)، أي: وصبَّرناهم على مخالفةِ قومهم ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمةِ.

ويفهمُ من هذه الآيةِ الكريمة: أن من كان في طاعة ربه - جل وعلا - أنه تعالى يُقوى قلبَه، ويثبته على تحملِ الشدائد والصبر الجميل، وقد أشار تعالى إلى وقائع من هذا المعنى في مواضع أُخر: كقوله تعالى في أهل بدر مخاطبًا نبيه ﷺ وأصحابه: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ۝١١ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ (الأنفال: ١١، ١٢). وكقوله في أم موسى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ

مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ (القصص: ١٠).

فالمؤمن الذى آمن بالله وانشغل بطاعته يثبته الله عند الشدائد ويربطُ على قلبه. وهذا ما حدث للراهب وجليس الملكِ والغلامِ والمؤمنين فى قصة أصحاب الأخدود عندما طلب منهم الملك أن يرجعوا عن دينهم فأبوا جميعًا وثبتوا على دينهم.

الصفة الخامسة: الشجاعةُ فى قول الحق ورفض الباطل.

قال تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾

(الكهف: ١٤، ١٥).

اجتمع الفتيةُ أصحابُ الكهف على الإيمان بالله وحده لا شريك له فقاموا جميعًا فقالوا: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ - أى: الله وحده هو الذى خلقنا ورزقنا وخلق السموات والأرض، أما تلك الأوثان والأصنام فإنها لا تخلق ولا ترزق ولا تملك نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ (المائدة: ٧٦).

و قال تعالى : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ (الرعد : ١٦).

و قال تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ (الفرقان : ٣).

فاستدلوا بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية ولهذا قالوا : ﴿ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ﴾ ـ أى : من سائر المخلوقات فإن فعلنا ـ أى : إن دعونا معه آلهة بعدما علمنا أنه الربُّ الإله، الذى لا تجوز ولا تنبغى العبادة إلا له ـ ﴿ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ أى : ملنا ميلاً عظيمًا عن الحق، وسلكنا طريقًا بعيدًا عن الصواب.

فجمعوا بين الإقرار بتوحيد الربوبية وتوحيد الإلوهية، والتزام ذلك، وبيانُ أنه الحق وما سواه باطلٌ، وهذا دليلٌ على كمال معرفتهم بربهم، وعلى زيادة الهدى من الله لهم. قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ (لقمان : ٣٠).

ولما ذكروا ما مَنَّ الله به عليهم من الإيمان والهدى، التفتوا إلى ما كان عليه قومهم من اتخاذ الآلهة من دون الله، فمقتوهم، وبينوا أنهم ليسوا على

يقين من أمرهم، بل هم فى غاية الجهل والضلال فقالوا: ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَـٰنٍ بَيِّنٍ﴾ - أى: بحجة وبرهان على ما هم عليه من الباطل - لكنهم لن يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً، وإنما ذلك افتراءٌ منهم على الله وكذبٌ عليه، وهذا أعظم الظلم ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾ (الكهف ١٥). و قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (السجدة: ٢٢).

هكذا يصنعُ الإيمانُ الرجالَ ويدفعهم إلى قولِ الحقِ ورفضِ الباطل، ويدفعهم إلى كل خير يوصلهم إلى سعادة الدنيا والآخرة.

★★ ومن الأمثلة على ذلك:

الرجل المؤمن الذى جاء من أقصا المدينة يسعى فى قصة أصحاب القرية فإنه قد صدع بالحق ورفض الباطل وقال لقومه: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ (يس: ٢٠ - ٢٥).

ومؤمن آل فرعون الذى قال لقومه فى نصيحته وبكل شجاعةٍ: ﴿يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾ (غافر: ٣٨)، إلى أن قال: ﴿وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ

لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ (غافر: ٤١ - ٤٤).

الصفة السادسة: ومن صفات أصحاب الكهف فرارهم إلى الله تعالى بدينهم:

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ (الكهف: ١٦).

قال أصحاب الكهف لبعضهم: وإذ فارقتموهم وخالفتموهم بدينكم فى عبادتهم لغير الله، قال تعالى: ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ (الكهف: ١٦).

ففروا بدينهم إلى الكهف والتجأوا إلى الله وحده، قال الله تعالى عنهم: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ (الكهف: ١٠).

وهذا ما فعلهُ رسول الله ﷺ وأصحابه عندما هاجروا من مكة إلى المدينة فرارًا بدينهم.

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ (التوبة: ٤٠).

نصح النبى ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة فرارًا بدينهم من أذى المشركين فهاجروا الهجرة الأولى بعد خمس سنين من البعثة الشريفة فى شهر رجب، وقال لأصحابه: ((إن بالحبشة مَلِكًا لا يُظلَمُ عنده أحدٌ، فلو خرجتم إليه حتى يجعل الله لكم فرجًا)). فكان أول من خرج منهم عثمان بن عفان ﷺ وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ.

- العنصر الثانى: الكراماتُ التى أكرمَ الله بها أصحابَ الكهف.

** قصةُ أصحاب الكهف مظهرٌ من مظاهرِ قدرة الله فى حفظه لأوليائه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (النحل: ١٢٨)، ودفاعه عنهم وإكرامه لهم بكراماتٍ ويظهرُ ذلك مما يلى:

١- الكهف وموقعه الملائم المناسب؛ حيث كانت حياتهم فيه كلُّها رفق ويُسر وسهولة؛ وحيث كان يقيهم من أشعة الشمس عند الصباح والمساء.

٢- حتى الشمس لم تؤذهم بحرارتها، ولقد كانت تتصرفُ معهم وكأنها حى عاقلٌ واعٍ حكيم، فكانت إذا طلعت تُبْعِدُ أشعَتها عنهم، فتميلُ ذات اليمين، وإذا غربتْ كانت تبتعدُ عنهم ذات الشمال وهم فى فجوةٍ وسعةٍ من أشعتها وسط الكهف.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ ﴾ (الكهف: ١٧).

٣- تشير الآية إلى التفاصيل الدقيقة المتعلقة بالحياة العجيبة لأصحاب الكهف فى الغار، وكأنها تُحكى على لسان شخص جالس فى مقابل الغار ينظر إليهم.

وحتى لا تبلى ثيابهم بنومتهم الطويلة، وحتى لا تأكل الأرض لحومهم، فهى مصونة عن العفونة والفساد، كان الله ﷻ يُقلّبهم ذات اليمين وذات الشمال، فإذا قُلّبوا ذات اليمين تعرضت جنوبهم اليسرى للهواء، وإذا قُلّبوا ذات الشمال تعرضت جنوبهم اليمنى للهواء، فإن ضوء الشمس كان لا يدخل الغار بشكل مباشر، فبقيت جنوبهم وأجسادهم سليمةً صحيحةً.

قال تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ (الكهف: ١٨).

٤- الكلبُ الذى رافقهم وصحبهم، ولما دخلوا الكهف وقفَ على عتبة الباب يحرسهم، وبسط ذراعيه بالوصيد، ونام نومتهم.

قال تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ .

٥- وحتى لا يطمع أحدٌ فيهم، جعل الله منظرهم مخيفًا مرعبًا للآخرين فما أن يروهم حتى يولوا منهم فرارًا، ويملؤوا منهم رعبًا، ولعلّ مبعث الرعب منهم كان فى أن عيونهم كانت مفتوحةً، بحيث يحسبهم الناظر إليهم أيقاظًا ينظرون إليه مع أنهم فى الحقيقة رقود نائمون.

قال تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ (الكهف: ١٨).

٦- بَعْثهم من نومتهم الطويلة التى بلغت ثلاثمائةٍ وتسع سنين.

قال تعالى: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ (الكهف: ٢٥).

هذه كلها كراماتٌ تكرَّمَ اللهُ بها على أوليائه، وآياتٌ تدلُّ على قدرة الله ووحدانيته وأن الأمور كلّها بيديه وحده سبحانه وتعالى: ﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ (الزمر: ٦٣).

- **العنصر الثالث: أصحاب الكهف بعد أن استيقظوا من نومهم.**

استيقظ أصحابُ الكهفِ من نومهم الطويل فماذا قالوا؟ وماذا فعلوا؟

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (الكهف: ١٩، ٢٠).

★★ وقد دلت هاتان الآيتان على عدة فوائد:

١- الحثُّ على العلم، فإن الله ﷻ بعثهم لأجل ذلك.

٢- امتثال الأدب لمن اشتبه عليه العلمُ، بأن يرد الأمر إلى عالمه وأن يقف عند حد علمه به، وهذا يؤخذ من قولهم ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾.

٣- صحةُ الوكالة فى البيع والشراء وصحةُ الشركة فى ذلك وهذا يؤخذ من قولهم: ﴿ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ ﴾.

٤- جوازُ أكل الطيبات إذا لم تصل إلى حد الإسراف المنهى عنه وهذا يؤخذ من قولهم: ﴿ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ ﴾.

٥- الحثُّ على التحرز، والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن فى الدين والاستعانة بالكتمان فى ذلك سواء على الإنسان أو على إخوانه فى الدين وهذا يؤخذ من قولهم: ﴿ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴾.

٦- شدة عداوة أهل الكفر لأهل الإيمان وهذا يؤخذ من قولهم: ﴿ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ ﴾.

٧- ومن يتبع غير الإسلام ويعبدُ غيرَ الله لن يُفلحَ أبدًا، وهذا يؤخذ من قولهم: ﴿ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾ ﴾.

والله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ (آل عمران: ١٩).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (آل عمران: ٨٥).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ (الأعراف: ٤٣).

- العنصر الرابع: أصحاب الكهف بعد أن عثر الناسُ عليهم وعلموا أمرهم.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أى: لقد أعثرَ الله على أصحابِ الكهف وجعل أهل المدينة يكتشفونهم، ويقفون على أمرهم وأخبرنا اللهُ ﷻ بالحكمة من ذلك بقوله: ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾.

لقد كان ذلك ليعلم أهل المدينة والناس كلهم أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها، فوعد الله لعباده المؤمنين حقٌّ لا محالة، بأنه معهم بالرعاية والحفظ والنصر والتثبيت.

فها هم أصحابُ الكهف لجأوا إلى الله، فكان الله معهم، وحماهم وحفظهم وأبقى أجسادهم سليمة وهم نائمون مئات السنين.

ولقد أعثر الله عليهم، ليعلم أهل المدينة - والناس من بعدهم - أن الساعة لا ريب فيها.

وتنازع قومهم فى أمرهم:

قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ (الكهف: ٢١).

لقد انقسموا فى شأنهم إلى فريقين:

الفريق الأولُ: هم المؤمنون الصالحون حيث قالوا: ﴿ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾.

الفريق الثانى: وهم الحاكمون المنفذون، الذين وصفهم الله بأنهم الذين غلبوا على أمرهم. وكان رأيهم أنْ يُبنى على أصحاب الكهف مسجدٌ وهو رأى باطلٌ وفاسدٌ محرمٌ فإن بناء المساجد على القبور حرام ولا يجوز. قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾.

كشف شبهة وجود قبر النبى ﷺ فى المسجد :

س : كيف نجيب عُبَّاد القبور الذين يحتجون بدفن النبى ﷺ فى المسجد النبوى؟!

ج : الجواب عن ذلك من وجوه :

• الوجه الأول : إن المسجد لم يبن على القبر؛ بل بنى فى حياة النبى ﷺ.

• الوجه الثانى : إن النبى ﷺ لم يدفن فى المسجد حتى يقال : إن هذا من دفن الصالحين، بل دفن ﷺ فى بيته.

• الوجه الثالث : إن إدخال بيوت الرسول ﷺ وفيها بيت عائشة - رضى الله عنها - مع المسجد، ليس باتفاق الصحابة، بل بعد أن انقرض أكثرهم وذلك فى عام أربعة وتسعين هجرية تقريبًا؛ فليس مما أجازه الصحابة؛ بل إن بعضهم خالف فى ذلك. وممن خالف أيضًا : سعيد بن المسيب - من التابعين.

• الوجه الرابع : إن القبر ليس فى المسجد حتى بعد إدخاله، لأنه فى حجرة مستقلة عن المسجد؛ فليس المسجد مبنيًا عليه، ولهذا جعل هذا المكان محفوظًا ومحوطًا بثلاثة جدران، وجعل الجدار فى زاوية منحرفة عن القبلة أى أنه مثلث، و الركن فى الزاوية الشمالية؛ حيث لا يستقبله الإنسان إذا صلى؛ لأنه منحرف، وبهذا يبطل احتجاج أهل القبور بهذه الشبهة.(١)

---

(١) الشيخ ابن عثيمين - مجموع فتاوى ورسائل (٢/٢٣٢/٢٣٣) من الفتاوى الشرعية فى المسائل العصرية [فتاوى علماء البلد الحرام].

فى قصة أصحاب الكهف وفى بعثهم بعد نومهم الطويل، دليلٌ على أن من فرّ بدينه من الفتن سلمهُ اللهُ منها. وأن من حرص على العافية عافاهُ الله ومن أوى إلى الله أواه الله، ومن تحمل الذل فى سبيله وابتغاء مرضاته، كان آخر أمره وعاقبتهِ العزُّ والرفعةُ من حيث لا يحتسب ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٌ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾ (آل عمران: ١٩٨).

★★ اختلف أهل الكتاب فى عدد أصحاب الكهف وذهبوا فيهم إلى ثلاثة أقوال:

كما قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٌ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٌ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾ (الكهف: ٢٢).

القول الأول: قالوا ثلاثةٌ رابعهم كلبهم.

القول الثانى: قالوا خمسةٌ سادسهم كلبهم.

وهذان القولان ذكر اللهُ بعدهما أنّ هذا رجمٌ منهم بالغيب، فدل على بطلانهما.

القول الثالث: قالوا سبعةٌ وثامنهم كلبهم.

الله أبطل القولين الأولين ولم يبطل هذا فدل على صحته - والله أعلم.

وهذا من الاختلاف الذى لا فائدة تحته ولا يحصل بمعرفة عددهم مصلحة للناس، دينية ولا دنيوية. ولهذا قال تعالى: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٌۗ﴾ (الكهف: ٢٢).

ثم ختم - سبحانه وتعالى - قصة أصحاب الكهف بهذه التوجيهات والآداب لرسوله ﷺ وللمؤمنين.

فقال تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ (الكهف: ٢٢ - ٢٤).

عبر ودروس هادية وفوائد إيمانية
من قصة أصحاب الكهف

أولاً- احفظِ الله يحفظك.

- وهذا يؤخذ من قصةِ أصحاب الكهفِ فقد حفظوا الله فى أنفسهم:

بأن عبدوهُ وحدهُ لا شريك له.

قال تعالى عنهم: ﴿إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ (الكهف: ١٤).

والتجأوا إليه وحده سبحانه بالدعاء.

قال تعالى عنهم: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ (الكهف: ١٠).

وفروا بدينهم إليه وحده.

قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾

(الكهف: ١٦).

لما حفظ أصحاب الكهف الله فى أنفسهم حفظهم الله فى الكهف سنين عددًا وحفظ عليهم دينهم ورفع ذكرهم وأنزل فيهم قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة .

وهذه من سنن الله فى خلقهِ : من حَفِظَ الله حفظه ولذلك قال النبى ﷺ : ((احفظ الله يحفظك)) .

★★ ومن أمثلة من فعل ذلك :

١- يوسف عليه السلام حفظ الله:

- عندما راودتُه النسوةُ قال : ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ﴾ (يوسف : ٣٣) .

- وفى السجن دعا المساجين إلى عبادة الله وحده فقال : ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ (يوسف : ٣٩) .

فلما حفظَ يوسفُ عليه السلام الله فى نفسه حفظه الله تعالى فأخرجه من السجن ومكّنهُ فى الأرض فلما قال له إخوته : ﴿ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (يوسف : ٩٠) .

٢- يونس عليه السلام حفظ الله فحفظه الله:

قال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٧) فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (٨٨) ﴾ (الأنبياء: ٨٧، ٨٨).

نجاهُ الله من الغمّ وحفظه؟

لأنّ يونس عليه السلام حفظ الله في نفسه، قال تعالى: ﴿ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ (١٤٤) ﴾ (الصافات: ١٤٣، ١٤٤).

٣- رسولُ الله ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه:

وهما في طريقهما من مكة إلى المدينة عندما دخلا الغار وقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله! لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا فقال له النبي ﷺ: ((يا أبا بكرٍ! ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثُهما))[1].

قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠) ﴾ (التوبة: ٤٠).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨١) واللفظ له.

٤- الثلاثةُ الذين دخلوا الغار:

أولئك الثلاثة دخلوا الغار وانحدرتْ صخرةٌ فأغلقتْ عليهم الغار وأيقنوا الهلاكَ والموتَ فقالوا: إنه لن ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم.

فتوسلَ الأول: ببره لوالديه فاستجاب الله له ولكن لا يستطيعون الخروج.

وتوسل الثانى: بتركه للزنا بعد أن قدر عليه فاستجاب الله له ولكن لا يستطيعون الخروج.

وتوسل الثالث: بحفظه الأماناتِ ورد الحقوقِ لأصحابها فاستجاب الله له وخرجوا من الغار[1].

فحفظهم الله لأنهم حفظوا الله بإخلاصهم فى أعمالهم.

من أراد أن يحفظه اللهُ ويحفظَ مالهَ وأولادهَ فليحفظ الله، وحفظُ الله: هو أن تحفظ حدوده وحقوقه وأوامرهُ ونواهيه.

ثانيًا- الساعة آتيةٌ لا ريب فيها.

وهذا يؤخذ من قصةِ أصحاب الكهف من قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ (الكهف: ٢١).

---

(١) صحيح: إشارة إلى حديث عند البخارى (٢٢٧٢)، (٥٩٧٤)، ومسلم (٢٧٤٣).

الساعةُ هى القيامة، هى اليوم الذى يبعث الله فيه الخلائق ليحاسبهم، وهى حقٌّ لا ريب فيها.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ (الحج: ٦، ٧).

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤٨﴾ (البقرة: ٤٨). وقال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾ (آل عمران: ٩). وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾ (النساء: ٨٧). وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١١٩﴾ (المائدة: ١١٩). وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٠﴾ (الأنعام: ٤٠). وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝١٣٤﴾ (الأنعام: ١٣٤). وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٠٧﴾ (يوسف: ١٠٧). وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝٤٨﴾ (إبراهيم: ٤٨). وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ۝٨٥﴾ (الحجر: ٨٥). وقال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١﴾ (النحل: ١). وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣﴾ (الإسراء: ١٣). وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ

بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾ (الإسراء: ٥٢). وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (طه: ٢٤). وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (السجدة: ٢٥).

والساعة لا يعلمُ متى هي إلا الله وحدهُ.

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (الأحزاب: ٦٣). وقال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ ﴾ (الأعراف: ١٨٧).

و قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ (لقمان: ٣٤).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ (طه: ١٥).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الأنبياء: ٤٩).

وقال تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (يس: ٤٨).

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (الزخرف: ٦١).

وقال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾ (محمد: ١٨). وقال تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾ (القمر: ١).

والساعة - وهى القيامة - يوم شديدٌ جداً.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ (الحج: ١، ٢). وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ (الحج: ٥٥).

فى هذا اليوم يخرج الناس من قبورهم للحساب والجزاء.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ (الكهف: ٤٧ - ٤٩).

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (النمل: ٨٧).

الساعة والإيمان بها ركنٌ من أركان الإيمان، ومن كفر بها فهو من أخسر الخاسرين.

ها هم الذين كذبوا بالساعة يندمون فى وقتٍ لا ينفع فيه الندم!

قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾ (الفرقان: ١١ ـ ١٤).

وقال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الأنعام: ٣١).

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الجاثية: ٢٧، ٢٨)، إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الجاثية: ٣٠ ـ ٣٤).

ثالثًا- الفرارُ إلى الله تعالى:

قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ (الكهف: ١٠).

وقال تعالى ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ (العنكبوت: ٥٦).

هذه الآية صريحة فى الفرار بالدين وهجرةِ الأهلِ والبنينِ والأقرباء والأصدقاءِ والأوطانِ والأموالِ خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة.

وقد خرج النبى ﷺ فارًّا بدينه، وكذلك أصحابه، وهجروا أوطانهم، وتركوا أرضهم وديارهم وأهلهم وأولادهم وأقرباءهم وإخوانهم، رجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين. فعندما زاد ما كان ينزل بالمسلمين من الأذى أشار عليهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة و قال ﷺ: ((لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها مَلكًا لا يُظْلَم عنده أحد، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه.)) فخرج عند ذلك المسلمون إليها مخافة الفتنة و فرارًا إلى الله بدينهم فكانت أول هجرة فى الإسلام.

(٧) صاحب الجنتين

أهداف القصة:

١- التعريف بأهمية النصح والإرشاد .

٢- بيان أجر الدعوة إلى الله.

٣- التحذير من الفخر والتباهي.

٤- الاقتداء بالنبى ﷺ فى شكر النعمة .

٥- التأكيد على أهمية الثقة فى عطاء الله.

٦- التحذير من طغيان المال والركون إلى الدنيا .

٧- استشعار الطمأنينة فى رحاب الله.

٨- طلب البركة من الله تعالى.

٩- التعريف ببعض صور عذاب العصاة فى الدنيا .

١٠- توضيح الفارق بين الموازين عند الله والموازين عند بعض البشر .

الآيات:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ
وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا
وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا
وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾
وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ
صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾
لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ
ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا
مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا
غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ
خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم
مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا
تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ
وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الكهف: ٣٢ـ٤٦).

قصةُ صاحب الجنتين ذُكرتْ في القرآنِ مثالاً على الكافرين المغرورين بدنياهم، ومثالاً على المؤمنين المعتزين بإيمانهم.

البيان:

القصة تدور حول رجلين، جعل الله لأحدهما جنتين، أى: بستانين من مختلف الثمار والزروع. وكل من الأشجار والزروع مثمر فى غاية الجودة، والأنهار متفرقة فيهما ها هنا وها هنا. ودخل أحدهما جنته مغرورًا ومعجبًا بها فقال: ما أظن أن تهلك هذه الجنة وما أظن يوم القيامة آت ولئن كان هناك حياة بعد الموت ورجوع إلى الله، ليكونن لى هناك أحسن من هذا الحظ عند ربي. فقال له صاحبه - وكان رجلاً مؤمنًا - لقد كفرت بالذى خلقك وأنا الآن فقير، ولكن أرجو الله أن يعطينى فى الآخرة خيرًا من جنتك ويرسل على جنتك ما يهلك شجرها وثمرها، أو يجعل ماء أنهارها غائرًا فى الأرض. وقد وقع الهلاك بثمر جنته وأحس بأن الذى وقع بجنته هو نتيجة كفره وغروره فقال: يا ليتنى لم أشرك بربى أحدًا.

⇦ المستخلص عن قصة صاحب الجنتين سيكون حول العناصر التالية:

- **العنصر الأول:** ودخل جنتهُ وهو ظالمٌ لنفسه.
- **العنصر الثانى:** ابنَ آدم أكفرتَ بالذى خلقك من تراب؟
- **العنصر الثالث:** الجزاءُ من جنس العمل.
- **العنصر الرابع:** ندمٌ فى وقتٍ لا ينفعُ فيه الندم.

- العنصر الأولُ: ودخلَ جنته وهو ظالم لنفسه.

وهو ظالم لنفسه بكفره وتمرده، وجحده وإنكاره المعاد حين عاين الثمار والزروع والأنهار المتدفقة فى مزرعته: ما أظن أن تفنى هذه الجنة أبدًا، وما أظن أن يوم القيامة آت، - كما تقول يا صاحبي، فقوله "الساعة قائمة" أى القيامة كائنة، وكان فى الحالتين مخطئًا لنفسه بوضعه الشيء فى غير محله؛ إذ كان يجب عليه شكر تلك النعمة، وتفكره فى عالم الآخرة، وذلك لطول أمله وشدة حرصه، وتمام غفلته، وشدة اغتراره بالدنيا.

كثير من الناس يظنُّ أن الغنى دليلٌ على محبة اللهِ للعبد، وأنّ الفقرَ دليلٌ على بغض الله للعبد، وهذا ظنٌّ خاطئٌ؛ قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ (الفجر: ١٥، ١٦).

ليس الأمرُ كما تظنون فإن الله يُعطى الدنيا من يُحب ومن لا يحبُّ، ولكنه لا يُعطى الإيمان والدين إلا لمن يُحبُّ فقط.

وهذا الميزانُ المقلوبُ والظن الخاطىء وقع فيه كفارُ مكة فظنوا أنهم أفضلُ من أصحاب محمد ﷺ الفقراء، حتى أنهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يطرد الفقراء من مجلسه ليجلسوا هم إليه، فأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (الكهف: ٢٨).

وأنزل الله ﷻ على رسوله في نفس السورة قصة صاحب الجنتين مع صاحبه الفقير.

فقال تعالى: ﴿ ۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ ﴾ (الكهف: ٣٢).

الرجل الأول: هو صاحبُ الجنتين الغني المغرورُ بماله.

الرجل الثاني: هو المؤمن الفقير المعتزُّ بإيمانه.

وصف الجنتين: قال تعالى: ﴿ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ ﴾ (الكهف: ٣٢ ـ ٣٤).

- **الصفة الأولى:** كون كل واحدة منهما جنةً.
- **الصفة الثانية:** ﴿ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ ﴾ أي: وجعلنا النخل محيطًا بهما.
- **الصفة الثالثة:** ﴿ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴾ أي: جعلنا بين الأشجار زرعًا.
- **الصفة الرابعة:** ﴿ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ ﴾ أي: لم تنقص منه شيئًا.
- **الصفةُ الخامسةُ:** ﴿ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴾ أي: كان النهر يجري في داخل الجنتين.
- **الصفة السادسة:** ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ ﴾ أي: كان لذلك الرجل ثمرٌ عظيمٌ.

فبدلاً من أن يشكرَ صاحبُ الجنتين نعمةَ الله عليه لتبقى له وتدوم، كفر وظلم وتكبر.

قال تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ (عبس: ١٧)، وقال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ (العلق: ٦، ٧).

تصرفات وأقوال وصفات صاحب الجنتين.

قال تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الكهف: ٣٤ ـ ٣٦).

★★ صاحب الجنتين المغرور:

١ـ دخل جنته وهو ظالمٌ لنفسه.

٢ـ ظن أن تلك الجنة باقيةٌ وأن نعيمها دائمٌ، ولذلك ركن إليها، وقال: ﴿ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ ﴾.

٣ـ ونتج عن ركونه إلى جنتهِ واكتفائه بما فيها؛ نسيانُهُ للدار الآخرة، وإنكارهُ لقيام الساعة، فقال: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾.

٤ـ وقال لئن كان هناك معادٌ وبعثٌ بعد الموت ورجعةٌ ومردٌّ إلى الله ليكوننّ لى هنالك أحسن مما عندى الآن؛ فلولا منزلتى العالية عند الله وكرامتى ما أعطانى هذا فى الدنيا، ولذلك قال: ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾.

٥- دفعه هذا الغرور بالغنى إلى أن يتكبر على صاحبه الفقير، فقال له: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾.

وظن المسكينُ المغرورُ بمالِهِ أن مجالَ التفاضل هو كثرةُ المالِ، فهو لكثرةِ ماله أفضل من صاحبه، وهذا ميزانٌ باطلٌ ؛ قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (المؤمنون: ٥٥، ٥٦).

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (سبأ: ٣٧، ٣٨).

وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ (مريم: ٧٧، ٧٨).

وهذا الغرورُ والكبرُ الذى أصاب صاحب الجنتين بسبب الغنى هو نفسه الذى أصاب قارون. قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ (القصص: ٨١).

فقارون كان من قوم موسى عليه السلام فبغى عليهم بسبب الغنى، ولما نصحه قومه وقالوا له: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ - أى: لا تفرح بكثرة المال والغنى، وَزَنَ الأمورَ

بميزانه الباطلِ - كما فعل صاحب الجنتين هذا - فقال قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ فرد الله عز وجل عليه، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ (القصص: ٧٨).

- العنصرُ الثانى: ابنَ آدم أكفرتَ بالذى خلقك من تراب؟!

لما رأى الرجلُ المؤمن صاحبهَ - صاحب الجنتين - ظلم نفسه بالكفرِ والشركِ والكبر ردّه وذكره بأصله؛ لينتبه من غفلته وليستيقظ من نومه قبل فوات الأوان.

الرجل المؤمن يذكر صاحبه بأصله الذى خُلق منه، ويذكره بفضل الله عليه لعله ينتفع:

قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾

(الكهف: ٣٧، ٣٨).

يقول الله تعالى مخبرًا عما أجاب به الرجل المؤمن صاحبه واعظًا له عما هو فيه من الكفر بالله، وعما هو فيه من الاغترار بما يملك ﴿بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ وهذا إنكارٌ عظيمٌ منه لما وقع فيه صاحبه، من جحودٍ لربه الذى خلقه، وابتدأ خلقه من طين ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ أى: عدّلك وكمّلك إنسانًا ذكرًا بالغًا مبلغ الرجال، والمؤمن إنما اعتبر صاحبه كافرًا بالله جاحدًا لأنعمه لشكه فى البعث بعد الموت.

ثم قال الرجل المؤمن لصاحبه: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي ﴾، أى: لكن أنا أعترف لله بالوحدانية والربوبية: ﴿ وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ ﴾ أى: بل هو الله المعبودُ وحده لا شريك له فلا أعبدُ سواه، ولا أعبدُ معه غيرهُ.

أيها المغرور بمالك، بغناك، بجاهك، بمنصبك، لا تنسَ أصلك الذى بدأ من الترابُ، ثم النطفةُ، العلقة، الطفولة، الشبابُ، الشيخوخةُ، ثم يأتيك الموتُ، القبرُ، البعثُ، الحساب والجزاءُ والجنةُ أو النار.

إن الله ـ عز وجل ـ يُذكر ابن آدم بأصله وبما ينتقل به من مرحلة إلى مرحلة حتى لا يطغى ولا يكفر ولا ينسى أصله، كما فعل صاحب الجنتين هذا، إذ دفعه الغنى إلى الكبر والظلم والكفر وإنكار البعث بعد الموت.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ (الحج: ٥ ـ ٧).

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (غافر: ٦٧).

والإنسان إذا نسى أصله وقابل نعم الله بالكفر لعنه الله وتوعده بالقتل والدمار قال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾

(عبس: ١٧ ـ ٢٢).

وبعد أن ردّ المؤمن على كفر صاحبه وضلاله، ردّ عليه أيضًا غروره وافتخاره بماله وتعييره له بفقره. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾ (الكهف: ٣٩ ـ ٤١).

(والمعنى): إذا دخلت جنتك ونظرت إلى ما رزقك الله منها، وأعجبك ما فيها ﴿قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ أى: الأمر ما شاء الله، وهذه الجنة هى ما شاء الله، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، اعترافًا بأنها وكل خير فيها إنما هو حصل بمشيئة الله وفضله، وأن أمر جنتك بيده وحده سبحانه، إن شاء تركها عامرة وإن شاء خرّبها.

وقلت: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ إقرارًا منك بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها إنما هو بمعونته تعالى، وتأييده، إذ لا يقوى أحدٌ فى بدنه ولا فى ملك يده إلا بالله تعالى.

وقوله: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٩﴾ أشار المؤمن لصاحبه بأن تعييره إياه بالفقر وقلة الولد والنصر، لا يبعد أن ينعكس فيه الأمر: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ٤٠ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ٤١﴾.

(والمعنى): إن ترنى أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بى وما بك من الفقر والغنى، فيرزقنى لإيمانى جنة ﴿خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ﴾ ويسلبك لكفرك نعمته عليك ويخرب بستانك بأن يرسل عليها حسبانًا من السماء أى: مقدارًا قدّره الله وحسبه، وهو الحكيم بتدميرها من صواعق وآفات سماوية ﴿فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا﴾ أى: ترابًا أملس لا تثبت عليها قدم لملاستها فيزلق عليها الماشى زلقًا، أو يهلكها بآفة سفلية من جهة الأرض بأن ﴿يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا﴾ أى: غائرًا فى الأرض ﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا﴾ أى: وسيلة تدركه بها بالحفر أو بغيره.

- العنصر الثالثُ: الجزاء من جنس العمل.

لله فى هذا الكون سننٌ لا تتبدلُ ولا تتحولُ ولا تتغير كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣﴾ (فاطر: ٤٣).

ومن سنن الله فى هذا الكون أن الجزاء من جنس العمل.

• فرعونُ الذى تكبرّ على الناس بملكه وقال: ﴿أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١﴾ (الزخرف: ٥١)، أهلكه الله فى اليم

وجعل المياه تجرى من فوق رأسه. قال تعالى: ﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (يونس: ٩٠).

و قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (القصص: ٤٠).

• قارون تكبَّرَ على الناس فخسف الله به وبداره الأرض.

قال تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (القصص: ٨١).

• و صاحب الجنتين تكبَّرَ على صاحبه بجنّتيه فأهلك الله جنتيه، قال تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (الكهف: ٤٢، ٤٣).

قال ﷺ: ((إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)). ثم قرأ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (هود: ١٠٢)(١)

وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (القلم: ٣٣).

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

- العنصر الرابع: ندمٌ فى وقتٍ لا ينفعُ فيه الندم.

فوجئ الرجل الكافر المغرور بهلاك جنّتيه وماله، وضياع أعماله، فى لحظة عابرة، فشعر بخسارته وضلاله، وضياع مستقبله ومصيره، فندم ندامةً بالغةً، عبر عنها الله - جل و علا - بقوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ لقد أصبح يقلب كفيه حسرةً وندامة وحيرة؛ ندم على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها، راجع حساباته، ونظر إلى رصيده، وجمع نفقاته، التى أنفقها عليها وكلمة ((ما أنفق فيها)) كلمةٌ عامةٌ، شاملة لكل صور الإنفاق المادية والمعنوية.

لقد أنفق عليها الكثير من المال، ومع ذلك ضاع وتبدد، أنفق عليها من وقته، الذى كان يقضيه فيها ومن أجلها، وأخيرًا ذهب وقته هباءً وخسارةً.

أنفق عليها الكثير من جهده البدني، فى سيره إليها، وتفقُّده لها وجولاته خلالها، وها هو جهده يضيع.

أنفق عليها الكثير من مشاريعه ومخططاته وبرامجه وخبراته، وها هى كلها أمامه دمارًا وهلاكًا وفناءً.

أنفق عليها الكثير من أحلامه وخيالاته، وآماله وأمنياته التى حلم بها وعاش لها واعتمد عليها، وها هى تتبدد تحت الحقيقة المرة الواقعية.

أنفق عليها حياته التى عاشها من أجلها، وعمره الذى قضاه فيها.

وها هو كل ما أنفقه أمامه، يراه ويتعامل معه، دمارًا وخسارة وفناءً. ولذلك ندم ندامة بالغة، وأصبح يقلب كفيه، وهو يسترجع هذه النفقات ويستحضر تلك الخسائر. فانطلق لسانه قائلاً ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾﴾.

هذا الإنسان الذى افتخر على صاحبه المؤمن بماله وجنته، وقال له: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾﴾

هـذا الإنسان الذى نظرَ إلى جنته فقال عنها: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾﴾ هذا الإنسان الآن يرى جنته قد بادت وانتهت، فندم ندامةً عملية تمثلت فى تقليبه لكفيه، وفى قوله: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾﴾.

هكذا يندم الكافر والمفرط والظالم فى وقت لا ينفع فيه الندم.

فعند الموت يندم المفرط والكافر، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ يقال له: ﴿كَلَّآۚ﴾

(المؤمنون: ٩٩، ١٠٠).

عند نزول العـذاب ينـدم الكـافر والمفرط، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

(غافر: ٨٤، ٨٥).

وقـال تعـالى عـن فرعـون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ (يونس: ٩٠ـ٩٢).

ويوم القيامة يندم الكافر والمفرط، قال تعالى: ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ٩٧).

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفرقان: ٢٧ - ٢٩).

وعند الوقوف على أبواب جهنم يندم الكافر والمفرط، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الأنعام: ٢٧، ٢٨).

وفي جهنم يندم الكافر والمفرط، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (فاطر: ٣٦، ٣٧).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ (الأحزاب: ٦٤-٦٨).

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴾ (غافر: ١١).

عبر ودروس هادية وفوائد إيمانية من قصة صاحب الجنتين

أولاً- نعم الله تدومُ وتبقى بالحمدِ والشكرِ، وتزولُ وتذهبُ بالكفرِ والمعاصى:

وهذا يؤخذ من قصة صاحب الجنتين فقد أنعم الله عليه بنعمٍ كثيرةٍ، كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ (الكهف: ٣٢ ـ ٣٤).

فقابلَ صاحب الجنتين نعمَ الله عليه بالكفر والمعاصي، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الكهف: ٣٤ ـ ٣٦).

فبسبب هذه المعاصى حرمَ اللهُ صاحب الجنتين من هذه النعمِ التى أنعم بها عليه، قال تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾ (الكهف: ٤٢).

فنعمُ الله تبقى وتدومُ بالحمد والشكرِ، وتذهبُ وتزولُ بالكفر والمعاصي، والعاقل من اتعظ بغيره، ومع ذلك نرى كثيرًا من الناس يقابلون نعم الله الكثيرة بالكفر والمعاصى كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ (إبراهيم: ٣٤)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ (النمل: ٧٣).

وقال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (يوسف: ٣٨).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ (لقمان: ٢٠، ٢١).

أنعم اللهُ على عبادهِ نعمًا كثيرةً لا تُعدُّ ولا تُحصى و أمرهم بشكرها وحذرهم من كفرها وإلا ستزال من بين أيديهم فى الدنيا، ويكون لهم العذاب فى الآخرة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ (إبراهيم: ٧).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ (لقمان: ١٢).

وقال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾ (إبراهيم: ٢٨، ٢٩).

نتعلم من رسول الله ﷺ كيف نتعامل مع نعم الله، فرسولُ الله ﷺ هو سيد الشاكرين وهو أشدُّ الناسِ إحساسًا بنعمةِ الله وفضله.

١- كان ﷺ إذا تناول طعامه يحمد الله ويشكره.

عن أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: ((الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غير مَكْفي ولا مُودَّعٍ ولا مُسْتَغْنىً عنه ربَّنا))[1].

وقال ﷺ: ((مَن أكلَ طعامًا فقال: الحمدُ لله الذي أطعمني هذا، ورزقنيه من غير حولٍ مني ولا قوةٍ غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه))[2].

و((كان إذا قُرِّبَ إليه الطعامُ؛ يقول: بسم الله، فإذا فرغ؛ قال: اللهم! أطعمتَ وأسقيت، وأقنيتَ، وهديت، وأحييتَ؛ فلك الحمدُ على ما أعطيت))[3].

٢- و((كان إذا أتاهُ الأمرُ يُسرّهُ قال: الحمدُ لله الذي بنعمتهِ تتمُّ الصالحاتِ، وإذا أتاه الأمرُ يكرههُ قال: الحمد لله على كلِّ حالٍ))[4].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٤٥٨).

(٢) حسن: أخرجه الترمذي (٣٤٥٨)، وابن ماجه (٣٢٨٥)، وأبو داود (٤٠٢٣)، وأحمد (٣/٤٣٩)، ((الكلم الطيب)) (١٨٧).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٤/٦٢)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٤/٢٠٢)، ((الصحيحة)) (٧١).

(٤) صحيح: أخرجه الحاكم (١/٦٧٨)، والبيهقي في ((الشعب)) (٤/٩١)، ((صحيح الجامع)) (٤٦٤٠).

٣- و((كان إذا استجد ثوبًا سماهُ باسمه قميصًا أو عمامة أو رداءً، ثم يقول: اللهم لك الحمدُ، أنت كَسَوْتنيه، أسالك من خيره، وخير ما صُنِعَ له، وأعوذُ بك مِنْ شره، وشرِّ ما صُنِعَ له))[١].

٤- و((كان إذا عطس حمدَ الله، فيقال له: يرحمك الله، فيقول: يهديكم الله ويصلحُ بالَكم))[٢].

٥- و((كان إذا أوى إلى فراشه قال: الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافى له ولا مُؤوي))[٣].

و((كان إذا استيقظ من نومه قال: ((الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا، وإليه النشور))[٤].

٦- و((كان لا يقوم من مجلس إلا قال: سبحانك اللهم ربى وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وقال: لا يقولُهن أحدٌ حيث يقوم من مجلسه إلا غفر له؛ ما كان منه فى ذلك المجلس))[٥].

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٠٢٠)، والترمذى (١٧٦٧)، وأحمد (٣/ ٣٠)، والحاكم (٤/ ٢١٣)، ((صحيح الجامع)) (٤٦٦٤).
(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٢٠٤)، والبيهقى فى ((الشعب)) (٧/ ٢٨)، والطبرانى فى ((الكبير)) (١٢/ ٣١٤)، ((صحيح الجامع)) (٤٧٥٤).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧١٥).
(٤) صحيح: أخرجه البخارى (٦٣٢٤)، ومسلم (٢٧١١).
(٥) صحيح: أخرجه الحاكم (١/ ٦٧٤)، والنسائى فى ((السنن الكبرى)) (٦/ ١٠٦)، ((صحيح الجامع)) (٤٨٦٧).

٧- و((كان إذا قفلَ من غزو أو حج، أو عمرة يكبر على كل شرفٍ من الأرض ثلاث تكبيرات، ثم يقول: لا إله إلا اللــه وحــده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كلِّ شيء قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق اللهُ وعده ونصرَ عبدهُ وهزمَ الأحزاب وحده))(١).

٨- وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((يا معاذ والله إنى لأُحِبُّكَ، أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ فى دُبر كلِّ صلاةٍ أن تقول: اللهم أعنى على ذكرك وشُكركِ وحسنِ عبادتك))(٢).

٩- وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قامَ حتى تفطَّرت رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله! أتصنع هذا، وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: ((يا عائشة! أفلا أكونُ عبدًا شكورًا؟!))(٣).

١٠- وكان من دعائه ﷺ: ((ربِّ أعنى ولا تُعنْ عليَّ، وانصرنى ولا تنصرْ عليّ، وامكُرْ لى ولا تمكرْ عليّ، واهدنى ويسر الهدى إليّ، وانصرنى على من بغى عليَّ. اللهم اجعلنى لك شاكرًا، لك ذاكرًا لك راهبًا، لك مطواعًا، إليك مخبتًا، إليك أوَّاهًا منيبًا ...))(٤).

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (١٧٩٧)، ومسلم (١٣٤٤).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائى (١٣٠٣)، وأحمد (٥/٢٤٤-٢٤٥)، وابن خزيمة (٧٥١)، ((صحيح الجامع)) (٧٩٦٩).

(٣) صحيح: أخرجه البخارى (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠) واللفظ له.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (١/٢٧٧)، وأبو داود (١٥١٠)، والترمذى (٣٥٥١)، وابن ماجه (٣٨٣٠)، ((صحيح الجامع)) (٣٤٨٥).

وهذا رسولنا ﷺ عبدٌ غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهذا حالهُ مع نعم الله، فاتقوا الله فى نعم الله واشكروا ربكم لتدوم النعمة لكم، كما قال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ (العنكبوت: ١٦)، إلى أن قال لهم: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ (العنكبوت: ١٧)

ليسألنكم عن نعمه: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (الصافات: ٢٤)، ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ (التكاثر: ٨).

ثانيًا: ما يفعل الظلم بأهله:

قال تعالى عن صاحب الجنتين: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ (الكهف: ٣٥).

نعم، لقد ظلم صاحب الجنتين نفسه بأنواع من الظلم:

١- ظلم نفسه بالكفرِ كما قال تعالى على لسانه: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ (الكهف: ٣٦، ٣٧).

والله - عز وجل - يقول: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ (البقرة: ٢٥٤)، ولقد توعد الله الكافرين بالعذاب الأليم فى الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (النحل: ٨٨)، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ (فاطر: ٣٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ (الأحزاب: ٦٤، ٦٥).

٢- ظلم نفسه بالشرك.

كما قال تعالى على لسانه: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ (الكهف: ٤٢).

قال تعالى: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ (لقمان: ١٣)، وتوعد سبحانه وتعالى المشركين بالعذاب الأليم فى الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ (المائدة: ٧٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ (البينة: ٦)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (الأنعام: ٨٨).

٣- ظلمَ نفسَه بالكبر.

لقد تكبرَ صاحبُ الجنتين على صاحبه المؤمن، قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾ (الكهف: ٣٤، ٣٥).

سبحانه وتعالى - توعدَ المتكبرين بالعذاب الأليم فى الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (الزمر: ٧٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (غافر: ٦٠).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الأعراف: ٤٠).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ ﴾

(إبراهيم: ٤٢).

وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (الكهف: ٥٩).

وقال ﷺ: ((إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته)) قال: ثم قرأ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (هود: ١٠٢)[1].

وقال ﷺ: ((اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة))[2].

---

(١) صحيح، أخرجه البخارى (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

(٢) صحيح، أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

ثالثًا- نعيمُ الدنيا زائلٌ، ونعيمُ الآخرةِ دائمٌ:

بعد أن أخبر الله عباده بقصة صاحب الجنتين - الذى افتتن بجنتيه ونسى الآخرة فدمّر الله جنتيه فى لحظاتٍ، ضربَ الله مثلاً للحياة الدنيا يلفت فيه الأنظار إلى سرعة زوال الدنيا، وينبه من خلاله إلى أن نعيم الآخرة دائمٌ لا يزول ولا ينقطع، قال تعالى فى آخر قصة صاحب الجنتين: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الكهف: ٤٤ - ٤٦).

ومع ذلك نرى كثيرًا من الناس رضوا بالحياة الدنيا واطمأنّوا بها وركنوا إليها، حتى نسوا الآخرة.

قال تعالى: ﴿ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ (التوبة: ٣٨).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (العنكبوت: ٦٤).

وقال تعالى: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ (غافر: ٣٩).

وقال تعالى : ﴿ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الزخرف: ٣٥).

وقال تعالى : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ (الأعلى: ١٦ ، ١٧).

وقال ﷺ : ((والله! ما الدنيا في الآخرة إلا مثلَ ما يَجعلُ أحدُكم إصبُعَهُ هذه في اليمِ، فلينظرْ بمَ يرجعُ؟))(١) .

رابعًا- ((وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَ لاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)) :

بعد أن أخبر الله عبادهُ بقصةِ صاحب الجنتين - الذى اغتر بدنياه الفانية فنسى الآخرة - ضرب مثلاً للحياة الدنيا وسرعة زوالها ثم ذكر بعد ذلك مباشرة القيامة والرجوع إلى الله للحساب وللجزاء فقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ (الكهف: ٤٧ - ٤٩).

رجع صاحب الجنتين الذى افتتن بجنتيه إلى الله، ورجع الرجل المؤمن الذى اعتز بإيمانه وزهد فى الدنيا إلى الله، وسيرجع كل أهلُ الدنيا - الذين زهدوا فى الآخرة فلم يعملوا صالحًا- وأهلُ الآخرة - الذين زهدوا فى الدنيا

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٥٨).

وعملوا صالحًا - إلى الله - عز وجل -: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ۝٣١﴾ (النجم: ٣١) وهناك يندمُ كل من لم يعمل صالحًا.

قال تعالى عن الذى يأخذ كتابه بشماله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣٤ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ۝٣٧﴾ (الحاقة: ٢٥ - ٣٧).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا ۝٤٠﴾ (النبأ: ٤٠).

(٨) ذو القرنين

أهداف القصة:

١- التعريف ببعض أسباب التمكين فى الأرض.

٢- التحذير من الظلم .

٣- التأكيد على وجوب نصرة المظلوم والضعيف.

٤- التنبيه إلى أهمية التواضع وعدم الاستكبار.

٥- التنويه إلى أهمية استخدام المسلم لإمكاناته فى رضا الله.

٦- التأكيد على أهمية الأخذ بالأسباب.

٧- الإيمان بأن الله ـ تعالى ـ قادر على كل شيء .

٨- التحذير من الكسل والقعود عن الدفاع عن النفس.

٩- الحد من نشر الرذيلة.

الآيات:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى
ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى
عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ
أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا
فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ
وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾
ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا
﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ
ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا
﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ
رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ
فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ (الكهف: ٨٣ـ٩٩).

قصةُ ذى القرنين مظهرٌ من مظاهر الإيمان يتبينُ لنا من خلالها كيف يدفع الإيمان صاحبه إلى كل خير.

البيان:

هذا ملك صالح (ذو القرنين)، آمن بالله وبالبعث وبالحساب، فمكّن الله له فى الأرض ، وقوّى ملكه، ويسر له فتوحاته.

بدأ ذو القرنين التجول بجيشه فى الأرض، داعيًا إلى الله. فاتجه غربًا، حتى وصل للمكان الذى تبدو فيه الشمس كأنها تغيب من ورائه. وربما يكون هذا المكان هو شاطئ المحيط الأطلسى (والله أعلم)، حيث كان يظن الناس ألا يابسة وراءه. فألهمه الله - أو أوحى إليه - أنه مالك أمر القوم الذين يسكنون هذه الديار، فإما أن يعذبهم أو أن يحسن إليهم.

فما كان من الملك الصالح، إلا أن وضّح منهجه فى الحكم. فأعلن أنه سيعاقب المعتدين الظالمين فى الدنيا، ثم حسابهم على الله يوم القيامة. أما من آمن فسيكرمه ويحسن إليه.

بعد أن انتهى ذو القرنين من أمر الغرب، توجه للشرق فوصل لأول منطقة تطلع عليها الشمس. وكانت أرضًا مكشوفة لا أشجار فيها ولا مرتفعات تحجب الشمس عن أهلها. فحكم ذو القرنين فى المشرق بنفس حكمه فى المغرب ثم انطلق.

وصل ذو القرنين فى رحلته لقوم يعيشون بين جبلين أو سدّين بينهما فجوة. وكانوا يتحدثون بلغتهم التى يصعب فهمها. وعندما وجدوه ملكًا قويًا طلبوا منه أن يساعدهم فى صد يأجوج ومأجوج بأن يبنى لهم سدًا لهذه الفجوة، مقابل خراج من المال يدفعونه له.

فوافق الملك الصالح على بناء السد، لكنه زهد فى مالهم، واكتفى بطلب مساعدتهم فى العمل على بناء السد وردم الفجوة بين الجبلين.

استخدم ذو القرنين وسيلة هندسية مميزة لبناء السّد. فقام أولاً بجمع قطع الحديد ووضعها فى الفتحة حتى تساوى الركام مع قمتى الجبلين. ثم أوقد النار على الحديد، وسكب عليه نحاسًا مذابًا ليلتحم وتشتد صلابته. فسدّت الفجوة، وانقطع الطريق على يأجوج ومأجوج، فلم يتمكنوا من هدم السّد ولا تسلقه. وأمن القوم الضعفاء من شرّهم.

بعد أن انتهى ذو القرنين من هذا العمل العظيم نظر للسّد وحمد الله على نعمته، وردّ الفضل والتوفيق فى هذا العمل لله سبحانه وتعالى، فلم تأخذه العزة، ولم يسكن الغرور قلبه.

⇦ المستخلص عن قصة ذى القرنين سيكون حول العناصر التالية:

- **العنصر الأول:** من هو ذو القرنين؟
- **العنصر الثانى:** ذو القرنين ورحلاته الثلاثة إلى المغرب والمشرقِ وإلى ما بين السدين.
- **العنصر الثالث:** يأجوجُ ومأجوجُ.

- العنصر الأولُ: من هو ذو القرنين؟

المصادر الأساسيّة والثابتة والصحيحة التى نبحث فيها عن ذى القرنين هى: ((الكتاب والسنة)).

فالكتاب هو كلام الله: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (فصلت: ٤٢).

والسنة: هى كلام النبى ﷺ الذى قال فيه رب العزة: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ (النجم: ٣، ٤).

أما فى كتاب الله فلا يوجد ذكر لذى القرنين إلا فى سورة الكهف وفى الآيات التى نتحدث عنها.

قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾ أى: سأخبركم عنه بآيات من القرآن فيها دليل على صدق نبوته ﷺ، وفيها دليل على أن القرآن كلام الله، وفيها دليل على أنه لا يعلم الغيب إلا الله.

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ ﴾ إذن فهو ملكٌ مؤمن مكّنه الله فى الأرض وأعطاه من كل أسباب الملكِ والقدرةِ التى بلغ بها مشارق الأرض ومغاربها.

ذو القرنين استفاد من كل أسباب التمكين التى منَّ الله عليه بها فوصل إلى المغرب وإلى المشرق وإلى ما بين السدين قال تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾.

ذو القرنين كان ملكًا عدلاً يُقرب أهل الإيمان منه ويُعْرِض عن أهل الفسوق والعصيان وهذا يظهر من قوله: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾.

ذو القرنين كان ملكًا صالحًا عفيفًا لا يتطلع إلى ما فى أيدى الناس، فإنه لما قيل له: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ قال: ﴿مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ وهذا يذكرنا بما قاله سليمان عليه السلام عندما أرسلت له بلقيس بالهدايا: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ (النمل: ٣٦).

ذو القرنين كان ملكًا مؤمنًا عدلاً متواضعًا لله - عز وجل - معترفًا بنعمة الله عليه ولذلك لما بنى السدَّ لم يأخذه البطر والغرور ولكنه ذكر الله فشكره وردَّ التوفيق فى بناء السد لله - عز وجل - وتبرأ من قوته إلى قوة الله فقال: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ وهذه أخلاق الأنبياء والصالحين.

فهذا سليمان عليه السلام لما رأى عرش بلقيس مستقرًّا عنده قال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ (النمل: ٤٠).

ورسولنا ﷺ لما دخل مكة فاتحًا وصفه أصحابه أنه دخلها وقد انحنى رأسهُ وظهرهُ حتى كادت لحيته أن تصيب ركبته من شدة خشوعه وخضوعه لله - عز وجل - شكرًا لله فى هذا المقام، مقام النصر.

- العنصر الثاني- ذو القرنين ورحلاته الثلاث:

الرحلة الأولى: رحلته إلى المغرب.

قال تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (الكهف: ٨٥-٨٨).

سلك ذو القرنين طريقًا يوصله إلى المغرب.

في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ ﴾ أي: فسلك طريقًا حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب.

وقوله تعالى: ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ أي: رأى الشمس في نظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن من انتهى إلى ساحله، يراها كأنها تغرب فيه.

وقوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ ﴾ أي: أمة من الأمم، ذكروا أنها كانت أمةً عظيمةً من بني آدم.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ ﴾ معنى هذا: أن الله تعالى مكّنهُ منهم، وحكّمه فيهم، وأظفره بهم، وخيّره إنْ شاء قتل وسبى، وإنْ شاء مَنَّ و فدى، فعُرِف عدله وإيمانه فيما أبداه، وبيانه في قوله: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ ﴾ أي: استمر على كفره وشركه بربه ﴿ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ﴾ أي: عذابًا أليمًا يغشاهم من جميع جهاتهم.

وقوله: ﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ ﴾ أي: شديدًا عظيمًا أليمًا، وفي هذا إثبات للميعاد والجزاء.

وقوله ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ ﴾ أي: تابعنا على ما ندعوه إليه من عبادة الله وحده لا شريك له: ﴿ فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أي: في الدار الآخرة عند الله - عز وجل -: ﴿ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ أي معروفًا في الدنيا.

الرحلة الثانية: رحلته إلى المشرق:

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ﴾

(الكهف: ٨٩- ٩١).

المعنى: ثم سلك طريقًا فسار من مغرب الشمس إلى مطلعها، وكان كلما مر بأمةٍ قهرهم وغلبهم ودعاهم إلى الله - عز وجل -، فإن أطاعوه وإلا أذلهم واستباح أموالهم وأمتعتهم واستخدم منهم جندًا له، على قتال الإقليم القريب لهم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾ أي أمة: ﴿ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ ﴾ أي ليس لهم بناء يكنهم ولا أشجار تظلهم وتسترهم من حر الشمس.

وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ﴾ أي نحن مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه، لا يخفى علينا منها شيء وإن تفرقت أممهم

وتقطعت بهم الأرض فإنه تعالى: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾﴾ (آل عمران: ٥).

الرحلة الثالثة- رحلة إلى السدين .

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ (الكهف: ٩٢ـ٩٨).

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾.

المعنى: ذهب متوجهًا من المشرق قاصدًا الشمال، فوصل إلى ما بين السدين، وهما سدان، كانا سلاسل جبال معروفين في ذلك الزمان، سدًّا بين يأجوج ومأجوج وبين الناس، وجد من دون السدين قومًا لا يكادون يفقهون قولاً، أي: وجد من وراء السدين قومًا لا يكادون يعرفون لسانًا غير لسانهم إلا بمشقة و عسر؛ لغرابة لغتهم و بطء فهمهم، و بعدهم عن مخالطة غيرهم ـ وقد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلمية، ما فقه به

ألسنة أولئك القوم وفقههم، وراجعهم وراجعوه فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج وهما : أمتان عظيمتان من بنى آدم فقالوا :﴿ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك :﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ أى : جُعْلاً ، ﴿ عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) ﴾ ودل ذلك على عدم قدرتهم على بناء السد بأنفسهم، وعرفوا قدرة ذى القرنين عليه، فى مقابل أجر يجمعونه له من بينهم ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي، وهو : إفسادهم فى الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا رغبة فى الدنيا ولا تاركًا لإصلاح أحوال الرعية، بل كان قصده الإصلاح فلذلك أجاب طلباتهم لما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجرًا، وشكر ربه على تمكينه وإعطائه القدرة، فقال لهم : ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ وإنما أطلب منكم أن تعينونى بقوة ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) ﴾ أى : مانعًا من عبورهم إليكم ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾ أى : قطع الحديد . فأعطوه ذلك﴿ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾ أى : الجبلين اللذين بنى بينها السد ﴿قَالَ انفُخُوا ﴾ النار أى : أوقدوها إيقادًا عظيمًا ، واستعملوا لها المنافيخ لتشتد ، فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس؛ الذى يريد أن يلصقه بين زبر الحديد ﴿ قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) ﴾ أى : نحاسًا مذابًا فأفرغ عليه القطر ، فاستحكم السد استحكامًا هائلاً ، فمنع الناس من ضرر يأجوج ومأجوج ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) ﴾ أى : فما لهم استطاعة ولا قدرة على الصعود عليه لارتفاعه، ولا على نقبه لإحكامه وقوته، فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل كان نعمة من الله و رحمة على

عباده، قال: ﴿ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ﴾ أي: من فضله وإحسانه علي، وهذه حال الخلفاء الصالحين، إذا منَّ الله عليهم بالنعم الجليلة ازداد شكرهم وإقرارهم واعترافهم بنعمة الله، كما قال سليمان عليه السلام لما حضر عنده عرش ملكة سبأ مع العبد العظيم قال: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ (النمل: ٤٠)، بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو و الفساد فى الأرض فإن النعم الكبيرة تزيدهم شرًّا وبطرًا.

كما قال قارون ـ لما آتاه الله الكنوز، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة قال: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ (القصص: ٧٨).

وقوله ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي ﴾ أي: لخروج يأجوج ومأجوج ﴿ جَعَلَهُ ﴾ أي: ذلك السد المحكم المتقن ﴿ دَكَّاءَ ﴾ أي: دكه فانهدم، واستوى هو بالأرض: ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) ﴾.

- **العنصر الثالث: يأجوج ومأجوج حقيقة:** ويظهر ذلك مما يلى:

أولاً- يأجوج ومأجوج وجودهم وخروجهم فى آخر الزمان ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

- أما فى كتاب الله تعالى: ففى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) ﴾ (الأنبياء: ٩٦)، وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (الكهف: ٩٤).

• وأما فى السنة: يقول حذيفة بن أُسيد الغفارى ﷺ اطّلَع النبى ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ((ما تذاكرون؟))، قالوا: نذكر الساعة، قال: ((إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات)) - وذكر منها ﷺ: ((يأجوج ومأجوج))[1].

• وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة الإسلامية سلفًا وخلفًا أن خروج يأجوج ومأجوج فى آخر الزمان حقٌّ لا ريب فيه. قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (الكهف: ٩٤).

ثانيًا- يأجوج ومأجوج يحاولون كل يوم الخروج من السد، ولكن لايخرجون إلا بإذن الله، فى الوقت الذى يريده الله.

قال ﷺ: ((إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذى عليهم: ارجعوا فسنحفره غدًا، فيعيدُه الله أشدَّ مما كان حتى إذا بلغت مُدَّتُهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذى عليهم: ارجعوا فستحفرهُ غدًا إن شاء الله تعالى، واستثنوا فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس...))[2].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٠٢).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذى (٣١٥٣)، وابن ماجه (٤٠٨٠)، وأحمد (٢/٥١٠)، ((الصحيحة))(١٧٣٥).

ثالثًا- خروج يأجوج ومأجوج فى آخر الزمان علامةٌ من علامات الساعة الكبرى.

الدليلُ فى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾ (الأنبياء: ٩٦، ٩٧)، وقال تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ (الكهف: ٩٨ - ٩٩).

الدليل من السنة: فقد أخبر النبى ﷺ أصحابه أن الساعة لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: وذكر منها ((يأجوج ومأجوج)).

يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان، وقيل: عربيان.

وعلى هذا يكون اشتقاقهما من أَجَّتِ النار أجيجًا: إذا التهبت. أو من الأُجاج: وهو الماء الشديد الملوحة، المحرق من ملوحته. وقيل عن الأَجّ: وهو سرعة العدو. وقيل مأجوج من ماج؛ إذا اضطرب.

وكل ما ذكر فى اشتقاقهما مناسب لحالهما، ويؤيد هذا الاشتقاق من (ماج) بمعنى اضطرب قوله تعالى: ﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ﴾ (الكهف: ٩٩). وذلك عند خروجهم من السد.

وأصل يأجوج ومأجوج من البشر، من ذرية آدم وحواء عليهما السلام.

وقد يسأل سائل ويقول: كيف لم يعرف الناس مكان هذا السد بالتحديد ويطلعوا عليه رغم ما وصلوا إليه من التطور والتقدم العلمى واختراع الأقمار الصناعية؟!!

والجواب: أن الله ﷻ إذا أراد شيئًا فإنه يقول له كن فيكون.

وكان من تقدير الله جل وعلا، أنه لا يطلع أحدٌ عليهم حتى يأذن الله بخروجهم فى آخر الزمان.

قصة يأجوج ومأجوج تدلُّ وتذكر باقتراب الساعةِ، وهذا يؤخذ من قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ ﴾ (الأنبياء: ٩٦، ٩٧).

ومن قوله ﷺ لأصحابه: ((إنها ـ أى: الساعة ـ لن تقوم حتى تروا قبلها عشرَ آياتٍ)) ـ وذكر منها ـ: ((يأجوج ومأجوج))[1].

ومن قوله ﷺ: ((لا إله إلا الله، ويلٌ للعربِ من شرٍّ قد اقترب فُتحَ اليومَ من ردمِ يأجوج ومأجوج مثلُ هذه))، وحلّق بأصبعيه الإبهامِ والتى تليها[2].

فهذه أدلةٌ تدلُّ على أنهُ قد أزفت الآزفة واقترب الوعدُ الحق كما قال تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾ (القمر: ١).

---

(١) صحيح، أخرجه مسلم (٢٩٠١).

(٢) صحيح، أخرجه البخارى (٧١٣٥)، ومسلم (٢٨٨٠).

ومع أنه قد اقترب الوعدُ الحقُّ وأزفتِ الآزفة فإن كثيرًا من الناس عن الساعة لغافلون! كما قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢﴾ (الأنبياء: ١، ٢).

إن المؤمن العاقل إذا علم أنه قد أزفت الآزفة واقترب الوعد الحقُّ عجّل بما يلى:

١- بادر بالتوبة النصوح لله - عز وجل - قبل فوات الأوان؛ استجابة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ (التحريم: ٨).

وقال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾ (الأنعام: ١٥٨).

فالله ﷻ لا يقبل التوبة إذا ما ظهرت بعض علامات الساعة الكبرى ألا وهى طلوع الشمس من مغربها.

وقال ﷺ: ((إن الله عز وجل يبسطُ يده بالليل ليتوبَ، مُسيءُ النهارِ، ويبسطُ يدهُ بالنهارِ، ليتوبَ مُسيءُ الليل، حتى تطلع الشمسُ من مغربها))[1].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٥٩).

وقـــال ﷺ: ((مـــن تـــابَ قبـــلَ أن تطلعَ الشمسُ من مغربها، تاب الله عليه))[1].

الكلمة الأخيرة: يا من تصرون على المعاصي ماذا تنتظرون؟

هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا، أو غنىً مُطغيًا، أو مرضًا مُفسدًا أو هرمًا مُفْنِدًا، أو موتًا مُجْهزًا، أو الدجال فشرٌّ غائب يُنتظرُ، أو الساعة فالساعةُ أدهى وأمر؟!!

أينتظرون أن يقولوا في يوم القيامة: ﴿ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الأنعام: ٣١).

•ينتظر المفرطُ أن يقول يوم القيامة: ﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الزمر: ٥٦-٥٩).

• ينتظـرُ المفرطُ إلـى أن يقـول يـوم القيـامـة: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ ﴾ (الفجر: ٢٤).

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٠٣) .

٢ – بادر إلى الأعمال الصالحة ليتزود منها بزاد التقوى استجابة لقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ (البقرة: ١٤٨) ولقوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الحديد: ٢١).

لقد وصف الله - عز وجل - في كتابه عبادَه المؤمنين الصادقين الذين يتزودون ليوم القيامة، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (المؤمنون: ٥٧-٦١).

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ (الزمر: ٩).

وقال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ (الإنسان: ٨ - ١٢).

عِبَر ودروس هادية وفوائد إيمانية
من قصة ذى القرنين

أولاً- التمكين فى الأرض والملكُ فضلُ الله يؤتيه من يشاء:

وهذا يؤخذ من قصة ذى القرنين، فالله ـ عز وجل ـ هو الذى مكّن لذى القرنين فى الأرض ومَنّ عليه بكلِّ أسبابِ التمكين.

قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ ﴾

(الكهف: ٨٣ ، ٨٤).

التمكين فى الأرض والملك فضلُ الله يؤتيه من يشاء ، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ (آل عمران: ٢٦)، وقال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (القصص: ٥ ، ٦).

وقد جعل الله للتمكين في الأرض والنصر على الأعداء أسباب، فمن أتى بها وحققها مكّن الله له فى الأرض ونصره، ومن هذه الأسباب:

١- الإيمان الصادق والعملُ الصالحُ والابتعادُ عن كل مظاهر الشرك.

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (النور: ٥٥).

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الروم: ٤٧).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ (غافر: ٥١).

فبالإيمان والعمل الصالح يكون التمكين فى الأرض وذلك لأنه:

إذا وُجِدَ الإيمانُ كانت الإخوة بين المؤمنين قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: ١٠)، وقال ﷺ: ((المسلمُ أخو المسلم))[١].

وإذا وُجد الإيمان كان الترابطُ القوى بين المؤمنين قال ﷺ: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضُهُ بعضًا)) وشبك بين أصابعه[٢].

• وإذا وجدَ الإيمان دافعَ الله عن المؤمنين قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ (الحج: ٣٨).

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥).

• وإذا وُجدَ الإيمان كانت العزة لأهله قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ (المنافقون: ٨).

• وإذا وُجدَ الإيمان كفَّ الله شرَّ الكافرين عن المؤمنين قال تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ (النساء: ١٤١).

• وإذا وُجدَ الإيمان كان الأمنُ والأمان لأهله قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي: بشرك: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (الأنعام: ٨٢).

• وإذا وُجدَ الإيمان كان الثبات لأهله قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ (إبراهيم: ٢٧).

فالإيمانُ الصادقُ والعملُ الصالحُ والابتعادُ عن كلّ مظاهر الشرك و الفساد سببٌ للتمكين فى الأرض وسببٌ للنصر على الأعداء وهذا ما حرصَ عليه ذو القرنين فلقد كان مَلِكًا مؤمنًا صالحًا عادلاً عفيفًا متواضعًا يدعو الناس إلى الإيمان بالله والعمل الصالح ويحذرهم من كل مظاهر الشركِ والكفر وهذا يُفهم من قوله: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ - أى: أشرك وكفر؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ (لقمان: ١٣) - ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ (الكهف: ٨٧، ٨٨).

٢- نصرُ المؤمنين اللّـهَ فى أنفسهم.

ويكون ذلك بأن يأتمروا إذا أمرهم وينتهوا إذا نهاهم.

قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١﴾ (الحج: ٤٠، ٤١). وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ (محمد: ٧).

٣- التمسكُ بمنهاجِ النبوةِ.

فالصحابةُ ﷺ هم المتمسكون بمنهاج النبوة، وهم حزبُ الله الغالبُ المنتصرُ الذى مكّن الله له فى الأرض، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ۝٥٦﴾ (المائدة: ٥٤ ـ ٥٦)، فالذين يتمسكون بمنهاج النبوة الذى كان عليه الصحابة ﷺ هم الذين يمكنهم الله فى الأرض وينصرهم على عدوهم. أما الذين تركوا منهاج النبوة فهم حزبُ الشيطان وهم الخاسرون.

٤- الإخلاصُ والدعاءُ.

قال ﷺ: ((إنما ينصرُ الله هذه الأمة بضعيفها؛ بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم))[1].

---

(١) صحيح: أخرجه النسائى فى ((المجتبى)) (٣١٧٨)، وفى الكبرى (٣/ ٣٠)، والبيهقى فى ((السنن)) (٦/ ٣٣١)، وأبو نعيم (٥/ ٢٩)، ((صحيح الجامع)) (٢٣٨٨).

وكان ﷺ فى كل غزواته يدعو ربه أن ينصرهُ على عدوهِ فقال ﷺ فى غزوة الخندق يدعو على أحزاب المشركين: ((اللهم اهزمهم وزلزلهم))[1].

٥- الإعدادُ الإيمانى والمادى والأخذُ بكلِّ أسباب التمكين والنصرِ.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (الأنفال: ٦٠).

وقد أخذ النبى ﷺ بكلِّ أسبابِ النصرِ والتمكين ويظهرُ ذلك فى كل غزواته عامةً وفى غزوة حنين وفتح مكة والأحزاب خاصةً فالأخذ بالأسباب لا ينافى التوكل على الله، والإنسان يأخذُ بالأسبابِ بجوارحهِ ويتوكلُ على ربِّ الأسبابِ بقلبه.

ثانيًا: لا يستوون: [المؤمن والكافر. الصالح والطالح] فى الدنيا والآخرة:

وهذا يؤخذ من فعل ذى القرنين فى رعيته فإنه لم يسو بين الصالح والطالح كما قال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨)﴾ (الكهف: ٨٧، ٨٨).

فذو القرنين لم يسو فى رعيته بين الصالح والطالح ولا بين المؤمن والكافر.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٢٩٣٣)، ومسلم (١٧٤٢).

والله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يسو بين المؤمنين والفاسقين، ولا بين الصالحين والطالحين، ولا بين المتقين والفجار.

قال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (القلم: ٣٥، ٣٦)، وقال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ (ص: ٢٨)، وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الجاثية: ٢١)، وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (السجدة: ١٨ ـ ٢٠).

● فالذين آمنوا وعملوا الصالحات جعل الله لهم فى الدنيا مخرجًا ورزقهم من حيث لم يحتسبوا ودافع عنهم ومكنهم فى الأرض، وفى الآخرة يسكنهم الجنة دار النعيم ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ (القمر: ٥٥)، حيث يُعطيهم الله ﷻ فيها من النعيم ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر. قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

(السجدة: ١٧، ١٨).

• وأما الذين فسقوا وكفروا وبارزوا الله بالمعاصى فيذلهم الله فى الدنيا ويعذبهم فيها، وفى الآخرة يُسكنهم النار دار البوار التى أعد الله لهم فيها عذابًا أليمًا، قال تعالى: ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (فاطر: ٣٦، ٣٧). وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (السجدة: ٢٠).

ثالثًا - كيف يتحقق الأمنُ والأمانُ والإيمانُ بين الراعى والرعية؟

بالتعاونِ بين الراعى والرعية يكون الأمنُ والأمانُ والإيمان وهذا ما يؤخذ من فعل ذى القرنين فى رعيته، فذو القرنينِ كان يدعو رعيته إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له، ويوفرُ لهم الأمنَ والأمانَ، ويمنعُ عنهم الفساد والمفسدين فى الأرض، ويظهرُ ذلك من بنائِهِ للسدِّ الذى منع به عنهم فساد يأجوج ومأجوج، ويظهر أيضًا من قوله: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (الكهف: ٨٧، ٨٨).

فالأمن والأمانُ والإيمانُ لا يكون من الراعى وحدَه ولا يكونُ من الرعية وحدها ولكن يكونُ بالتعاون بين الراعى والرعية، ولذلك جاء الإسلامُ وجعل حقًّا للرعية على الراعي، وحقًّا للراعى على رعيته.

أما حقُّ الرعية على الراعى:

ـ أن يحكم فيهم بالعدل والحق ولا يظلمَهُم.

قال تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (ص: ٢٦).

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (المائدة: ٤٩).

وقال تعالى محذرًا ولاة الأمور: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (المائدة: ٤٤)، ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (المائدة: ٤٥)، ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (المائدة: ٤٧).

رابعًا: أن البعثَ بعد الموت حقٌّ لا ريب فيه:

وهذا يؤخذ من قصة ذى القرنين من قوله تعالى على لسان ذى القرنين: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ ﴾ (الكهف: ٨٧)

ومن قوله: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ (الكهف: ٩٨).

البعثُ بعد الموت حقٌّ لا ريب فيه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧ ﴾ (الحج: ٦، ٧).

جميع الخلق سيردُّون إلى الله ليحاسبهم على أعمالهم، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٤٣ ﴾ (غافر: ٤٣)، وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ (التوبة: ١٠٥)، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ٦٢ ﴾ (الأنعام: ٦٢).

الإيمان بالبعث بعد الموت ركنٌ من أركان الإيمان والذى ينكره كافرٌ بالله مخلدٌ فى النارِ، قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥ ﴾ (الرعد: ٥)، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦ ﴾ (النساء: ١٣٦).

وهناك من ينكرُ البعثَ بعد الموت ومنهم من أقسم بالله أنه لا بعث بعد الموت.

قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨)﴾ (النحل: ٣٨)، وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨)﴾ (مريم: ٦٨).

وقد أمر الله رسوله ﷺ فى ثلاثة مواضع فى كتابه أن يقسم بالله أن البعث بعد الموت حقٌ لا ريب فيه.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧)﴾ (التغابن: ٧).

الموضع الثانى: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ (سبأ: ٣).

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ (يونس: ٥٣).

وفى البعث قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ (٩)﴾ (فاطر: ٩).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨)﴾ (الحاقة: ١٣ – ١٨).

وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ (ق: ٤١ – ٤٤).

وقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ (القمر: ٦ – ٨).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (المعارج: ٤٣، ٤٤).

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ (يس: ٥١ – ٥٣).

وقال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ (الزلزلة: ١ – ٨).

وقال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ (المطففين: ٤ – ٦).

وقال تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾

(المدثر: ٩، ١٠).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (الإنسان: ٢٧).

وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ (غافر: ١٨).

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾ ﴾ (النبأ: ٣٨ — ٤٠).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الزمر: ٦٧).

وقال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ ﴾ (الفجر: ٢١ — ٢٤).

وقال تعالى: ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾ (إبراهيم: ٢١).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣)﴾ (سبأ: ٣٣).

وقال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩)﴾ (الشعراء: ٩١ - ٩٩).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣)﴾ (القلم: ٤٢، ٤٣).

(٩) نبأ قارون

أهداف القصة:

١- التحذير من الغرور والكبر.

٢- التأكيد على أهمية الإحساس بالآخرين.

٣- مراعاة آداب النصيحة.

٤- الإشارة لأهمية الثبات على الحق.

٥- التحذير من اتِّبَاع الظالمين.

٦- التعريف بأهمية شكر نعم الله.

٧- التنبيه إلى نظرة المؤمن للغنى والفقير.

٨- التأكيد على أهمية الرجوع إلى الحق.

٩- التأكيد على أهمية الفطنة فى الدعوة إلى الله تعالى.

الآيات:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (القصص: ٧٦-٨٣).

قصة قارون سجلها الله - عز وجل - فى كتابه عبرةً للمعتبرين، وذكرى للمتقين، إنها قصة الافتتان بالمال فإن كثيرًا من الناس قد ينشغل بجمع المال، ثم يؤدى هذا المال بصاحبه إلى البغى والعُجبِ والكبرِ والبطرِ والاستعلاءِ فى الأرض، وينسى حقّ الله - عز وجل -، كما قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ (العلق: ٦، ٧). قصة الافتتانِ بالمال هذه تتكرر فى كل زمانٍ ومكانٍ.

البيان:

كان قارون من قوم موسى عليه السلام، ورزقه الله تعالى أموالاً كثيرة حتى إن مفاتيح الحجرات التي تضم كنوزه كان يصعب حملها على مجموعة من الرجال الأشداء. ولو عرفنا عن مفاتيح الكنوز هذه الحال، فكيف كانت الكنوز ذاتها؟! لكن قارون بغى على قومه بعد أن آتاه الله المال. ولا يذكر القرآن فيم كان البغي، ليدعه مجهلاً يشمل شتى الصور. فربما بغى عليهم بظلمهم وغصبهم أرضهم وأشياءهم. وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم فى ذلك المال؛ حق الفقراء فى أموال الأغنياء. وربما بغى عليهم بغير هذه الأسباب.

ونصحه العقلاء من قومه بالقصد والاعتدال، وهو المنهج السليم. فحذروه من الفرح الذى يؤدى بصاحبه إلى نسيان المنعم بهذا المال، ونصحوه بالتمتع بالمال فى الدنيا، من غير أن ينسى الآخرة، فعليه أن يعمل لآخرته بهذا المال. كما ذكروه بأن هذا المال هبة من الله وإحسان ، فعليه أن يحسن ويتصدق من هذا المال، حتى يرد الإحسان بالإحسان. وحذروه من الفساد فى الأرض بالبغى والظلم وإنفاق المال فى غير وجهه، أو إمساكه عما يجب أن يكون فيه. فالله لا يحب المفسدين. فكان رد قارون جملة واحدة تحمل شتى معانى الفساد ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ فلقد أنساه غروره مصدر هذه النعمة وحكمتها، وفتنه المال وأعماه الثراء. فلم يستمع قارون لنداء قومه، ولم يشعر بنعمة ربه.

وخرج قارون ذات يوم على قومه، بكامل زينته، فطارت قلوب بعض القوم، وتمنوا أن لو كان لديهم مثل ما لقارون، وأحسوا أنه فى نعمة كبيرة. فرد عليهم من سمعهم من أهل العلم والإيمان: ويلكم أيها المخدوعون، احذروا الفتنة، واتقوا الله، واعلموا أن ثواب الله خير من هذه الزينة، وما عند الله خير مما عند قارون.

وعندما تبلغ فتنة الزينة ذروتها، وتتهافت أمامها النفوس وتتهاوى، تتدخل القدرة الإلهية لتضع حدًّا للفتنة، وترحم الناس الضعاف من إغرائها، وتحطم الغرور والكبرياء، فيجيء العقاب حاسمًا ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ هكذا فى لمحة خاطفة ابتلعته الأرض وابتلعت داره. وذهب ضعيفًا عاجزًا، لا ينصره أحد، ولا ينتصر بجاه أو مال.

وبدأ الناس يتحدثون إلى بعضهم فى دهشة وعجب واعتبار، فندم الذين كانوا يتمنون أن لو كان عندهم مال قارون وسلطانه وزينته وحظه فى الدنيا، وعلموا يقينًا أن الله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويوسع عليهم، أو يقبض ذلك، فحمدوا الله تعالى أن منَّ عليهم فحفظهم من الخسف والعذاب الأليم.

⇦ المستخلص عن قصة قارون سيكونُ حولَ العناصر التالية:

- **العنصر الأول:** قارون بين المال والطغيان.
- **العنصر الثانى:** نصيحةٌ غاليةٌ يردها قارون.
- **العنصر الثالث:** قارون يهلكُ وغيرهُ يعتبر.
- **العنصر الرابع:** العاقبةُ للمتقين.

- العنصرُ الأولُ: قارونُ بين المالِ والطغيانِ.

** ورد اسم قارون في كتاب اللهِ أربع مرات:

مرتان منهم في سورة القصص:

الأولى في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ (القصص: ٧٦).

الثانية في قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ (القصص: ٧٩).

الثالثة في سورة العنكبوت، في قوله تعالى: ﴿ وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (العنكبوت: ٣٩، ٤٠).

الرابعة في سورة غافر، في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (غافر: ٢٣، ٢٤).

فرعون بغى وطغى وتكبر وظلم بسبب ملكهِ وسلطانه.

وهامان بغى وطغى وتكبر وظلم بسبب وزارته ووظيفته.

وقارون بغى وطغى وتكبر وظلم بسبب ماله وغناه.

والمالُ فتنةٌ عظيمةٌ قد يفتتنُ بها الإنسان، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (التغابن: ١٥).

وقال ﷺ: ((إن لكل أمة فتنة، وفتنةُ أمتى المال))[١].

ذكر الله - عز وجل - قارون فى كتابه ليكون مثالاً للإنسان الذى افتتن بماله فبغى على قومه وتكبر فى الأرض ووصل بماله إلى أخبث المنازل.

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ (القصص: ٧٦).

- العنصر الثانى: نصيحةٌ غاليةٌ يردها قارون.

قارون افتتن بماله فاستخدم أمواله فى البغى والظلم والعدوان والتكبر على عباد الله والبطرِ والخيلاء وكان قارون بماله فتنةً حتى للفقراء من قومه.

** وانقسمَ قومُهُ فى نظرتهم إليه وإلى ماله وكنوزه إلى قسمين:

القسم الأول [الفئة القارونية]: وهم ضعافُ الإيمان الماديون الذين يريدون الحياة الدنيا وزينتها، وأولئك رأوه خارجًا عليهم بزينته سال لُعابهم وقالوا: ﴿ يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ (القصص: ٧٩).

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذى (٢٣٣٦)، وأحمد (٤/ ١٦٠)، وابن حبان (٣٢١٢)، والحاكم (٤/ ٣٥٤)، والطبرانى فى ((الأوسط)) (٣٢٩٥)، ((صحيح الترغيب والترهيب)) (٣٢٥٣).

القسم الثانى: هم المؤمنون الثابتون على دينهم الذين يعرفون حقيقةِ الدنيا وأنها فانية زائلة خداعةٌ غرارةٌ، وأولئك لم يفتتنوا بمال قارون بل تقدموا له بهذه النصائح الغالية فقالوا له:

النصيحة الأولى ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦﴾ (القصص: ٧٦).

هكذا نصح المؤمنون - الثابتون على دينهم الصابرون على فتنة الدنيا - قارون فنهوه عن البطر والفرح والتكبرِ فقالوا له: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦﴾.

لقد نهوهُ عن الفرح وأخبروه أن الله لا يحب الفرحين.

وقد يستغربُ بعض الناس فيقول: وهل الفرحُ حرامٌ حتى ينهوه عنه؟ وهل اللهُ لا يحبُّ كل الفرحين؟ وهل يُمنعُ من الفرح؟ وهل علينا أن نعيش فى حزنٍ دائمٍ حتى يحبنا الله؟

إذا نظرنا فى آيات القرآن الكريم، فإننا نجدها تقسم الفرح إلى قسمين:

١- فرحٌ مباحٌ

٢- فرحٌ منهى عنه.

أما الفرح المباح الجائز: فهو الانشراحُ والرضا، بحيث يفرح المؤمن بما أنعم الله عليه من النعم وبما وفقه الله إليه من الطاعات والإيمان الصادق وحفظ القرآن والعلم النافع، قال تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ (يونس: ٥٨).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ (آل عمران: ١٦٩، ١٧٠).

أما الفرح المحظور: وهو الفرحُ المنهى عنه. فهو الفرح الذى يقودُ صاحبه إلى البطر والتكبر قال تعالى فى ذم الكفار: ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (غافر: ٧٥).

ففرحُ الكفار فرحًا بغير حق، وهو يقود للمرح والبطر والتكبر والخيلاء.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۚ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (هود: ٩، ١٠)، وهذا النوع من الفرح يفسد صاحبه، ويهلكه، ويجعله سببًا لغضب الله وسخطه وعذابه، ويحرمه من محبته ورضوانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾.

النصيحة الثانية: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (القصص: ٧٧).

أى: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمةِ الطائلة فى طاعة ربك، والتقرب إليه بأنواع القربات التى يحصل لك بها الثواب الجزيل فى الآخرة.

﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ ﴾ أى: مما أباح الله لك فيها من المآكل والمشارب والملابس.

قالوا له: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ أى: لا تنشغل بجمع المالِ وتنسى أن تتزود من دنياك بالزاد الذى ينفعك فى الآخرة.

وقالوا: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ أى: لا تنس الكفن الذى هو نصيبك من هذه الدنيا،

وحقيقة هذا المال كما قال القائل:

نصيبك مما تجمعُ الدّهر كله ... رِدَاءَانِ تُلوى فيهما وحنوط

النصيحة الثالثة: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص: ٧٧).

أى: أحسن إلى خلقه كما أحسن الله إليك.

فالله - عز وجل - يقول: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ (الرحمن: ٦٠).

والإحسانُ من العبد يكون بشكر الله على النعم فتدوم بذلك للعبد؛ فقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم: ٧).

** وشكرُ النعم يقوم على ثلاثةِ أركان:

الركن الأول: أن يعلم العبد أن هذه النعمَ من الله وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ (النحل: ٥٣).

الركن الثانى: أن يُحدِّث العبد بنعم الله عليه، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ (الضحى: ١١).

الركن الثالث: أن يستخدم العبد هذه النعم فى طاعة الله، قال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ﴾ (القصص: ٧٧).

النصيحة الرابعة: ﴿ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (القصص: ٧٧)

أى: لا تقصد وتتعمد الفساد فى الأرض، ولا تستخدم نعم الله فى الفساد فى الأرض، ولا تجعل نعمة المالِ التى أنعم الله بها عليك وسيلةً للفسادِ فى الأرض.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ (الأعراف: ٥٦)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (البقرة: ٦٠)، وقال تعالى: ﴿ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (العنكبوت: ٣٦).

الله ﷻ يحذرُ عباده من الإفساد فى الأرضِ، ويخبرهم أنه لا يحب المفسدين قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

والله ﷻ يهدد المفسدين فى الأرض فيقول لهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (يونس: ٨١)، ويقول لهم: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

(يونس: ٤٠)، ويقول سبحانه: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ (آل عمران: ٦٣)، وقال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (ص: ٢٨).

وقال تعالى: ﴿ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

(الأعراف: ٨٦).

قال تعالى مخبرًا عنه: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ (القصص: ٧٨) أى: هذا الذى أُوتيتهُ من المال إنما حصلت عليه على علم عندى بوجوه التجارة والمكاسب، ولعلمه تعالى باستحقاقى لما حصلت عليه ولعلمه تعالى بما عندى من فضل على سائر الناس.

قارون وزن أموره بميزانه المقلوب المعكوس، فردَّ نصيحة قومه ولم ينتفع بها، فردَّ الله عليه وبينّ له ولأمثاله أن العطاء والغنى ليس دليلاً على محبةِ الله للعبد، والفقر وقلة المال ليس دليلاً على بغض الله للعبد، فقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (القصص: ٧٨)، أى: قد كان من هو أكثر منه مالاً، وما كان ذلك من محبة منا له وقد أهلكهم الله مع ذلك بكفرهم وعدم شكرهم ولهذا قال: ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ أى: لكثرة ذنوبهم.

- العنصرُ الثالثُ : قارونُ يهلك وغيره يعتبر .

قارون الذى افتتن بماله ولم يقبل النصيحة وأصر على البغى والظلم والبطرِ والتكبر على عباد الله أخذ يستعرضُ بماله وبما لديه من الدنيا أمام الناس ليفتنهم، فأهلكه الله هو وما يملك على مرأى ومسمعٍ من الناس ليعتبروا به.

يقول الله ﷻ: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ (القصص: ٧٩).

لما سَمِعَ أهل العلم النافع مقالة أهل الدنيا هذه قالوا لهم: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (القصص: ٨٠)، أى: إن جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين فى الدار الآخرة خيرٌ مما ترون عند قارون.

قال ﷺ: يقول الله تعالى: ((أعددت لعبادى الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرًا بَلْهَ ما اطلعتم عليه، ثم قرأ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (السجدة: ١٧) [(١)].

قارون يهلك بزينته فى الوقت الذى خرج بها على الناس جزاءً وفاقًا، ولا يظلم ربك أحدًا قال تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (القصص: ٨١).

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٤٧٨٠)، ومسلم (٢٨٢٤).

قال ﷺ: عن الله ﷻ قال: ((قال الله عز وجل: الكبرياء ردائى والعظمة إزاري، فمن نازعنى واحدًا منهما أُلقيهِ فى النار))[1].

هكذا ينتقم الله من الظلمةِ والجبابرة والمتكبرين قال ﷺ: ((إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ (هود: ١٠٢).

هلك قارون بماله وزينتهِ واعتبر به الذين تمنوا مكانه بالأمس، فندموا على ما تمنوا وقالوا، قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (القصص: ٨٢).

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ أى: لولا لطف الله بنا وإحسانه إلينا لخسف بنا كما خسف به؛ لأننا أردنا ورغبنا أن نكون مثله.

﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ يعنون أنه ـ أى: قارون ـ كان كافرًا ولا يفلح الكافرون عند الله لا فى الدنيا ولا فى الآخرة[2].

- العنصر الرابع: العاقبةُ للمتقين.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ (القصص: ٨٣، ٨٤).

---

(١) سنن أبي داود (٤٠٩٢).

(٢) ابن كثير: (٣/٤٠١).

الكلمة الأخيرة:

١- توجيه أنظار وقلوب وحياة المتقين نحو الدار الآخرة، ودعوتهم إلى التجافى عن الدنيا، وأن لا يجعلوها أكبر همهم ولا مبلغ علمهم ولا أقصى آمالهم.

٢- بيان صفات الذين يطلبون الدار الآخرة، ومواصفات الذين جعل الله لهم الدار الآخرة، فإنهم الذين: ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾، ومن خلال هذه الصفات ندرك السر فى هلاك قارون: وهو أنه أراد الدنيا ولم يرد الآخرة، وابتغى العلو فى الأرض والفساد.

٣- كل من أراد العلو والفساد فى الأرض، وكانت حياته نشرًا للعلو والفساد فإنه يخسر الحياتين: حياته فى الدنيا إذ يحل به عذاب الله، بالهلاك والدمار، وحياته فى الآخرة إذ يكون مصيره النار ويكون وقودًا لنار جهنم. وها هو قارون أبرز مثال على ذلك، وهو عبرة لمن يعتبر.

٤- العاقبة للمتقين؛ فالتقوى هى سر التمكين فى الدنيا والقبول عند الله ونيل جنته.

ولقد جاءت آيات قرآنية لتقرير هذه السنة الربانية وتأكيدها.

قال موسى عليه السلام لقومه عندما كانوا مستضعفين فى مصر: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ (الأعراف: ١٢٨).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ (الأنعام: ١٣٥).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ (الحج: ٤١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

(الأنبياء: ١٠٥، ١٠٦).

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (يوسف: ٥٦ ، ٥٧).

وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾

(مريم: ٦٣).

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (المائدة: ٢٧).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾ (الطلاق: ٤).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ﴾ (الطلاق: ٢ ، ٣).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ (مريم: ٧١، ٧٢).

وقال تعالى: ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (الزمر: ٦١).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الأنفال: ٢٩).

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (الأعراف: ٩٦).

هذا فى الدنيا، حيث تكون العاقبة فى الحقيقة للمتقين.

أما فى الآخرة، فلا يشك أحدٌ أن العاقبة هناك لا تكون إلا للمتقين أيضًا، وأن الجنة لا تكون إلا للمتقين، قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الزمر: ٧٣، ٧٤).

٥- من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون.

تقرير للقواعد الربانية فى الثواب والعقاب، فى المكافأة والمجازاة وهى التى تقوم على العدل الإلهى المطلق.

من جاء بالحسنة فقد عامل الله بإحسان؛ وإن الله يثيبه عليها خيرًا منها ويضاعفها له أضعافًا لأن الله يرد على الإحسان بإحسان. ومن جاء بالسيئة فعلى نفسه جنى، حيث يجازيه الله بعدله، ويوقع به نتيجة سيئته وعمله.

وقال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ (الإسراء: ٧).

وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن: ٦٠).

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (يونس: ٢٦).

وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ (البقرة: ٢٤٥).

وقال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ (النساء: ٨٥).

وقال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ (الأنعام: ١٦٠).

وقال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ (النمل: ٨٩).

وقال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ (القصص: ٨٤).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾

(الزمر: ١٠).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (فصلت: ٣٤).

وقال تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ (الحديد: ١١).

وقال تعالى: ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (التغابن: ١٧).

عبر ودروس هادية وفوائد إيمانية
من قصة قارون

أولاً- هكذا تفعلُ الدنيا بأهلها.

الذين يحبون الدنيا ويُريدونها ويركنون إليها، ماذا تفعل بهم الدنيا؟

١- تُهْلِكُهُم: وهذا يؤخذ من قصة قارون فقد أحبَّ الدنيا وركن إليها فهلك كما قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ (القصص: ٧٦)، وسبب بغيه هذا هو **المال، الدنيا، الغنى**.

قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ (القصص: ٧٦). والله - عز وجل - يصفُ لنا قارون وهو مغترٌّ بدنياه، فيقول سبحانه: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ (القصص: ٧٩).

في الوقت الذى اغتر فيه قارون بدنياه أهلكه الله، قال تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (القصص: ٨١).

٢- تُفقِرهم وتشتتُ شملَهُم: قال ﷺ: ((من كانت الآخرةُ همَّهُ جعل الله غناه فى قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له))[1].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤٦٥)، وأحمد (٥/١٨٣)، والدارمي (٢٣٤)، والطبراني في ((الكبير)) (١١/٢٢٦)، ((صحيح الجامع)) (٦٥١٠).

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (طه: ١٢٤).

٣- تُدخلهم النار: قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (هود: ١٥، ١٦)، وقال تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾- أي: الدنيا - ﴿ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ (الإسراء: ١٨).

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ (النازعات: ٣٧ - ٣٩).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (يونس: ٧، ٨).

هكذا تفعل الدنيا بأهلها؛ تُهْلِكُهم، وتُذِلُّهم، وتُفْقِرُهم، وتدخلُهم النار ولذلك حذر الله عز وجل عباده من الدنيا ومن الاغترار بها:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾ (فاطر: ٥).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ (لقمان: ٣٣).

وقال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ (التكاثر: ١-٤).

وصفَ اللهُ الدنيا لعبادهِ وبين لهم حقيقتها حتى لا ينخدعوا بها:

قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝٢٠﴾ (الحديد: ٢٠).

ثانيًا- العاقل من اعتبر بغيره.

اعتبرْ بما حدث لقارون، قال تعالى ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ فإنّ العاقلَ من اعتبرَ بغيرِه، والله ﷻ يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (يوسف: ١١١).

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝١٣﴾ (آل عمران: ١٣).

وقال تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾ (الحشر: ٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢١﴾ (الزمر: ٢١).

أيها الغني! النِّعمُ التي تتقلبُ فيها كُلُّها مِنَ الله تعالى وهي كثيرة جداً.

قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (النحل: ٥٣)، وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (النحل: ١٨).

اعلم أن هذه النعمَ التي أنعمَ الله بها عليك ستُسألُ عنها يومَ القيامة.

قال تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الصافات: ٢٤)

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ (التكاثر: ٨).

وقال ﷺ: ((لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامة، حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه ما عمل به؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟))[1].

اعلم أنّ نعم الله تعالى تبقى وتدومُ بالشكرِ وتذهبُ وتزولُ بالمعاصي.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ (إبراهيم: ٧).

كما قال القائل:

إذا كنت في نعمةٍ فارعـها ... فإن المعاصي تُزيلُ النعم

وحافظْ عليها بشكر الإله ... فإن الإلـه شـديد النقم

★★ إذا أردتِ أن تدومَ لك نعمُ اللهِ فتعاملْ معها بما يلي:

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦٠١).

١- ابتغ بنعم الله عليك الدارَ الآخرة استجابة لقوله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ ﴾ (القصص: ٧٧).

٢- تمتعْ بنعم اللهِ عليك فى حياتِك وبما أحلّه اللهُ لك استجابة، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ (القصص: ٧٧) ، ولقوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ (الأعراف: ٣٢).

٣- أحسنْ إلى عبادِ الله بهذه النعم كما أحسنَ اللهُ إليك استجابة لقوله تعالى: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ﴾ (القصص: ٧٧)، وقوله تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الرحمن: ٦٠).

٤- احذرْ أن تُفسدَ فى الأرض بنعم الله استجابة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ ، ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (البقرة: ١٩٠)، ولقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ (الأعراف: ٥٦).

- قارون أفسد فى الأرض بماله فأهلكه الله.
- وفرعون أفسد فى الأرض بملكه فأهلكه الله.
- وهامانُ أفسد فى الأرض بمنصبهِ فأهلكه الله.
- وعادٌ أفسدوا فى الأرض بقوتهم فأهلكهم الله.

قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٠﴾

﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ (الفجر: ٦ ـ ١٤).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

(القصص: ٣٨ ـ ٤٢).

وقال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

(العنكبوت: ٤٠).

٥- احذر أن يغضبَ الله عليك إن أفسدت فى الأرض بنعم اللهِ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (القصص: ٧٧).

إن أحبك اللهُ أبقى لك نِعَمهُ وزادها لك، وإن غضبَ عليك عذَّبكَ فى الدنيا والآخرة وحرمكَ نعمهُ فاحذر أن تفسد فى الأرض بنعم الله، فالله عز وجل يقول لك محذرًا: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ ﴾ (البقرة: ٢٢٠)، وقال

تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ (يونس: ٤٠)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ (يونس: ٨١)، و قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ (طه: ١٢٦).

ثالثًا- المؤمن دائمًا ناصحٌ أمين.

وهذا يؤخذُ من قصةِ قارون فعندما انحرف قارون وبغى بماله في الأرض وأفسد، نصحهُ المؤمنون من قومه بستٍّ قواعد جوهرية، تتضمنُ كلٌّ واحدة حقيقة إيمانية قاطعة: فقالوا له:

- ﴿لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (القصص ٧٦).
- ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ (القصص ٧٧).
- ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص ٧٧).
- ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص ٧٧).
- ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ (القصص ٧٧).
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص ٧٧).

فالنصيحة عملُ الأنبياء والمرسلين والمؤمنين الصادقين:

• نوحٌ عليه السلام ينصح قومه فيقول لهم: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (الأعراف: ٦١، ٦٢).

• وهودٌ عليه السلام ينصحُ قومه فيقول لهم: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ (الأعراف: ٦٧، ٦٨).

•وصالح عليه السلام ينصح قومه فيقول لهم: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ (الأعراف: ٧٩).

• وشعيب عليه السلام ينصح قومه فيقول لهم: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ (الأعراف: ٩٣).

ورسولنا ﷺ يقول: ((الدين النصيحة)). قلنا: لمن - يا رسول الله -؟ قال: ((لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))[1].

وقال ﷺ: ((حقُّ المسلم على المسلم ستٌّ)) فذكر منها: ((وإذا استنصحك فانصحْ له))[2].

وقال ﷺ: ((إذا استنصح أحدُكم أخاه، فلينصحْ له))[3].

والنصيحةُ غالية وإذا خرجت من قلب المؤمن نفعت، فإذا نصحك إنسان مؤمن فاقبل منه ولا تردُدْ نصيحته، فإن فى قبول النصيحة السعادة والنجاة، وفى رد النصيحة الشقاوة والهلاك، ومن الأمثلة على ذلك:

١- موسى عليه السلام أخذ بنصيحة الرجل المؤمن الذى جاءه من أقصا المدينة يسعى، فلما قبل النصيحة نجا من الهلاك، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٥٥).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢١٦٢).

(٣) صحيح لغيره: أخرجه البخاري معلقًا (٦٨ - باب هل يبيع حاضر لباد ...)، انظر ((مختصر صحيح البخاري)) (٢/٥٣) و((الصحيحة)) (١٨٥٥).

﴿أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ (القصص: ٢٠ ، ٢١).

فلما أخذ موسى عليه السلام بنصيحة الرجل المؤمن نجا من القوم الظالمين، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ (القصص: ٢٥).

٢- قارون نصحه المؤمنون من قومه فلم ينتصح ورد النصيحة فهلك، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ (القصص: ٨١).

٣- فرعون وقومه، نصحهم الرجل المؤمن ـ الذى كان يكتم إيمانه ـ فلم ينتصحوا وردوا النصيحة فهلكوا جميعًا، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ (القصص: ٤٠).

وقال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ (غافر: ٤٥ ، ٤٦).

٤-أصحابُ القرية نصحهم الرجل المؤمن الذى جاء من أقصا المدينة يسعى فقال لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ (يس: ٢٠). فلم يستجيبوا له وقتلوه فهلكوا، قال تعالى على لسانه: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ

﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ (٢٩) يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٠)﴾ (يس: ٢٦ - ٣٠).

رابعًا- أهل العلم أمنٌ وأمانٌ للناسِ عند اشتداد الفتن.

افتتن قارونُ بماله، وافتتن الناس بقارون وماله عندما خرج عليهم بزينته، فقال الذين افتتنوا بمال قارون: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩)﴾ (القصص: ٧٩)، عند ظهور هذه الفتنة - فتنةِ الشهواتِ - تقدم أهل العلم بالنصيحة التى فيها الأمن والأمان والسعادةُ فى الدنيا والآخرة إلى الذين افتتنوا بقارون وماله، قال تعالى على لسان أهل العلم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ (٨٠)﴾ (القصص: ٨٠).

فَذكّر أهل العلم الناسَ الذين افتتنوا بمال قارون بالإيمان وبالعمل الصالح اللذَيْنِ فيهما سعادةُ الدنيا والآخرة؛ فالعلماءُ فى الأرض كالنجوم فى السماء، وكما أن النجوم فى السماء يُهتدى بها فى الظلمات، كذلك العلماءُ فى الأرضِ يهتدى بهم فى ظلمات الفتن.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ (٤٥)﴾ (يونس: ٤٥).

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦)﴾

(الروم: ٥٥، ٥٦).

وحينما تقوم الساعة، ويبعث الله من فى القبور، يُقْسِم المجرمون الذين كفروا بالله، وعملوا السيئات فى الحياة الدنيا، أنهم لم تكن حياتهم فى الدنيا إلا ساعة واحدة (أو أنهم ما لبثوا فى قبورهم إلا ساعة واحدة)، لذلك لم تكن كافية لهم ليعرفوا خالقهم، وليدركوا ما جاءتهم به الرسل. وهم يقولون ذلك ليدفعوا عن أنفسهم الحجة القائمة عليهم. وكما كانوا فى الدنيا يعرفون الحق ويصرفون عنه إلى الباطل، ويكذبون ويحلفون على الكذب، كذلك يصرفون عن الحق فى الآخرة ويكذبون فى قولهم إنهم ما لبثوا غير ساعة، ويحلفون على الكذب .

فيرد الذين أوتوا العلم بكتاب الله، وبالإيمان بالله والأنبياء والملائكة على هؤلاء المنكرين فى الدنيا، الذين يحلفون على أنهم لم يلبثوا فى الدنيا (أو فى قبورهم) إلا ساعة واحدة قائلين: إنهم لبثوا فى قبورهم من يوم مماتهم إلى يوم البعث، فهذا هو يوم البعث الذى أنكروه فى الدنيا، وزعموا أنه لن يكون هناك مثل هذا اليوم بسبب جهلهم، وغفلتهم وقصر نظرهم.

وهكذا ينفعُ العلم أهله، وهكذا ينفعُ أهل العلم الناسَ عند اشتداد الفتن، لذلك أمر الله الناسَ أن يرجعوا إلى أهل العلم فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (النحل: ٤٣).

(١٠) لقمان

أهداف القصة :

١- التعريف بضرورة صحة الاعتقاد .

٢- التأكيد على أن التقوى هى معيار التفاضل عند الله .

٣- التحذير من بعض مظاهر الشرك بالله .

٤- بيان بعض آداب الحديث .

٥- التعريف ببعض آداب التعامل مع الآخرين .

٦- التأكيد على أهمية تربية الأبناء تربية صحيحة .

الآيات:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ
يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ
حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ
(١٤) وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ
وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ
فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ
(١٦) يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ
ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا
يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ
لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ (١٩)﴾

(لقمان: ١٢ ـ ١٩)

قصةُ لقمان مظهرٌ من مظاهر الإيمان، يتبين لنا من خلالها كيف يدفعُ الإيمان صاحبه إلى كل خيرٍ ويمنعه من كل شرٍّ.

البيان:

كان لقمان رجلاً حكيمًا قد آمن بالله تعالى وآتاه الله الحكمة حتى إن رجلاً قال له: اذبح لنا هذه الشاة فذبحها ثم قال له: أخرج أطيب ما فيها، فأخرج اللسان والقلب، ثم بعد فترة قال له الرجل: اذبح هذه الشاة فذبحها ثم قال له: أخرج أخبث ما فيها، فأخرج اللسان والقلب أيضًا. فلما سئل عن ذلك قال: إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا! ويقال: إنه رأى نبى الله داود ﷺ يصنع شيئًا من الحديد فأراد أن يسأل عنه فمنعته حكمته من السؤال، فلما فرغ داود ﷺ قال: نعم الدرع للحرب. فقال لقمان: ((الصمت حِكَم وقليل فاعله)).

ولقد سئل ﷺ عن أسباب ما وصل إليه من الحكمة فقال: ((غضى بصري، وكفى لساني، وعفة طعمتي، وحفظى فرجي، وقولى بصدق، ووفائى بعهدي، وتكرمى ضيفي، وحفظى جاري، وتركى مالا يعنينى ...فذاك الذى صيرنى إلى ما ترى)).

وقيل له: أى الناس شر؟ قال: الذى لا يبالى إن رآه الناس مسيئًا!

وكان للقمان ابن فأراد أن يعلمه ويربيه على العقيدة السليمة والعبادة الصحيحة والسلوك القويم فكان مما نصح به ما جاء به القرآن الكريم فى سورة لقمان.

ومما نسب إليه من حكم قوله فى نصح ابنه: ((يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيى القلوب بنور العلم كما يحيى الأرض بوابل المطر)).

ومن أقواله لابنه: ((يا بنى اتخذ طاعة الله تجارة تأتك الأرباح من غير تجارة)).

⇦ **المستخلص عن قصةِ لقمان سيكونُ حول العناصر التالية:**

- **العنصر الأول:** لقمانُ والحكمةُ.
- **العنصر الثانى:** لقمانُ يعظُ ابنَهُ فَيُحَذِرَهُ من كلِّ شرٍّ.
- **العنصر الثالث:** لقمانُ يعظُ ابنَهُ فيأمُره بكلِّ خيرٍ.
- **العنصر الرابع:** لقمانُ يربى ابنه على مراقبةِ الله ﷻ.

- العنصر الأول: لقمانُ والحكمةُ.

لقمان كان موصوفًا بالحكمة التى منَّ اللهُ بها عليه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ (لقمان: ١٢).

والحكمةُ: هى القولُ المناسبُ للشخصِ المناسبِ فى الوقتِ المناسبِ بالمقدارِ المناسبِ والأسلوب المناسبِ.

ومن حِكَم لقمان:

١- قال: إن الله إذا استُودِعَ شيئًا حَفِظَهُ.

٢- وقال: يا بُنيَّ! أكثرْ من قولِ: ربِّ اغفر لي. فإن للهِ ساعةً لا يَرُدُّ فيها سائلاً.

٣- قال: يا بُنيَّ! اتخذْ تقوى الله تجارةً، يأتكَ الربحُ من غير بضاعةٍ.

٤- وقال: يا بُنى مَن كذبَ ذهبَ ماءُ وجههِ، ومن ساء خُلُقُهُ كثر غمهُ، ونقلُ الصخورِ من موضِعها أيسرُ من إفهام مَنْ لا يفهم.

٥- وقال: يا بُني! لا يأكل طعامَكَ إلا الأتقياءُ، وشاورْ فى أمرك العلماءُ.

٦- وقال: يا بُني! إنّ الحكمةَ أجلستْ المساكين مجالس الملوك.

٧- وقال: يا بُني! إياك والديْن، فإنه ذُل فى النهارِ وهمٌّ فى الليل.

٨- وقال: يا بُنى ! تخيرْ المجالسَ على عينيكِ فإن وجدتَ قومًا يذكرون الله فاجلسْ معهم فإن كنت عالمًا نفعَكَ علمك، وإن كنتَ جاهلاً علموك، ولعل الله أن يطلعَ عليهم برحمةٍ فتصيبك معهم، وإن وجدت قومًا لا يذكرون الله فلا تجلسْ معهم، فإن كنت عالمًا لم ينفعك علمك، وإن كنت جاهلاً زادوك غيًّا، ولعلَ الله أن يطلعَ عليهم بنقمةٍ فتصيبك معهم.

٩- وقيل إنّ السيد الذى يعملُ عندهُ لقمانُ، قال له يومًا: اذبحْ لنا شاةً وائتنى بأطيبَ مضغتين فيها، فأتاه باللسان والقلب، ثم قال له يومًا آخر: اذبحْ لنا شاةً، وألقِ أخبثَ مضغتين فيها. فألقى اللسان والقلبَ. فتعجبَ سيدهُ من تصرفه، ولما سأله عن ذلك قال له لقمان: إنه ليسَ شيءٌ بأطيب من القلب واللسانِ إذا طابا، ولا شيءٌ بأخبث منهما إذا خبثا! (١)

---

(١) انظر: هذه الحكم في ((الدر المنثور)) (٦/٥١٢ - ٥٢٠).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ (لقمان: ١٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩).

- **العنصر الثاني: لقمانُ يعظُ ابنَهُ فيُحذرهُ من كلِّ شرٍّ.**

كان لقمانُ يحذرُ ابنه من الشركِ.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ (لقمان: ١٣).

١- لأنّ الشركَ يحبُطُ الأعمال.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ (الزمر: ٦٥)، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (الأنعام: ٨٨)، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ (الفرقان: ٢٣).

٢- لأنّ الشرك يمنعُ مغفرة الذنوب يوم القيامةِ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (النساء: ٤٨).

وقال في الحديث القدسي: ((يا ابن أدمَ! إنك لو أتيتني بقرابِ الأرضِ خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة))[1].

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وأحمد (١٧٢/٥)، والدارمي (٢٧٨٨)، والطبراني في ((الكبير)) (١٩/١٢)، وفي الصغير (٨٢/٢)، ((الصحيحة)) (١٢٧).

٣- لأنّ الشركَ سببٌ للخلود في نارِ جهنم.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ۝٧٢﴾ (المائدة: ٧٢).

٤- لأنّ الشركَ من أكبرِ الكبائر:

يقول ﷺ لأصحابه يومًا: ((ألا أُنبئكم بأكبرِ الكبائرِ)) قلنا: بلى يا رسولَ الله. قال: ((الإشراك بالله...))[١].

٥- لأنّ الشركَ يجعلُ صاحبه مِنْ شر البريةِ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦﴾ (البينة: ٦).

٦- لأنّ الشركَ يُفرّقُ الأمةَ شيعًا وأحزابًا.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ۝٣٢﴾ (الروم: ٣١، ٣٢).

٧- لأن الشرك إذا دبَّ في الأمةِ منعها التمكن في الأرض.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾ (النور: ٥٥).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧).

٨- لأنّ الشركَ ظلمٌ عظيمٌ.

قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (لقمان: ١٣).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (يونس: ١٠٦).

ولقمانُ يحذرُ ابنهُ من الشركِ فيقولُ له وهو يعظه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (لقمان: ١٣)

فمن منا يحذرُ ابنهُ من الشركِ فيقول له:

يا بني! لا تدعُ غير الله.

يا بني! لا تحلفْ بغير الله.

يا بني! لا تذبحْ لغير الله.

يا بني! لا تستغث بغير الله.

يا بني! لا تنذر لغير الله.

ويحذرُ لقمانُ ولده من الكبرِ، قال الله - عز وجل - على لسانه: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ (لقمان: ١٨).

١- لأنّ الله - عز وجل - حذر عبادهُ من الكبر.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الإسراء: ٣٧).

وقال في الحديث القدسي: ((قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما أُلقيهِ في النار))[1].

٢- لأن الله لا يُحبُّ المتكبرين.

قال تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (النحل: ٢٣).

وقال ﷺ: ((ثلاثةٌ لا يكلمهم اللهُ يومَ القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظرُ إليهم، ولهم عذابٌ أليم: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كذابٌ، وعائلٌ مستكبر))[2].

٣- لأنّ الكبرَ يمنع صاحبهُ من دخولِ الجنةِ.

قال تعالى: ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (القصص: ٨٣).

وقال ﷺ: ((لا يدخلُ الجنةَ مَن كانَ في قلبهِ مثقالُ ذرةٍ من كبر))[3].

٤- لأنّ الكبرَ سببٌ لدخول النارِ.

قال تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (الزمر: ٧٢).

---

(١) سنن أبي داود (٤٠٩٢).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٠٧).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٩١).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (غافر: ٦٠).

وقال ﷺ: ((ألا أُخبركم بأهلِ النارِ: كلُّ عُتلٍّ جواظٍ[1] مستكبر))[2].

وقال ﷺ: ((احتجت النار والجنة، فقالت هذه - أى: النار - يدخلنى الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه - أى: الجنة -: يدخلنى الضعفاء والمساكين، فقال الله - عز وجل - لهذه - أى: النار -: أنت عذابى أُعذب بك من أشاءُ، وقال لهذه - أى: الجنة - أنت رحمتى أرحمُ بك من أشاءُ، ولكل واحدةٍ منكما عليّ مِلؤُها))[3].

٥- لأنّ الكبر سببٌ لنزول العذاب على صاحبهِ فى الدنيا.

قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (العنكبوت: ٤٠).

٦- لأنّ الكبرَ سببٌ للذل يوم القيامةِ فى أرضِ المحشر.

---

(١) جواظ: الكثير اللحم الغليظ الضخم المختال في مشيته الشرير (منّاع للخير) (لسان العرب ج٣- ٤ ص: ٢٤١).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٤٦).

- العنصرُ الثالثُ: لقمانُ يعظُ ابنه فيأمرهُ بكلِّ خيرٍ.

قال تعالى مخبرًا عنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ (لقمان: ١٧).

وقال له أيضًا: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ (لقمان: ١٩).

ربّى لقمانُ ابنهُ على الإيمان الصادق وحذرهُ من الشركِ، وأمرهُ بالأعمالِ الصالحةِ وفى مقدمتها الصلاةُ، وأمرهُ بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأمرهُ بالصبر على ذلك وهذا هو سبيلُ النجاةِ من الخسران المبين فى الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾ (العصر: ١ - ٣).

- وقال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (لقمان: ١٧).

١- لأن الصلاة هى أولُ ما يحاسبُ عليه العبدُ يوم القيامة.

قال ﷺ: ((أولُّ ما يُحاسبُ به العبدُ يومَ القيامةِ الصلاةَ، فإن صلحتْ صلح سائرُ عملهِ، وإن فسدتْ فسدَ سائر عمله))[1].

٢- لأن الصلاة سببٌ للفلاح فى الدنيا والآخرة.

---

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٢/ ٢٤٠)، ((الصحيحة)) (١٣٥٨).

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾

(المؤمنون: ١، ٢).

٣- لأن الصلاة تُطهرُ صاحبها من الأخلاق الدنيئة ومن الصفات القبيحة.

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾

(المعارج: ١٩-٢٣).

٤- لأن الصلاة تنهى صاحِبها عن الفحشاء والمنكر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾

(العنكبوت: ٤٥).

٥- لأن الصلاة تجارةٌ رابحةٌ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩﴾ (فاطر: ٢٩).

٦- لأن الصلاة نورٌ في الوجه ونورٌ في القبر، ونور على الصراط يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾

(الحديد: ١٢).

وقال ﷺ: ((والصلاة نورٌ))[1].

---

(١) صحيح: وهو جزء من حديث عند مسلم (٢٢٣).

٧- لأن الصلاة سببٌ لنزولِ الرحمةِ من اللهِ على العبادِ.

قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

(التوبة: ٧١).

٨- لأن الصلاة سببٌ لدخولِ الجنةِ.

قال تعالى في وصف المؤمنين الصادقين: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (المؤمنون: ٩- ١١).

• وقال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ (لقمان: ١٧).

١- لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عملُ خيرِ الناسِ.

قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

٢- لأن الأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكر يُنجي من عذاب الله.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ ﴾

(الأعراف: ١٦٥).

٣- لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرِ سببٌ للنصرِ والتمكين في الأرض.

قال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ (الحج: ٤٠، ٤١).

٤- لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكرِ يرفعُ اللعنة عن صاحبه.

قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

(المائدة: ٧٨، ٧٩).

وقال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ (لقمان: ١٩). أمر لقمانُ ابنه بالأخلاق الحسنة وفى مقدمتها التواضع.

١- لأن التواضع من صفات عباد الرحمن.

قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (الفرقان: ٦٣).

٢- لأن التواضع خلقٌ حميدٌ أمرَ اللهُ به.

قال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾

(الشعراء: ٢١٥).

وقال ﷺ: ((إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ))(1).

وقال ﷺ: ((ما نقص مال من صدقة، وما زاد اللهُ عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحدٌ للهِ إلا رفعه الله))(2).

- العنصر الرابع: لقمان يربي ولده على مراقبة الله - تعالى -:

يقول الله - عز وجل - على لسانه: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ ﴾ (لقمان: ١٦).

١- لأنّ الله يراقبنا ويرانا وهو مطلع علينا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ (النساء: ١).

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ (المجادلة: ٧).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾. (يونس: ٦١).

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

٢- لأن الإنسانَ فى هذه الدنيا إذا عَلِمَ أن الله يراه ابتعد عن المعاصي، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (التوبة: ١٠٥).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ ﴾ (النساء: ١١١).

فهذا يوسف عليه السلام عندما راودته امرأة العزيز عن نفسه قال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ﴾ (يوسف: ٢٣).

٣- لأن الله عز وجل يسجل علينا ما نعملُ فى هذه الدنيا إن خيرًا فخيرٌ وإن شرًّا فشرٌّ ثم يحاسبنا عليه يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ ﴾ (آل عمران: ٣٠).

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (البقرة: ٤٨).

وقال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (آل عمران: ٢٥).

وقال تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾ (آل عمران: ١٨٨).

وقال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ (آل عمران: ١٩٦، ١٩٧).

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (الأنعام: ٢٢).

وقال تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ (الأنعام: ١٢٠).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَـَٔاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾

(الأنعام: ١٣٤).

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

(الأنعام: ١٣٥).

وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾

(الإسراء: ١٣، ١٤).

عبر ودروس هادية وفوائد إيمانية
من قصة لقمان

أولاً- الحكمةُ فضلُ اللهِ الذي يؤتيه من يشاء.

و من معانى الحكمة: العدل، و العلم و التفقه، و معرفة أفضل الأشياء وأفضل العلوم.

و من أسماء الله ـ عز و جل ـ الحكيم و الحكم، فالله تعالى أحكم الحاكمين، و هو سبحانه يفعل بحكمته البالغة، ما تحار فى فهمه العقول.

و من معانى الحكمة فى القرآن: أنها وضع الأشياء فى مواضعها، أو ما يزيل من القلوب وهج حب الدنيا، أو الفقه فى الدين و غيرها. قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ (البقرة: ٢٦٩).

و من صفات الحكماء قول الرسول ﷺ: (لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق، و رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها و يعلمها) [رواه البخاري: ١٤٠٩].

و الحكمة خير كثير: لا ينالها إلا من أراد الله له ذلك، يهبها لمن يشاء بمحض فضله و كرمه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ (لقمان: ١٢).
و حق للمرء أن يغبط الحكيم على عقله وحِلمه ورشده ولآلئ كلماته.

و الحكماء يتصفون بالحلم و التفكير الهادئ العميق، و الصبر الطويل، وحنكة التجارب، و تجارب النفس، وحب الخير، وبشكل عام تتوفر فيهم الصفات الحميدة، و يكونون قدوة في ذلك علمًا و عملاً.

وهذا يؤخذ من قصةِ لقمان من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ (لقمان: ١٢).

فالله ـ عز وجل ـ يتفضلُ بالحكمةِ على مَنْ يشاءُ من عباده.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ (النساء: ١١٣).

وقال تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ (النساء: ٥٤).

وقال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾

(آل عمران: ٤٨).

وقال تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ﴾ (البقرة: ٢٥١).

وقال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

(ص: ٢٠).

وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (البقرة: ٢٦٨، ٢٦٩).

الحكمةُ موهبة ونعمةٌ من الله، وبما أن اللهَ عليمٌ حكيم، فإنهُ سبحانهُ لا يهبُها إلا لمن هو أهل لها، من يحسن أن يتعاملُ معها وينتفعُ بها، فلا يهبُها إلا لمن كان صالحًا مطيعًا له سبحانه وتعالى.

رسولنُا محمدٌ ﷺ مَنَّ اللهُ عليه بالحكمةِ وأَمَره أن يُعلِّمها الناسَ ويدعوهم بها.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾

(آل عمران: ١٦٤).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ (الجمعة: ٢).

وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥).

من صفات الحكماء فى الإسلام:

١- معرفة الله تعالى حق المعرفة، قبل كل شيء.

٢- التحلى بفضائل الأخلاق.

٣- مخافة الله و خشيته فى السر و العلن.

٤- الاستقامة فى القول و العمل.

٥- الإخلاص فى العمل.

٦- شكر الله تعالى.

٧- الصمت و ترك فضول الكلام.

٨- التفكر.

٩- الزهد فى الدنيا، راغبًا فى العقبى.

١٠- الرضا و القناعة بما قسم الله.

١١- عدم الإفراط فى أمور الدنيا و الركون إلى مشاغلها.

١٢- إيثار الآخرة على الدنيا و تفضيل الباقى على الفاني.

١٣- العمل شرف لحماية النفس و الوجه من السؤال.

١٤- مجالسة العلماء و الحكماء و الابتعاد عن قرناء السوء.

١٥- معاشرة الناس بالمعروف و معاملتهم بالرفق.

١٦- الإقدام على الأمور ببصيرة و تحفظ.

١٧- محادثة الناس على قدر عقولهم.

١٨- التمييز بين القضايا و تقديمها على غيرها من حيث الأهمية.

١٩- معرفة الأشياء ووضعها فى مواضعها.

٢٠- تدارك الوقت و عدم تأجيل الأعمال.

٢١- عدم الإفراط أو التفريط فى الحب و البغض.

٢٢- أن يكون وسطًا فى أموره مع من هو أعلى منه.

٢٣- لابد من معاركة الحياة و الصبر على الشدائد والاعتبار بالتاريخ.

٢٤- العلم و الأدب و الرويّة.

٢٥- وقوف المرء عند حدوده و عدم الغرور و لو بلغ من العلم شأنًا عظيمًا.

٢٦- اتباع الأساليب الحكيمة فى الدعوة إلى الله القائل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (النحل: ١٢٥).

دعا رسول الله ﷺ المسلمين إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة. قال سلمة بن الأكوع: بايعناه وبايعه الناس على عدم الفرار وأنه إما الفتح وإما الشهادة، ولم يتخلف أحد من المسلمين. قال الله تعالى يذكر هذه البيعة: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ (الفتح: ١٨). لما علمت قريش بهذه البيعة خافوا وأشاروا إليهم أهل الرأى بالصلح على أن يرجع ويعود من قَبل.

بعثت قريش سهيل بن عمرو فطالت المراجعة بينه وبين النبى ﷺ، فلما التأم الأمر بينهما على الصلح وكتب كتاب الصلح وجاء فيه (اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض

على أنه من أتى محمدًا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشًا ممن مع محمد لم يردوه عليه، وإن بيننا منازعة مكفوفة أى: أمور مطوية أى ترك المؤاخذة بما تقدم بينهما من أسباب الحرب وغيرها وإنه لا إسلال ولا إغلال أى لا سرقة ولا خيانة، وإنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه)[1].

إن من مزايا هذا الصلح كما نقل النووى عن العلماء أن المصلحة المترتبة على هذا الصلح هى ما ظهر من ثمراته وفوائده المتظاهرة التى علمها النبى ﷺ وخفيت عليهم وحمله ذلك على موافقتهم، وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا تظهر عندهم أمور النبى ﷺ. فلما حصل الصلح جاءوا إلى المدينة وجاء المسلمون إلى مكة وخلوا بأهلهم وأصحابهم ممن يستنصحونهم وسمعوا عن أحوال الرسول ومعجزاته وحسن سيرته وجميل طريقته فمالت أنفسهم إلى الإسلام حتى بادر خلق منهم إلى الإسلام قبل فتح مكة.

قال الزهرى فى حديثه: ثم انصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ (الفتح: ١ ، ٢). وكان أبو بكر الصديق ﷺ يقول: ما كان فتح فى الإسلام أعظم من فتح الحديبية، لكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد ﷺ وربه، والعباد يعجلون والله لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد.

---

(١) زاد المعاد لابن القيم صلح الحديبية جـ٢ ص ١٢٦.

إن التأمل فى هذه الحادثة العظيمة (صلح الحديبية)، يبيّن لنا مقدار حكمةِ رسول الله ﷺ وعدم استجابته أو تأثره بالاستفزاز، وهذا من باب النظر فى المصلحتين والسعى لتحصيل أعلاهما، ولذلك جاءت النتيجة بتسمية الله لهذا الصلح فتحًا: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾ (الفتح: ١).

هذا رسولنا ﷺ آتاهُ اللهُ الحكمة، فدعا الناسَ بها، عملاً وقولاً.

والله - عز وجل - يقول فى وصفه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ⑫⑧﴾ (التوبة: ١٢٨).

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ⑪③﴾ (النساء: ١١٣).

الحكمةُ فضلُ اللهِ الذي يؤتيه من يشاء فمن مَنَّ اللهُ عليه بالحكمة فعليه أن يشكرَ الله ليلاً ونهارًا؛ فإنّ الله ﷻ قد ربط بينَ الحكمةِ والشكرِ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ⑫﴾ (لقمان: ١٢).

والشكرُ الذى يحبهُ اللهُ هو:

• شكرُ القلب: بأنْ يعتقد الإنسانُ أن ما به من نعمةٍ فمن اللهِ وحده، كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (النحل: ٥٣).

• شكرُ اللسان: وهو الثناءُ على الله والتحدثُ عما أنعم الله به على العبد. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ⑪﴾ (الضحى: ١١).

• شكرُ الجوارح: وهو أن يعبدَ الإنسانُ ربَّهُ كما أمره، شكرًا لله على نعمه، قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ (سبأ: ١٣).

ومن سنن الله التى لا تتبدلُ ولا تتغيرُ أن من شكر نعمةَ الله بقيتْ له وزادتْ، ومن كفر بنعمة الله ذهبتْ وزالتْ من بين يديه.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ (لقمان: ١٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ (إبراهيم: ٧).

ابن آدم!

إذا كنتَ فى نعمةٍ فارْعَها ... فإن المعاصى تُزيلُ النعم

وحافظْ عليها بشكرِ الإله ... فإن الإله شديدُ النِقم

ثانيًا: لا طاعةَ لمخلوقٍ فى معصية الخالق.

١- ويؤخذ هذا من قصة لقمان من قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ (لقمان: ١٥).

ثالثًا- ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٨١).

وهذا يؤخذ من قوله: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ (لقمان: ١٥).

العبادُ جميعًا راجعون إلى الله بعد الموت.

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (القصص: ٨٨).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ (العنكبوت: ٥٧).

وقال تعالى: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (الأنعام: ٣٦).

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ (السجدة: ١١).

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ (الجاثية: ١٥).

لماذا يرجعُ العبادُ بعد الموتِ إلى الله تعالى؟

ليقفوا بين يديه (محكمة العدل الإلَهية) ويحاسبهم على ما عملوا فى الدنيا، إن خيرًا فخيرٌ وإن شرًّا فشرٌّ.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ (البقرة: ٢٨١).

رابعًا- على الآباء أن يتقوا الله فى أبنائهم:

وهذا يؤخذ من وصايا لقمان لولده، قال تعالى ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ (لقمان: ١٣).

وقال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾ (لقمان: ١٦).

وقال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ (لقمان: ١٧).

الأبناء نعمةٌ عظيمةٌ من نعم الله تبارك وتعالى.

قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ (النحل: ٥٣).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (النحل: ١٨).

والأبناء نعمةٌ عظيمةٌ تدوم بالشكر وتذهب بالكفر.

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (النحل: ٧٢).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾

(الأعراف: ١٦٧).

والله ﷻ سائلكم يا معشر الآباء يوم القيامة عن نعمة الأبناء:

قال تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الصافات: ٢٤).

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ (التكاثر: ٨).

أما حقوق الأبناء على الآباء فهى:

أولاً- يجب على الرجل إذا أراد أن يتزوج أن يبحث عن الزوجة الصالحة التقية، التى تكون أمًّا صالحةً لأبنائه، وعلى المرأة كذلك أن تختار الرجل الصالح المؤمن التقيّ؛ ليكون أبًا صالحًا لأولادها، فالأبُ الصالح يؤثر فى تربية الأولاد، وقد جاءت الأدلة فى الكتاب والسنة تحث على ذلك، منها:

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣).

وقال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء: ٣٤).

وقال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ (النور: ٢٦).

وقال ﷺ: ((تُنكحُ المرأةُ لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفرْ بذات الدين تربتْ يداك))[1].

وقال ﷺ: ((الدنيا متاعٌ وخيرُ متاعها المرأةُ الصالحةُ))[2].

ثانيًا- من حقِّ الأبناء على الآباء أن يأمروهم بالصلاة لسبعٍ، وأن يفرقوا بينهم فى المضاجع.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٤٦٩).

قال ﷺ: ((مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناءُ سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عشرٍ، وفرقوا بينهم فى المضاجع))[1].

وهذا لقمان يقول لولده وهو يعظه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (لقمان: ١٧).

فعلى الوالد أن يأمر ابنه بالصلاة ويصطحبه معه إلى المسجد وأن يربيه على محبة المساجد، وأن يؤدبه بآداب المسجد، و أن يقرأ عليه دائمًا قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ (البقرة: ٢٣٨).

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ (النساء: ١٠٣).

وقوله ﷺ: ((مَنْ غدا إلى المسجد أو راح، أعدّ الله له فى الجنة نزلاً، كلما غدا أو راح))[2].

وقوله ﷺ: ((بشر المشائين فى الظلم إلى المساجد بالنورِ التامِّ يوم القيامة))[3].

ثالثًا - من حق الأبناء على الآباء أن يربوهم على العقيدة الصحيحة لينجوا جميعًا من عذاب الله.

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٩٥)، وأحمد (٢/١٨٧)، والحاكم (١/٣١١)، والدارقطني (٨٧٦)، ((الإرواء)) (٢٤٧).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٦٦٩) واللفظ له.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣)، وابن ماجه (٧٨١)، والحاكم (١/٣٣١)، والطبراني في الأوسط (٤٢٠٧)، ((صحيح الجامع)) (٢٨٢٣).

استجابة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ (التحريم: ٦).

والاهتمام بتربية الأولاد على العقيدة الصحيحة كان محل اهتمامِ الأنبياء والصالحين.

فهذا إبراهيمُ الخليلُ عليه السلام يدعو الله أن يرزقه ولدًا صالحًا، فيقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ (الصافات: ١٠٠).

ويقول: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ (إبراهيم: ٣٥).

ويقول ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ (إبراهيم: ٤٠).

وهذا زكريا عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ (آل عمران: ٣٨).

ويظهر اهتمامُ الأنبياء بالعقيدة أيضًا من قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ (البقرة: ١٣٢).

وهذا يعقوب عليه السلام عند موته يريد الاطمئنان على عقيدة أبنائه فيما بعد وفاته قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ (البقرة: ١٣٣).

وهذا لقمانُ الحكيم يوجه إلى ابنه وصايا عظيمة يحذره فيها من الشركِ ويبين له قبحه لينفر منه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (لقمان: ١٣).

وهذا رسولنا ﷺ يهتم بتربية الأطفال على العقيدة الصحيحة.

قال رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: ((يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعتْ الأقلام وجفت الصحف))[1].

رابعًا- من حق الأبناء على الآباء أن يربوهم على الآداب الإسلامية والأخلاقِ الفاضلة التي يحبها الله ورسوله ﷺ مثل آداب الاستئذان:

يقول الله ـ عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾ (النور: ٥٨، ٥٩).

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣)، وأبو يعلي في ((مسنده)) (٤/ ٤٣٠)، ((صحيح الترمذي)) (٢٠٤٣).

آداب الطعام، فهذا رسولنا ﷺ يجلسُ يومًا على الطعام ويجلس معه عمرُ ابن أبى سلمة ربيبه، فتطيش يد عمر فى الصحفة فيقول له ﷺ معلمًا مؤدبًا مربيًا: ((يا غلام! سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك))[1].

فكم منا يأمر ولده أن يسمي الله عند الطعام؟ وكم منا يأمر ولده أن يأكل باليمين، ويبين له أن الشيطان هو الذى يأكل بالشمال؟!

وهذا المربى الكبير لقمان الحكيم ذكره الله لنا فى كتابه وهو يربى ولده على العقيدة الصحيحة والأخلاق والآداب الفاضلة لنتأسى به.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (لقمان: ١٣).

ثم يربيه أيضًا على مراقبة الله فيقول له: ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ (لقمان: ١٦-١٩).

خامسًا: من حق الأبناء على الآباء أن يعدلوا بينهم فى العطايا والميراث.

قال تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ ﴾ (النساء: ١١).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

وقال ﷺ: ((اعدلوا بين أولادكم فى النحل، كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر واللطف))[1].

سادسًا: من حق الأبناء على الآباءِ أن يُؤمِّنوا مُستَقبلَهم بالتقوى.

قال تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ (النساء: ٩)، وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا ﴾ (الكهف: ٨٢).

سابعًا: من حق الأبناء على الآباء أن يعلِّموهم دين الله، وفى مقدمة هذا العلم كتاب الله.

فعلى الوالد أن يقول لولده: يا بني! عليك بكتاب الله حفظًا وفهمًا وتدبرًا فهو تجارة رابحة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (فاطر: ٢٩).

يا بني! عليك بالقرآن فإنه يرفعك فى الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾ (المجادلة: ١١).

وقال ﷺ: ((إن الله يرفعُ بهذا الكتابِ أقوامًا ويضعُ به آخرين))[2].

---

(١) صحيح: أخرجه ابن حبان (٥٠٨٢)، والبيهقي في ((السنن)) (٦/١٧٨)، ((صحيح الجامع)) (١٠٤٦).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٨١٧).

وقال ﷺ: ((يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارقَ ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها))[1].

يا بني! عليك بالقرآن فإنه يجعلك من خير الناس، قال ﷺ: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))[2].

يا بني! عليك بالقرآن فإنه يجعلك من أهل الله وخاصته، قال ﷺ: ((إن لله أهلين من الناس)) قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: ((هم أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته))[3].

على الأبناءِ أن يتقوا الله فى آبائهم.

وهذا يؤخذ من قوله تعالى فى قصة لقمان: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (لقمان: ١٤، ١٥).

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، وأحمد (٢/١٩٢)، والحاكم (١/٧٣٩)، ((صحيح الجامع))، (٨١٢٢).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢١٥)، وأحمد (٣/١٢٧)، والحاكم (١/٧٤٣)، والنسائي في الكبرى (٥/١٧)، وأبو نعيم في ((الحلية)) (٣/٧٤)، ((صحيح ابن ماجه)) (١٧٩).

الآباءُ لا يحتاجونَ إلى وصيةٍ على أبنائهم، وذلك لأنّ الولد قطعة من أبيه.

ولذلك وصى اللهُ في كتابه الأبناء على الآباء.

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ (لقمان: ١٤)، وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ (العنكبوت: ٨)، وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ﴾ (الأحقاف: ١٥).

وقال ﷺ: ((إن اللهَ يوُصيكم بأمهاتِكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم، ثم يوصيكم بالأقربِ فالأقربِ))[1].

حقُّ الآباء على الأبناءِ عظيمٌ جدًّا، فهو من أعظمِ الحقوق بعد حقِّ الله - تعالى - وحقِّ رسوله.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٣).

وقال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (النساء: ٣٦).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري في ((الأدب المفرد)) (٦٠)، وابن ماجه (٣٦٦١)، وأحمد (٤/١٣٢)، والطبراني في ((الكبير)) (٢٠/٢٧٠)، والبيهقي في ((الشعب)) (٦/١٨٢)، ((صحيح الأدب المفرد)) (٤٤).

ابن آدم! اعلم أنّ الآباء هم السببُ الأول لوجودك في هذه الدنيا بعد الله - عز وجل - ولذلك فللآباء على الأبناء حقوقٌ عظيمةٌ منها:

أولاً: مُصاحبةُ الأبناءِ للآباءِ في هذه الدنيا بالمعروف، والدعاء لهما والحرصُ على نصْحِهما وهدايتهما ولو كانا كافرين.

استجابةً لقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (لقمان: ١٤، ١٥).

★★ ومن الأمثلة على ذلك:

١- قصة إبراهيم عليه السلام مع والده الكافر، حيث أخبرنا الله عز وجل عن إبراهيم عليه السلام وكيف كان حريصًا على هداية والده، وكيف كان يدعوه بالحسنى، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾ (مريم: ٤١ - ٤٧).

٢- قصة أبي هريرة ﷺ مع أمه التى كانت على الكفر وكانت تؤذى رسول الله ﷺ بلسانها، ومع ذلك كان أبو هريرة ﷺ يُحْسنُ إليها ويعاملها معاملة الابن البار ويحرصُ على هدايتها.

يقول أبو هريرة ﷺ: كنت أدعو أمى إلى الإسلام وهى مشركةٌ، فدعوتها يومًا فأسمعتنى فى رسولِ الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله! إنى كنت أدعو أمى إلى الإسلام فتأبى عليّ، فدعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره، فادع الله أن يهدى أُمّ أبى هريرة.

فقال رسول الله ﷺ: ((اللهم اهدِ أمّ أبى هريرة)) فخرجتُ مستبشرًا بدعوةِ نبى الله ﷺ، فلما جئت فصرتُ إلى الباب، فإذا هو مُجافٌ، فسمعتْ أمى خشفَ قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة! وسمعتُ خضخضة الماء قال: فاغتسلتْ ولبستْ درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالتْ: يا أبا هريرة! أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أنّ محمدًا عبدهُ ورسوله. قال: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ، فأتيتهُ وأنا أبكى من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله! أبشر قد استجاب اللهُ دعوتك وهدى أمّ أبى هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرًا[1].

٣- موقف أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها مع أُمها:

تقولُ أسماءُ بنتُ أبى بكرٍ: قدمتْ عليَّ أمي وهي مشركةٌ في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلتُ: وهى راغبةٌ - أى: طامعةٌ فيما عندى تسألنى البر والإحسان إليها - أفأصلُ أمي؟

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٤٩١).

قال ﷺ: ((نعم صلي أمك))[1].

ثانيًا: برُّ الأبناء للآباء يكون في حياتهما وبعد مماتهما:

ومن البر للآباء في حياتهما أن يخفض الابن الجناح عندهما، ولا يرفع صوته عندهما، ولا يقل لهما أفٍّ، وأن يُحسِنَ إليهما بكل معاني الإحسان؛ استجابة لقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء: ٢٣، ٢٤).

★★ ومن الأمثلة على ذلك:.

إسماعيل عليه السلام لما قال له أبوه إبراهيم عليه السلام: ﴿يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ (الصافات: ١٠٢).

ومن بر الوالدين بعد الموتِ الدعاءُ والاستغفارُ لهما:

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء: ٢٤).

وقال ﷺ: ((إذا مات ابن آدم انقطعَ عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له)).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٦٢٠)، (٥٩٧٩).

(١١) قوم سبأ

أهداف القصة :

١- التأكيد على أهمية شكر نعم الله تعالى .

٢- التعريف ببعض وسائل شكر النعم .

٣- التحذير من البطر وكفران النعم .

٤- التعريف ببعض آداب الدعاء .

٥- اليقين فى قدرة الله تعالى .

٦- استشعار جلال الله ـ تعالى ـ وعظمته .

الآيات:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾

(سبأ: ١٥ ـ ٢١).

بعدما بيّن تعالى حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان عليهما السلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ (سبأ: ١٠ – ١٣)، بيّن حال الكافرين لأنعمهِ بقصة سبأ، ليكون ذلك موعظة وتحذيرًا وتنبيهًا لقريش وغيرها على ما جرى من المصائب والنكبات لهؤلاء لقاء كفرهم بأنعمِ الله، ثم ذكّر سبحانه كفار مكةَ بنعمهِ عليهم ليعبدوه ويشكروه.

البيان:

ذكر العلماء أن بلقيس لما ملكت قومها جعل قومها يقتتلون على ماء واديهم، فجعلت تنهاهم فلا يطيعونها، فتركت مُلكها وانطلقت إلى قصرها فنزلته. فلما كثر الشر بينهم وندموا، أتوها فأرادوا أن ترجع إلى ملكها، فأبت، فقالوا: لترجعن أو لنقتلنك، فقالت: إنكم لا تطيعوننى وليست لكم عقول، فقالوا: فإنا نطيعك، فجاءت إلى واديهم وكانوا إذا مطروا أتاه السيل من مسيرة أيام فأمرت به فسد ما بين الجبلين، وحبست الماء من وراء السد وجعلت له أبوابًا بعضها فوق بعض وبَنَتْ من دونه بركة وجعلت فيها اثنى عشر مخرجًا على عدة أنهار، فكان الماء يخرج بينهم بالسوية، إلى أن كان من شأنها مع نبى الله سليمان عليه السلام ((فى قصة إسلامها)) وبقوا بعدها على حالهم. وقيل: إنما بنوا ذلك البنيان لئلا يغشى السيل أموالهم فيهلكها، فكانوا يفتحون من أبواب السد ما يريدون فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه، وكانت لهم جنتان عن يمين واديهم وعن شماله، فأخصبت أرضهم وكثرت فواكههم، وإن كانت المرأة لتمر بين الجنتين والمكتل على رأسها، فترجع وقد امتلأ من الثمر ولا تمس بيدها شيئًا منه، ولم يكن يُرى فى بلدهم حية ولا عقرب ولا بعوضة ولا ذباب ولا برغوث.

ولما بطروا وطغوا وسئموا الراحة ولم يصبروا على العافية تمنوا طول الأسفار والكدح فى المعيشة، كقول بنى إسرائيل: ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ (البقرة: ٦١)،

وكالنضر بن الحارث حين قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ (الأنفال: ٣٢). فأجابه الله تبارك وتعالى وقتل يوم بدر بالسيف صبرًا؛ فكذلك هؤلاء تبددوا في الدنيا ومزقوا كل ممزق وجعل بينهم وبين الشام فواصل شائعة يركبون فيها المراكب ويتزودون الأزواد.

⇦ المستخلص عن قصة قوم سبأ سيكون حولَ العناصر التالية:

العنصر الأولُ: نعمٌ تنقلب إلى نقمٍ.

العنصر الثاني: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ﴾ (سبأ: ٢٠).

العنصر الثالثُ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ (العنكبوت: ٢).

- العنصر الأولُ: نِعمٌ تنقلبُ إلى نِقم.

لله في هذا الكون سننٌ لا تتبدل ولا تتغيرُ ولا تتحولُ ومن هذه السنن: أنّ الله تعالى يُنعمُ على عبادهِ نعمًا كثيرةً لا تعدُّ ولا تُحصى فإن شكروه أبقاها لهم وزادها، وإن كفروا أزالها من بين أيديهم وحولها عليهم نقمة وعذابًا، جزاءً وفاقًا ولا يظلمُ ربك أحدًا.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ (إبراهيم: ٧)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾
(لقمان: ١٢).

ومن عقوبات المعاصى والذنوب: أنها تُزيل النِّعَم وتُحلُّ النِّقَمَ، فما زالتْ عن العبدِ نعمةٌ إلا بذنبٍ، ولا حلَّتْ به نقمةٌ إلا بذنب. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾
(الشورى: ٣٠).

و قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (الروم: ٤١).

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الأنفال: ٥٣)، فأخبر الله تعالى أنه لا يُغير نعمةَ التى أنعم بها على عبدٍ حتى يكون هذا العبد هو الذى يُغير ما بنفسه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد: ١١) فيغير طاعةَ الله بمعصيته، وشكرهِ بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه، فيغيِّر الله ـ عز وجل ـ عليه، ﴿ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (النبأ: ٢٦)، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾
(فصلت: ٤٦).

فإن غيرّ العبد المعصية بالطاعة غيّر الله عليه العقوبة بالعافية، والذلَّ بالعزِّ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ (الرعد: ١١).

فالنعمُ تنقلبُ إلى نقم بسبب الكفرِ والمعاصي، وبسبب الإعراض عن دينِ الله، ومن الأمثلة على ذلك: قصةُ سبأ فهم قومٌ أنعم الله عليهم نعمًا كثيرةً منها:

● ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ (سبأ: ١٥). كان لأهل سبأ وادٍ عظيمٍ، تأتيه سيولٌ كثيرة، وكانوا قد بنوا سدًّا محكمًا، ليكون مجمعًا للماء، وكانت السيولُ تصب فيه، فيجتمع هناك ماءٌ عظيمٌ، فيفرغونه على بساتينهم، التى عن يمين ذلك الوادى وشماله، وتغلُّ لهم تلكَ الجنتان العظيمتان، من الثمار ما يكفيهم ويحصلُ لهم به السرور.

● ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥﴾ (سبأ: ١٥)، ومن نعم الله عليهم: أنه جعل بلدهم بلدةً طيبةً، لحُسنِ هوائها، وحصول الرزق الرغدِ فيها حتى ذكروا أنه لم يكن ببلدهم شيءٌ من الذباب ولا البعوض ولا البراغيث وذلك لاعتدال الهواء وعناية الله بهم، كما قال تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أى: طيبةٌ فى كل شيء.

● ومن نعم الله عليهم: أنه سبحانه وتعالى وعدهم إن شكروه أن يغفر لهم ويرحمهم ولهذا قال تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥﴾ (سبأ: ١٥).

● ومن نعم الله عليهم: أن الله لما علم احتياجهم فى تجارتهم ومكاسبهم إلى الأرض المباركة - وهى بلاد الشام - هيأ لهم من الأسباب ما يتيسر به وصولهم إليها بغاية السهولة، من الأمنِ وعدم الخوفِ، ويُسر تواصل القرى

فيما بينهم وبينها، بحيث لا يكون عليهم مشقة بحمل الزاد والمزاد خلال أسفارهم ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا﴾ أى: ((سيرًا)) مقدرًا يعرفونه ويحكمون عليه، بحيث لا يتيهون عنه: ﴿لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ أى: مطمئنين فى السير، فى تلك الليالى والأيام، غير خائفين، وهذا من تمام نعمة الله عليهم، أن أمنهم من الخوف.

نعمٌ كثيرةٌ لا تُعدُّ ولا تُحصى: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾، مياه كثيرةٌ أمام السد، ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾، استراحات فى طريقهم من بلادهم إلى بلاد الشام، أمنٌ وأمان، لكن بدل أن يقابلوا نعم الله بالشكر قابلوها بما يلى:

• الإعراض:

قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا۟﴾ أى: كفروا بالله ورفضوا عبادته وشكره، وتولوا عن طاعته.

وهذا الإعراضُ من طبع الإنسانِ دائمًا - (إلا من رحم الله) - كما قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ (الإسراء: ٨٣)، وقال تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ (الإسراء: ٦٦، ٦٧)، وقال تعالى: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾ (التوبة: ٧٥، ٧٦)، وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ

﴿ ... حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ (الأنبياء: ١ ـ ٣)، وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾

(القمر: ١، ٢).

فالإنسان ـ (إلا من رحم الله) ـ يُعرضُ عن طاعة ربه فلا يشكر، ويعرضُ عن الآياتِ فلا يتدبر ولا يعتبر ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۝١٧﴾

(عبس: ١٧).

• البطر والبغى:

قوم سبأ قابلوا نعمَ الله التى لا تُعدُّ ولا تحصى بالبطرِ والبغي، فقال تعالى عنهم: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ (سبأ: ١٩).

وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ (سبأ: ١٨)، أى: كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام فى قرى ظاهرة متواصلة، وقيل هى قرى بصنعاء ـ (والله أعلم) ـ ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ أى: واضحة يقيلون فى واحدة ويبيتون فى أخرى ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ أى: جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ۝١٨﴾ أى: كان أمنهم دائمًا، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ وذلك أنهم بطروا هذه النعمة، وأحبوا فواصل شاسعة وصحارى يحتاجون فى قطعها إلى الزاد والمراكب، والسير فى الحرور والمخاوف، حتى لا يستطيع الفقراء ومتوسطو الحال الإقدام على السفر بلا زاد أو ماء أو مركب. و أنهم ملوا

من الراحة و الرفاهة كما مل بنو إسرائيل من (المن و السلوى) الغذاء السماوى و طلبوا من الله البصل و الثوم و العدس. قال تعالى: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ (البقرة: ٦١)، وكما قال كفارُ مكة: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ (الأنفال: ٣٢).

• الظلم، وهو: اقتراف المعاصى والذنوب:

كما قال تعالى ﴿وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾.

أهلُ سبأ قابلوا نعمَ اللهِ التى لا تُعدُّ ولا تُحصى بالظلم فظلموا أنفسهم بالكفرِ والمعاصي، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

(إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤).

الإنسان إذا قابل نعم الله بالمعاصى والذنوب زالت النعمُ من بين يديه وهلك، قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (العنكبوت: ٤٠).

قومُ سبأ قابلوا نعمَ الله الكثيرة عليهم بالإعراض عن دينه وعن عبادته وبالبطر والظلم، فحقت عليهم سنةُ الله؛ فما من أمةٍ تكفرُ بالله، وتستخدمُ نعمه فى الكفر والفسادِ إلا ويحلُّ بها عذاب اللهِ فيَسْلِبُها النِّعم ويُوقِع بها الهلاك، وتتحول النعمُ إلى نقمٍ يعذبون بها وهذا ما نزل بقوم سبأ، فتأمل واعتبر بما حل بهم:

- قال تعالى: ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ (سبأ: ١٦).

إن الإعراض عن شرع الله ودينه يعقبهُ عذاب اللهِ وانتقامهُ وإن هذا الإعراض هو طريقٌ للهلاكِ والدمار.

الماءُ والسدُّ والسيلُ نعمٌ من الله على قوم سبأ تحولت بالكفر والمعاصى إلى نقم.

الماءُ كان نعمة أنشأوا به الجنات، وحجزوه خلف السد، وعاشوا به سعداء.

والماء نفسه جعله الله نقمةً وعذابًا، فأرسل عليهم سيلاً عَرِمًا من خلف السد، وكان بهذا الماء تدميرُ جناتهم، وهلاك مزروعاتهم وهذا من آياتِ الله، بالماء تنشأ لهم الجنات، ثم بالماء نفسه تُدمرُ تلك الجنات! .

بالماء عاشوا أغنياءَ سعداء، وبالماء نفسه ذُلّوا وافتقروا. ولعل هذا درسٌ أن تعبد الله وتشكره، لتُبقى على تلك النعم نعمًا، وإلا فإن النعم نفسها تتغيرُ وتتحول إلى نقمٍ.

وكم من الناسِ من تتحول نعم الله عليه بكفره وفساده إلى نقمة وعذاب! وكم من أمة شقيت بما كان المأمول به سعادتها! وصدق الله: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (التوبة: ٥٥).

• قال تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ (سبأ: ١٦)، أي: ثمرٍ مرٌّ لا يؤكل وشجرٍ لا ثمر له، وشجرٍ مثمر لا يسمن ولا يغنى من جوع، فهذا تبديلُ النعمِ بالنقم لمن لم يشكر النعم.

• قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ﴾ (سبأ: ١٩)، أي: جعلناهم حديثًا للناس وسمرًا يتحدثون به من خبرهم وكيف مكرَ اللهُ بهم وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة، حتى تفرقوا فى البلاد وصاروا مضرب المثل.

هكذا تتحولُ النعم إلى نقمٍ إذا قابلها الإنسانُ بالإعراض عن دين الله وبالمعاصي.

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (النحل: ١١٢).

– **العنصر الثانى**: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ (سبأ: ٢٠).

إبليسُ أعلن الحرب على آدم وذريته من اللحظةِ الأولى لخلق آدم عليه السلام .

لما خلق اللهُ آدم بيده ونفخَ فيه من روحه، وأمر الملائكة ـ وكان معهم إبليسُ وهو من الجن ـ بالسجود لآدم امتنع إبليس فقال الله ـ تعالى ـ له: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ (ص: ٧٥) ، وقال له أيضًا: ﴿ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الحجر: ٣٢)، وقال له أيضًا: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ ﴾ (الأعراف: ١٢).

قال تعالى مخبرًا عنه: ﴿ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الحجر: ٣٣)، وقال أيضًا: ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ ﴾ (ص: ٧٦).

فطرده الله من الجنة ملعونًا مذمومًا مدحورًا.

قال الله تعالى له: ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ ﴾ (ص: ٧٧)، وقال تعالى: ﴿ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (الأعراف: ١٣).

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ (ص: ٧٨).

فأعلن إبليسُ الحربَ على آدم وذريته.

فقال: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (ص: ٨٢)، وقال: ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الحجر: ٣٩)،

وقال: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الأعراف: ١٦، ١٧).

وقال: ﴿ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ ﴾ (النساء: ١١٨)، وقال: ﴿ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ (الإسراء: ٦٢).

وهذا الذى قاله إبليس قبل أن يقع ظنًّا منه بأنه سيتمكن من إضلال أكثر بنى آدم وقد بين الله تعالى أن إبليس صدق ظنه هذا، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (سبأ: ٢٠)، أى: حقق فيهم هدفه وغايته ورسالته، ونجح فى إغوائهم وإضلالهم وإبعادهم عن الصراط المستقيم.

وهؤلاء، قومُ سبأٍ، نجحَ إبليس فى إغوائهم، فأعرضوا عن عبادة الله وعن شكره وما كان لإبليس عليهم من سلطان كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ (سبأ: ٢١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ (النساء: ١١٩).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (النحل: ١٠٠).

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفرقان: ٢٩).

والله - عز وجل - حذر عباده من الشيطان؛ لأن الشيطان يدعو حزبهُ ليكونوا معهُ في النار.

قال تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ (البقرة: ٣٦).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ (فاطر: ٦).

وقال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ (يس: ٦٠).

وقال تعالى: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (المجادلة: ١٩).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾ (البقرة: ١٦٨).

وقال تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ (البقرة: ٢٦٨).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ (آل عمران: ١٧٥).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ (المائدة: ٩٠).

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ (يوسف: ٥).

وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ (الإسراء: ٥٣).

وقال تعالى ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾

(مريم: ٤٤).

لكن اعلموا أن الشيطان يتبرأ من حزبه بعد إضلالهم فى الدنيا والآخرة.

أما فى الدنيا: قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ (الحشر: ١٦، ١٧).

وأما فى الآخرة، فى نار جهنم: فإن الشيطان يقوم ويخطب فى حزبه فيقول لهم كما أخبر الله تعالى عنه: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ (إبراهيم: ٢٢).

وبعد هذا البيان أيعبدون الشيطان، وقد قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) ﴾؟!

(يس: ٦٠).

قال تعالى: ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧) ﴾ (الحشر: ١٧).

- **العنصر الثالث**: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) ﴾ (العنكبوت: ٢).

يمتحنُ الله عبادهَ بالسراءِ والضراءِ، والخيرِ والشرِّ، ليميز الخبيث من الطيب، وليتبين الصادق من الكاذب كما قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) ﴾ (العنكبوت: ٢، ٣).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١) ﴾ (سبأ: ٢٠، ٢١).

عبر ودروس هادية وفوائد إيمانية
من قصة قوم سبأ

أولاً: الرزقُ من الله تعالى يدوم بالطاعةِ ويذهبُ بالمعصية.

وهذا يؤخذ من قصة سبأ:

من قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ (سبأ: ١٥).

ومن قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ (سبأ: ١٦، ١٧).

الرزق من الله تعالى وحده:

قال تعالى: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ (سبأ: ١٥)، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (الروم: ٤٠)، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾ (البقرة: ٢١٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ (الذاريات: ٥٨)، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ (سبأ: ٢٤)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ (سبأ: ٣٩)، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾ (الجمعة: ١١).
و قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ (آل عمران: ٣٧).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (البقرة: ١٧٢).

وقال تعالى: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾ ﴾ (آل عمران: ٢٧).

وقال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (المائدة: ٨٨).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الأعراف: ١٠).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾

(الأنفال: ٣).

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ ﴾ (هود: ٦).

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

(الحجر: ٢٠).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (النحل: ٥٣).

وقال تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ (النحل: ١١٤).

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الإسراء: ٧٠).

وقال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الحج: ٥٠).

وقال تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (النور: ٣٨).

وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (النمل: ٦٤).

وقال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (العنكبوت: ٦٠).

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الروم: ٣٧).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ (غافر: ١٣).

وقال تعالى: ﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (الشورى: ١٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ (الجاثية: ١٦).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ (الملك: ١٥).

وقال تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾ (قريش: ٣، ٤).

★★ رزقُ الله يدوم ويبقى ويزدادُ بالطاعات، ومنها:

١- الشكر:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ (الفاتحة: ٢)، الثناء على الله بصفاته التى كلُّها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، وفى ضمنه أمْرٌ لعباده أن يحمدوه، فهو المستحق له وحده، وهو سبحانه المنشئ للخلق، المشرع لأمور حياتهم ووضع المنهج المنظم لها.

﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (البقرة: ٥١، ٥٢)، واذكروا نعمتنا عليكم: حين واعدنا موسى أربعين ليلة لإنزال التوراة هدايةً ونورًا لكم، فإذا بكم تنتهزون فرصة غيابه هذه المدة القليلة، وتجعلون العجل الذى صنعتموه بأيديكم معبودًا لكم من دون الله - وهذا أشنع الكفر بالله - وأنتم ظالمون باتخاذكم العجل إلهًا. ثمَّ تجاوزنا عن هذه الفعلة المنكرة، وقَبِلْنَا توبتكم بعد عودة موسى عليه السلام؛ رجاءَ أن تشكروا الله على نعمه وأفضاله، ولا تتمادوا فى الكفر والطغيان.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (آل عمران: ١٢٣).

ولقد نصركم الله - أيها المؤمنون - بـ "بدر" على أعدائكم المشركين مع قلة عَدَدكم وعُدَّتكم، فخافوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ لعلكم تشكرون له نعمه .

قال تعالى ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ (النساء: ١٤٧). ما يفعل الله بعذابكم إن أصلحتم العمل وآمنتم بالله ورسوله، فإن الله سبحانه غنى عمَّن سواه، وإنما يعذب العباد بذنوبهم. وكان الله شاكرًا لعباده على طاعتهم له ، عليمًا بكل شيء.

قال تعالى ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الأنعام: ٤٥). فاستؤصل هؤلاء القوم وأُهلكوا إذ كفروا بالله وكذَّبوا رسله، فلم يبق منهم أحد. والشكر والثناء لله تعالى - خالق كل شيء ومالكه - على نصرة أوليائه وهلاك أعدائه.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الأعراف: ١٠). ولقد مكَّنَّا لكم - أيها الناس - في الأرض، وجعلناها قرارًا لكم، وجعلنا لكم فيها ما تعيشون به من مطاعم ومشارب، ومع ذلك فشكركم لنعم الله قليل .

وقال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾

(البقرة: ١٥٢)

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الأعراف: ١٧).

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ (الأعراف: ١٤٤).

وقال تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٠﴾ (يونس: ١٠).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ٧﴾ (إبراهيم: ٧).

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ١١١﴾ (الإسراء: ١١١).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٨﴾ (المؤمنون: ٢٨).

وقال تعالى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ٢٨﴾ (القصص: ٢٨).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٥﴾ (النمل: ١٥).

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ (غافر: ٦٥).

وقال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٦﴾ (الجاثية: ٣٦).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (الملك: ٢٣).

وقال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ﴾ (سبأ: ١٥)، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ (البقرة: ١٧٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ (آل عمران: ١٢٣).

وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ (النساء: ١٤٧).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ (الأعراف: ١٠).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ (إبراهيم: ٧).

والشكر يقومُ على ثلاثة أركان:

الركن الأول: أن يعتقد العبدُ أن ما به من نعمة فمن الله وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ (النحل: ٥٣).

والركن الثاني: أن يُحدث العبدُ بنعمةِ الله عليه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ (الضحى: ١١).

الركن الثالث: أن يستخدم نعمةَ الله فى طاعة الله ومرضاته، قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ (القصص: ٧٧).

٢- التقوى:

إن لتقوى الله عز وجل فوائد جليلة وعظيمة... آجلة وعاجلة منها:

- **التقوى سبب للتمكين فى الأرض:**

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ (٥٧)﴾ (يوسف: ٥٦، ٥٧).

- **إن التقوى سبب لدخول الجنة:**

قال تعالى ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا (٦٣)﴾ (مريم: ٦٣).

- **التقوى سبب تقبل الأعمال:**

قال تعالى: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ (٢٧)﴾ (المائدة: ٢٧).

- **التقوى سبب لتيسير الأمور:**

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا (٤)﴾ (الطلاق: ٤).

- **التقوى مجلبة للرزق:**

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢، ٣).

- **التقوى سبب للنجاة من المهالك:**

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ (مريم: ٧١، ٧٢)، وقال تعالى: ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (الزمر: ٦١).

- **التقوى سبب لتكفير السيئات ومغفرة الذنوب:**

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الأنفال: ٢٩).

- **التقوى سبب لزيادة الخيرات والأرزاق والبركات:**

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (الأعراف: ٩٦).

فالتقوى فيها كل الخير فمن حصل على التقوى حصل على السعادة كلها.

وأصل التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين من يخافه ويحذره، وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معصيته. والله أعلم،،،

**** من وحي التقوى في القرآن الكريم :**

قال تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧) ﴾ (البقرة : ١٩٧) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (البقرة : ٢٣٧) .

وقال تعالى : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩) ﴾ (النساء : ٩) .

وقال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة : ٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) ﴾ (المائدة : ٦٥) .

وقال ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩) ﴾ (التوبة : ١١٩) .

ويظهر العدل وضاءً مرتبطًا بمفهوم التقوى في ضوء القرآن العظيم، فها هي صورة التقوى مرتبطة بالعدل، حيث قال تعالى : ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) ﴾ (المائدة : ٨) .

ويذكر القرآن الكريم لباس التقوى، وينوه إلى أنه خير، قال الله سبحانه : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (الأعراف : ٢٦) .

وتبدو صورة التقوى موحية وهي ترتبط بالصلاة والعبادة حيث قال تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢) ﴾

(طه: ١٣٢) فالصلاة وعبادة الله – عز وجل – تحركان وجدان التقوى، وحينئذ يحظى الإنسان بالفلاح ورضوان الله فى الدنيا والآخرة ﴿ ثُمَّ يُجْزَنٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ (النجم: ٤١). وقال: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ (الحج: ٣٧).

قال تعالى: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (الفتح: ٢٦).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ (الحجرات: ٣).

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ﴾ (الطلاق: ٢، ٣).

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (الأعراف: ٩٦).

٣- التوكلُ على الله:

التوكُّل على الله تعالى بعد اتّخاذ الأسباب والوسائل المعتادة: من أصول العقيدة الإسلامية، ومن مقتضيات الإيمان بالله تعالى خالق كل شىء، مقدِّره، ومدبِّره، وبيده مقاليد السموات والأرض ومفاتيح الرزق والخير،

والقائم على كل نفس بما كسبت. وما على الإنسان إلا الأخذ بقانون السببية، فإن ارتباط المسببات والنتائج بالأسباب والمقدمات أمر لابد منه، يمارسه الإنسان بحسب طاقته وجهده، ثم يدع تحقيق النتائج والغايات إلى الله جل جلاله، والاعتماد عليه في جلب النفع ودفع الضُّر.

التوكل على الله من أعظم المنازل والمقامات عند الله تعالى بل هو علامة الإيمان، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (المائدة: ٢٣)، وقال تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ (آل عمران: ١٢٢).

ومن توكل على الله تعالى كفاه وهداه، قال تعالى: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ (الطلاق: ٣)، وقد أمر الله رسوله ﷺ بالتوكل، فقال: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ (النمل: ٧٩)، وقال تعالى ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾ (الأحزاب: ٣).

وأن طريق التوكل هو الاعتماد على الله، وعلم القلب بكفايته سبحانه لعباده، مع التسليم والرضى والثقة بالله، والطمأنينة إليه سبحانه قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الرعد: ٢٨)، وتعلق القلب به فى كل حال، والبراءة من الحول والقوة إلا به. ولا ينافى هذا كله الأخذ بالأسباب. أما التواكل فهو ترك الأسباب وانتظار رزق لا يأتى أصلاً إلا بسعى وجهد وعمل.

لذا أمر الله سبحانه بالتوكُّل عليه فى آيات كثيرة، منها:

- ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ (آل عمران: ١٦٠).

- ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

- ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ (الفرقان: ٥٨). أى اعتمد على الله سبحانه، بعد الأخذ بالأسباب. وقد وصف الله المؤمنين بأنهم المتوكلون على ربِّهم فى قوله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (الأنفال: ٢).

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (آل عمران: ١٧٣).

وهم الذين قال لهم بعض المشركين: إن أبا سفيان ومن معه قد جمعوا أمرهم على الرجوع إليكم لاستئصالكم، فاحذروهم واتقوا لقاءهم، فإنه لا طاقة لكم بهم، فزادهم ذلك التخويف يقينًا وتصديقًا بوعد الله لهم، ولم يُثْنِهم ذلك عن عزمهم، فساروا إلى حيث شاء الله، وقالوا: حسبنا الله أى: كافينا، ونِعْم الوكيل المفوَّض إليه تدبير عباده.

قال تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ ﴾ (النساء: ٨١).

ويُظْهر هؤلاء المعرضون، وهم فى مجلس رسول الله ﷺ، طاعتهم للرسول وما جاء به، فإذا ابتعدوا عنه وانصرفوا عن مجلسه، دبَّر جماعة منهم ليلاً غير ما أعلنوه من الطاعة، وما علموا أن الله يحصى عليهم ما يدبرون، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء، فتول عنهم - أيها الرسول - ولا تبال بهم، فإنهم لن يضروك، وتوكل على الله، وحسبك به وليًّا وناصرًا.

قال تعالى ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (المائدة: ٢٣).

قال رجلان من الذين يخشون الله تعالى، أنعم الله عليهما بطاعته وطاعة نبيِّه، لبنى إسرائيل: ادخلوا على هؤلاء الجبارين باب مدينتهم، أخْذًا بالأسباب، فإذا دخلتم الباب غلبتموهم، وعلى الله وحده فتوكَّلوا، إن كنتم مُصدِّقين رسوله فيما جاءكم به، عاملين بشرعه.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ (الطلاق: ٣) أي: كافيه.

وقال ﷺ: ((لو أنكُم تتوكلونَ على اللهِ حقَّ توكلِهِ؛ لرزقكم كما يرزُقُ الطيرَ؛ تغدُو خِماصًا، وتروحُ بطانًا))(١).

٤- الاستغفارُ:

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ (النساء: ١٠٦).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ (النساء: ١١٠).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ (البقرة: ٩٩).

وقال تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ (آل عمران: ١٣٣).

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ (المائدة: ٧٤).

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ (الأعراف: ١٥١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (الأنفال: ٣٣).

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٣٠)، والترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، والحاكم (٤/ ٣٥٤)، ((الصحيحة)) (٣١٠).

وقال تعالى ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ (إبراهيم: ٤١).

وقال تعالى: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الحجر: ٤٩).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (المؤمنون: ١٠٩).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (الشعراء: ٥١).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ (القصص: ١٦).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (فاطر: ٣٤).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ (ص: ٣٥).

وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾ (غافر: ٥٥).

وقال تعالى: ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الذاريات: ١٨).

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ (الحديد: ٢١).

وقال تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ (نوح: ٢٨).

وقال تعالى ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾

(هود: ٩٠).

وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾

(النصر: ٣).

وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ (نوح: ١٠، ١٢).

وقال تعالى على لسان هود عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ (هود: ٥٢).

٥- الدعاء:

قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾

(المائدة: ١١٤).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾

(البقرة: ١٨٦).

وقال تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) ﴾ (الأعراف: ٥٥، ٥٦).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠) ﴾ (غافر: ٦٠).

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) ﴾ (النمل: ٦٢).

ثانيًا: جنةُ المؤمن دائمةٌ، وجنة الكافر زائلةٌ.

قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) ﴾ (المؤمنون: ١٠، ١١).

وقال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) ﴾

(الفرقان: ٧٥، ٧٦).

وقال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الأعراف: ٤٣).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ (فاطر: ٣٤، ٣٥).

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (آل عمران: ١٣٣).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (النحل: ٣٢).

وقال تعالى: ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ (إبراهيم: ٢٣).

وقال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾

(الرعد: ٢٣، ٢٤).

إن للمؤمنِ عند ربه فى الآخرة جنة عرضها كعرض السماءِ والأرض فيها من النعيم ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ. جنةٌ دائمةٌ من دخلها لا يموتُ أبدًا، قال تعالى: ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ

﴿ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ (الرعد: ٣٥).

أما جنةُ الكافرِ والعاصى والمجرم فهى فى الدنيا فقط كما قال ﷺ: ((الدنيا سجنُ المؤمنِ وجنةُ الكافر))[1].

ذكر الله فى كتابه أن جنة الكافر والمجرمِ والعاصى مصيرها إلى زوال؛ سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً، قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ (فاطر: ٤٣).

وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ (الحديد: ٢٠).

وقال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ (الزمر: ٤٧).

★★ ومن الأمثلة على هذا:

■ قوم سبأ: الذين أنعم الله عليهم بجنتين عن يمين وشمالٍ، ولما كفروا وطغوا وأعرضوا، أبدلهم الله بهما جنتين ذواتى أُكل خمطٍ وأثلٍ وشيءٍ من سدر قليل، جزاءً وفاقًا ولا يظلم ربك أحدًا.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٥٦).

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ (سبأ: ١٥-١٧).

■ صاحب الجنتين المذكور فى سورة الكهف، الذى جعل الله له: ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ (الكهف: ٣٢، ٣٣)، ثم ماذا حصل بعد كفره وبطره وغروره؟ ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ (الكهف: ٤٢)، جزاءً وفاقًا، ولا يظلم ربك أحدًا.

■ أصحابُ الجنةِ الذين ذكروا فى سورة القلم، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ (القلم: ١٧ - ٢٠).

لما قرر أصحابُ الجنة أن يحرموا الفقراء والمساكين زالت جنتهم جزاءً وفاقًا، ولا يظلم ربك أحدًا.

قومُ فرعون لما استجابوا لفرعون وحاربوا موسى عليه السلام ومن آمن معه ولحقوا بهم، أغرقهم الله مع فرعون: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾﴾. (الشعراء: ٥٧ - ٥٩).

■ هود عليه السلام حذر قومه من زوال الجنات عنهم: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾ (الشعراء: ١٣٢ ـ ١٣٥)، فلما كفروا أهلكهم الله، وأزال تلك الجنات وتلك العيون.

■ ويحذرُ ربُّنا ـ جل وعلا ـ كُلَّ من كفر وطغى واستخدم نعمة الله في الفساد، ويهدده بزوال جنته وتدميرها واحتراقها، قال تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ (البقرة: ٢٦٦).

ثالثًا- الأرض المباركة هي بلاد الشام، ولقد ذكرها الله في كتابه في أربعة مواضع:

الموضع الأولُ: في قصة سبأ من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ (سبأ: ١٨).

الموضعُ الثاني: في سورة الإسراء، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ (الإسراء: ١).

الموضع الثالث: في سورة الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ (الأنبياء: ٧١).

الموضع الرابع: فى سورة الأنبياء أيضًا، قال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ (الأنبياء: ٨١).

★★ وجاءت الأحاديث النبويةُ الكثيرة تخبرُ عن فضائلِ الشام منها:

قال ﷺ: ((يا طوبى للشام، يا طوبى للشام، يا طوبى للشام)) قالوا: يا رسول الله، ولمَ ذلك؟ قال ﷺ: ((تلكَ ملائكةُ اللهِ باسطو أجنِحتها على الشام))[1].

واعلموا أن الله تعالى له سننٌ فى هذا الكون لا تتبدل ولا تتغيرُ منها:

١- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد: ١١).

٢- وقال تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ (محمد: ٧). وقال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ (الحج: ٤٠).

رابعًا- الأمنُ والأمانُ نعمةٌ من اللهِ على عبادهِ تدومُ بالشكرِ وتذهبُ بالكفرِ والمعاصي.

وهذا يؤخذ من قصة سبإٍ فقد كانوا يعيشون ويسافرون فى أمن وأمان، كما قال تعالى: ﴿ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٩٥٤)، وأحمد (٥/١٨٤)، والحاكم (٢/٢٤٩)، والطبراني في ((الكبير)) (٥/١٥٨)، ((فضائل الشام)).

(سبأ: ١٥) وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ (سبأ: ١٨)، وقال تعالى: ﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ (سبأ: ١٩).

إن الأمن والأمانَ من أجل نعمِ الله تعالى، وقد امتن الله بها على قريش في أكثر من آيةٍ.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ (العنكبوت: ٦٧).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ (القصص: ٥٧).

فالأمنُ والأمانُ من أجل نعمِ الله تعالى على العباد، فبها يجدُ الإنسانُ نفسه، ويؤدى وظيفته وهو مطمئن، لذلك فإنَّ الله ﷻ لما امتن على قريش بنعمة الأمن أمرهم أن يعبدوه شكرًا على نعمه، فقال سبحانه: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ (قريش: ٣، ٤).

لذلك كانت صلاةُ الخوفِ تختلفُ في صفتها عن صفة الصلاة في حال الأمن، قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ (البقرة: ٢٣٩).

فلما كذبتْ قريشٌ رسولَها، وعصتْ أمرَ ربها، ولم يشكروه على ما أنعم به عليهم من نعمة الأمن، بدّل أمنهم خوفًا، وأذاقهم لباسَ الجوع والخوف كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ (النحل: ١١٢، ١١٣).

وفى الوقت الذى بدّل الله فيه حال قريش من الأمن إلى الخوف بدّل سبحانه وتعالى حالَ الطائفةِ القليلةِ المؤمنةِ من الخوفِ إلى الأمنِ، وحقق لهم وعده الذى وعدهم إياه فى قوله سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (النور: ٥٥).

وامتن الله على هذه الطائفة المؤمنة بما حباها من نعمةِ الأمن فقال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (الأنفال: ٢٦).

الأمن والأمان يسودُ فى المجتمعاتِ بالأسباب التالية:

السببُ الأولُ: الإيمانُ الصادق، العقيدة الصحيحة، إفراد الله بالعبادة والابتعاد عن الشرك.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ - أى: بشرك - ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (الأنعام: ٨٢).

السببُ الثانى: تطبيقُ شريعة الإسلام فى المجتمع هو طريق إلى الأمن والأمان، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ (المائدة: ٦٦).

السببُ الثالث: إعطاءُ وردّ الحقوقِ لأصحابها.

إذا أعطى الناسُ حق اللهِ عليهم بأن عبدوه وحده لا شريك له، وأعطى كل واحد منا ما عليه من حق للآخرين فإن الأمن والأمان سيسود فى المجتمعات الإسلامية.

قال تعالى: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ (النساء: ٣٦).

(١٢) أصحاب القرية

أهداف القصة :

١- التعريف ببعض أساليب أهل الباطل.

٢- التحذير من اتباع الباطل.

٣- التأكيد على الوقوف فى وجه الباطل.

٤- التنبيه إلى أهمية التحرك بالعقيدة.

٥- بيان أن القوة فى الجماعة.

٦- استشعار قدرة الله تعالى.

٧- اليقين بأن الله ـ تعالى ـ عادل لا يظلم أحدًا .

٨- التعريف ببعض المهارات الدعوية.

٩- بيان أهمية الإيجابية .

البيان:

اختلف المفسرون فى القرية التى كذبت المرسلين، واختلفوا أيضًا فى الرسل، واسم الرجل المؤمن وكيفية قتله .اشتهر عن كثير من السلف والخلف أن هذه القرية أنطاكية، ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ﴾ (يس: ٢٠).

وقد رُوي أن اسم هذا الرجل حبيب بن مري- على ما قيل- أو غيره، لأن معرفة ذلك لا يزيد شيئًا فى دلالة القصة والدروس والعبر والعظات، وقيل: كان يتعبد فى غار، وأسرع فيه الجُذام، وقد آمن بالرسل لما وردوا القرية وحينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان، وظاهر أن الرجل لم يكن ذا جاه ولا سلطان، ولكنها العقيدة الحية فى ضميره تدفعه وتجيء به من أقصى المدينة إلى أقصاها.

وقيل: كان حبيب يعكف على عبادة الأصنام سبعين سنة، ويدعوها لعلها ترحمه وتكشف ضُرَّه! ولكن هل تستجيب الأصنام الصم مهما بالغ الإنسان لها فى الدُّعاء؟! وبقى حبيب يقاسى من الجُذام. وفى أحد الأيام رأى الرسلَ الثلاثة الكرام فَدَعَوْهُ إلى عبادة الله ونَبْذِ عبادة الأصنام. فسأل حبيب الرسل: هل من آية؟!

قالوا: نعم؛ نحن ندعو ربنا القادر فيفرج عنك ما بك.

فقال حبيب: إن هذا لعجيب! إنى أدعو هذه الآلهة سبعين سنة لتفرِّج عني، فلم تستطع فكيف يفرجه ربكم فى غداة - أى صباح -واحدة؟!

قالوا: نعم، ربنا على ما يشاء قدير؛ وهذه الآلهة لا تنفع شيئًا ولا تضر.

فآمن حبيب النجار، فدعا الرسلُ اللهَ فاستجاب لهم، فكشف ما به من مرض، وشفاه من الجذام- والله أعلم -.

❖ لا ينبغي للمسلم أن يبحث عما لا يفيده في قصص القرآن، وفي قصتنا هذه من الأشياء ما لا يليق البحث فيه لمن يبغي الدرس والفائدة؛ فإن اسم القرية ومكانها وزمان القصة وأسماء الرسل أو اسم الرجل وكيفية قتله.. كلها لا تفيدنا في شيء ولا يجب أن نتوقف عندها كثيرًا.

الآيات:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ
أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ
أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ
إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ
لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن
ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ
يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ
ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ

مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى
يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ
مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾

(يس: ١٣ – ٢٩).

البيان:

كان أهل إحدى القرى يعبدون الأصنام من دون الله تعالى، وكانوا يأتون الفواحش والمنكرات فبعث الله تعالى إليهم اثنين من الرسل وشد أزرهما برسول ثالث، لكن أهل القرية كذبوا الرسل واعترضوا على بشريتهم واتهموهم بالكذب وتشاءموا منهم، وكانت الرسل تدعوهم إلى توحيد الله تعالى وعبادته لكن أصحاب القرية هددوهم بالقتل رميًا بالحجارة. وبينما هم على تلك الحال إذ جاء رجل كان قد آمن بالرسل، وكان منزله فى آخر القرية، فدفعه إيمانه لنصرة رسل الله تعالى فنصح قومه بالإيمان بالله تعالى واتباع رسله فهم لا يطلبون منهم أجرًا.

ولم يكن للرجل المؤمن جاه ولا سلطان ولا عشيرة تنصره فإذا بالكفار لعنهم الله يضربونه جميعًا حتى نال الشهادة فى سبيل الله. وعند ذلك تمنى الخير لقومه وهو فى الدار الآخرة أيضًا كما حكى القرآن حيث يقول: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ (يس: ٢٦، ٢٧).

وانتقم الله تعالى من أهل القرية المكذبين للرسل إذ صاح فيهم جبريل عليه السلام صيحة واحدة فماتوا جميعًا فإذا هم خامدون.

أمر الله رسوله ﷺ أن يضربَ بقصة أصحاب القرية مثلاً؛ لعل قريشًا تعتبر بما حدث لهم من الهلاك بسبب كفرهم، وليكون فى ذكرها مثل لرسول الله ﷺ بالرسل الثلاثة الذين أرسلهم الله لهم فيصبر كما صبروا فى دعوتهم لأصحاب القرية، وليكون في هذه القصة أيضًا مثل لأصحاب محمد ﷺ ليقتدوا بهذا الرجلِ المؤمنِ الذى جاء من أقصا المدينة يسعى.

والخزى والهلاك والشقاء والعذابُ فى الدنيا والآخرة لأهلِ الكفرِ والضلال.

قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ (١٣) إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ (١٤)﴾ (يس: ١٣، ١٤).

هذه قريةٌ أرسل الله إليها رسولين - كما أرسل موسى وأخاه هارون - عليهما السلام - إلى فرعون وملئه - فدعا أهل تلك القرية إلى عبادة الله وحده فكذبوهما، فشدّ الله أزرهما برسولٍ ثالثٍ، وتقدم ثلاثتهم من جديد لدعوة أهل تلك القرية: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ (١٤)﴾ (يس: ١٤).

★★ وفى هاتين الآيتين فوائد:

الفائدة الأولى: أنه ما مِنْ قريةٍ إلا أرسل الله إليها رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ (٢٤)﴾ (فاطر: ٢٤).

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (سبأ: ٣٤).

الفائدة الثانية: أن الرسول يتقوى بالرسول الآخر، والرسولين يتعززان بالرسول الثالث، والداعي إلى الله كذلك يتقوى بإخوانه الدعاة إلى الله.

الفائدة الثالثة: الإصرار على الدعوة والتبليغ مهما كانت النتائج.

ولكن ردّ أصحاب القرية على رسلِ الله الثلاثة، قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (يس: ١٥).

أثار أصحاب القرية شبهةً وهي شبهة ((بشرية الرسل)) وبنوا على تلك الشبهةِ نتيجةً خاطئةً وهي أن هؤلاء الرسل كاذبون وليسوا بمرسلين: ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (يس: ١٥).

وهذه هي الشبهة التي واجه بها كل قومٍ رسولهم، واعتبروها مانعًا لهم من تصديقه والإيمان به. قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ﴾ (التغابن: ٦).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ ﴾ (الإسراء: ٩٤).

ردّ رسل الله على افتراءات أصحاب القرية.

قال سبحانه و تعالى: ﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ ﴾ (يس: ١٦، ١٧). أى: أجابتهم رسلهم الثلاثة فقالوا لهم: الله يعلمُ أنّا رسله إليكم، ولو كذبنا عليه لانتقم منا أشد الانتقام، وذلك كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الحاقة: ٤٤ ـ٤٧)، وقالوا هم: ﴿ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ ﴾ (يس: ١٧).

أى: إنما علينا أن نبلغكم ما أُرسلنا به إليكم، وهذه هى مهمتنا وهذا واجبنا. إذًا مهمةُ الرسلِ جميعًا ومهمةُ الدعاةِ إلى الله هى البلاغُ والدعوةُ فقط.

كما قال تعالى على لسان رُسُله: ﴿ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ ﴾ (يس: ١٧).

وكما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الرعد: ٤٠).

وكما قال تعالى عن هود عليه السلام ﴿ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الأعراف: ٦٨).

قال تعالى عن أصحاب القرية: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (يس: ١٨).

التطيرُ (وهو التشاؤم) من الرسلِ ليس خاصًّا بأهل هذه القرية، بل هو سنّةٌ عامةٌ، موقفٌ محدّدٌ مطّردٌ، فما من قومٍ جاءهم رسولٌ إلا تطيروا به وتشاءموا من دعوته.

فها هم قومُ ثمود يتطيرون برسولهم صالح عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ﴾ (النمل: ٤٧).

وقوم فرعون: تطيروا بموسى عليه السلام وبمن معه.

قال تعالى عنهم: ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾ (الأعراف: ١٣١).

وها هم كفارُ مكة يتطيرون بمحمدٍ ﷺ، قال تعالى عنهم: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ﴾ (النساء: ٧٨).

فهذا التطيرُ والتشاؤم من أخلاقِ الكفارِ لرسلِ الله أما التهديدُ بالقتل والرجم والإخراج والتعذيب فهو لغة الكفار.

فها هم أصحابُ القرية يقولون لرسلِ الله: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٨ ﴾ (يس: ١٨).

وها هو فرعون يقول لموسى عليه السلام: ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ۝٢٩ ﴾ (الشعراء: ٢٩).

وها هم قوم نوح عليه السلام يقولون لنبيهم: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ۝١١٦ ﴾ (الشعراء: ١١٦).

وها هم قوم لوطٍ عليه السلام يقولون لنبيهم: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ۝١٦٧ ﴾ (الشعراء: ١٦٧).

ردّ رسلُ اللهِ على تطيرِ أصحاب القرية وتهديدهم.

قال الله عنهم: ﴿ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (يس: ١٩).

أى: قالت الرسل لهم: ليس شؤمكم بسببنا، وإنما شؤمكم بسببكم، وبكفركم، وعصيانكم، وسوءِ أعمالكم، وإسرافكم فى المعاصى والإجرام.

والكفارُ مِلَّتهم واحدة - يتشاءمون من الإسلام ومن دعاة الإسلام، وينفقون أموالهم بالليل والنهار ليشوِّهوا صورة الإسلام ودعاة الإسلام وليصدوا الناس عن سبيل الله كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ ﴾ (الحج: ٧٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الأنفال: ٣٦).

إن الإيمان إذا تمكن من القلوب صنع الرجال.

والإيمانُ إذا ملأ القلوبَ دفعَ أصحابها إلى كل خيرٍ ومنعهم عن كل شر.

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ (يس: ٢٠).

وقال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾ (القصص: ٢٠).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ (غافر: ٢٨).

وقال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ ﴾ (الأحزاب: ٢٣).

وقال تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ۝١٠٨﴾ (التوبة: ١٠٨).

وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧﴾ (النور: ٣٦، ٣٧).

بينما المواجهة قائمةٌ بين رسل الله وأصحاب القرية، جاء رجلٌ مؤمنٌ من أقصا المدينة يسعى وقد دفعه إيمانُهُ إلى الأمرِ بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى الله.

فأخذ هذا الرجل يدعو قومه بلطفٍ إلى الإيمان بالله والاستجابة لرسل الله ويحذرهم من عقاب الله.

والله - عز وجل - يخبرنا عن هذا الرجل المؤمن لنقتدى به فى دعوتنا.

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّيٓ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ۝٢٥﴾ (يس: ٢٠ - ٢٥).

لقد قالها بأعلى صوته: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ۝٢٥﴾ (يس: ٢٥).

قالها لقومه ليتبعوه وقالها للرسل ليشهدوا له بها عند الله يوم القيامة.

وما أن قال ذلك إلا وثب عليه قومه فقتلوه!

• نتيجة الإيمان لأهله في الدنيا:

١- النصر والتمكين:

قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ (الروم: ٤٧).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۝٥١﴾ (غافر: ٥١).

٢- دفاع الله عنهم:

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحج: ٣٨).

و في الآخرة الفوز بالجنة. قال تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ۝٢٧﴾ (يس: ٢٦، ٢٧).

هكذا يفعل الإيمان بأهله فذلك رجل قد نصح قومه حيًّا وميتًا.

قال ابن عباس ﷺ: نصح قومه في حياته بقوله: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝٢٠﴾ (يس: ٢٠). وبعد مماته في قوله: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ۝٢٧﴾ (يس: ٢٦، ٢٧).

و المؤمن الصادق فى إيمانه لا يريد من الناس إلا أن يؤمنوا بالله وحده ليفوزوا بالجنة وينجوا من عذاب الله. و المؤمن دائمًا لا يتطلعُ إلى الدنيا الفانية و إنما يرجو ما عند الله لأن الله يقول: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ (النحل: ٩٦).

ويقول الله ـ سبحانه ـ: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (العنكبوت: ٦٤).

● أما نتيجة أهل الكفر فى الدنيا والآخرة:

أما فى الدنيا: فالهلاك والدمار والعذاب كما فُعل بأصحاب القرية:

قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (يس: ٢٨، ٢٩).

وقال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (العنكبوت: ٤٠).

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (هود: ١٠٢).

وقال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (فصلت: ١٦).

وأما في الآخرة: فالعذاب الأليم في دار الجحيم:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ (فاطر: ٣٦).

وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (القلم: ٣٣).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ (الأحزاب: ٦٤ ـ ٦٨).

وقال تعالى: ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ (البقرة: ٩٠).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ (آل عمران: ١٧٨).

وقال تعالى: ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَن يُرِدِ

ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ (المائدة: ٤١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ (المائدة: ٣٣).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ (البقرة: ١١٤).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (آل عمران: ١٧٦).

وقال تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الأنفال: ٦٨).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (النور: ٢٣).

ويختم سبحانه وتعالى - قصة أصحاب القرية بآيات فيها تحذير وتذكير؛ قال تعالى: ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (يس: ٣٠ ـ ٣٢).

عبر ودروس هادية وفوائد إيمانية
من قصة أصحاب القرية

يقول الله ـ عز وجل ـ في كتابه: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣) ﴾ (هود: ١٢٠ـ ١٢٣).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠٩) حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠) لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١) ﴾

(يوسف: ١٠٩ ـ ١١١).

⇦ الداعي إلى الله يتقوى بإخوانه الدعاة:

ونأخذ هذا من قصة أصحابِ القرية من قوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا ﴾ (يس: ١٣، ١٤) -أي: فقوينا: ﴿ بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤) ﴾

(يس: ١٤).

● ويؤخذ هذا أيضًا مما يلي:

عندما أمر الله موسى عليه السلام أن يذهبَ إلى فرعون سأل موسى ربه أن يقويه ويعينهُ بأخيهِ هارون فاستجاب الله له. قال تعالى: ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٢٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) ﴾ (طه: ٢٤ ـ٣١)، إلى قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ (٣٦) ﴾ (طه: ٣٦).

وفي موضع آخر قال موسى عليه السلام لربه: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا ﴾ ـ أي: معينًا ـ ﴿ يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (٣٤) ﴾ (القصص: ٣٤).

فاستجاب الله له وأعطاه طلبه فقال تعالى: ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ (القصص: ٣٥) ـ أي: سنقويك ونُعينُكَ به.

ونأخذُ هذا من قصةِ أصحابِ القريةِ من قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) ﴾ (يس: ١٤، ١٥).

إن تكذيب الرسل أسلوبٌ قديمٌ أخذت به الأممُ الكافرة لرد دعوة الرسل.

قال تعالى: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤) ﴾ (ص: ١٤).

وقومَ نوح قال الله عنهم: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) ﴾ (القمر: ٩).

. وقال نوحٌ عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾﴾ (الشعراء: ١١٧).

وكفار مكة يرمون رسول الله ﷺ بالكذب.

قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾﴾ (ص: ٤).

والله ـ عز وجل ـ يقول لرسوله ﷺ مطمئنًا قلبه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ (الأنعام: ٣٣، ٣٤).

ويقول له أيضًا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ (النمل: ٧٨ ـ ٨١).

فالكفار يكذبون الرسل ودعاة الإسلام ليردوا الحق الذى جاءوا به مع أنهم يعلمون أن الرسلَ ودعاة الحق جاءوا بالحق من عند ربهم.

قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ (النمل: ١٤).

⇦ التَّطَيُّرُ خلقٌ ذميمٌ من أخلاق الجاهلية وهو شِركٌ وحرام:

ويؤخذ هذا من قصةِ أصحابِ القريةِ من قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ (يس: ١٨).

وهذا ما قالتهُ ثمود لنبيهم صالح عليه السلام:

﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ﴾ (النمل: ٤٧).

وهذا ما فعلهُ فرعون وقومهُ مع موسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١) ﴾

(الأعراف: ١٣١).

وهذا ما فعلهُ كفارُ مكة مع رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨) ﴾

(النساء: ٧٨).

⇦ طريقُ المرسلين هو الطريقُ الوحيدُ للوصول إلى رضا رب العالمين وإلى جنات النعيم.

يُؤخذ هذا من قصة أصحابِ القريةِ من قول الرجل المؤمن الذى جاء من أقصى المدينة يسعى فقال لقومه: ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١) ﴾ (يس: ٢٠، ٢١).

الطريق الوحيد الذى يوصلُ إلى رضا رب العالمين وإلى جنات النعيم وإلى الفوز العظيم هو طريق المرسلين وذلك لأنّ دعوة الرسلِ تمتازُ بمزايا كثيرة منها:

١- أنها دعوة ربانية:

أي: ليست من عند أنفسهم، ولا من هواهم، ولا من عقولهم وإنما هي وحي من الله.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ (الأنبياء: ٢٥).

وإذا أنزل الله إلى رسوله وحيًا أمرهُ أن يبلغهُ إلى الناس كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (المائدة: ٦٧).

وقال تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ (النجم: ٣، ٤).

ولذلك عندما طلب كفار مكة من رسول الله ﷺ أن يأتي لهم بقرآنٍ غير هذا القرآن أو يُبدله قال لهم: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾﴾ (يونس: ١٥).

ولما طلبوا منه حلاً يُرضي الطرفين فقالوا: نعبد إلهك يومًا وتعبد آلهتنا يومًا فأمرهُ الله أن يقول لهم:

﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾

(الزمر: ٦٤، ٦٥).

فدعوةُ الرسلِ دعوةٌ ربانيةٌ معصومةٌ، لأنها تقوم على الوحى من عند الله - سبحانه و تعالى- أما الدعوة التى تقوم على الهوى والأفكار الخَرِبة فهى دعوة باطلةٌ كاذبةٌ سرعان ما تزول.

٢- أنّ أصحابها لا يطلبون أجرًا على دعوتهم:

ولذلك قال الرجلُ الذى جاء من أقصى المدينة يسعى لقومه: ﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١﴾

(يس: ٢٠ ، ٢١).

الأنبياءُ جميعًا لا يطلبون من الناسِ أجرًا على دعوتهم، ولا يتطلعون إلى دنياهم الفانية، ولا إلى مناصبهم الزائلة.

و نوحٌ عليه السلام يقول لقومه:

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ (هود: ٢٩).

و هودٌ عليه السلام يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٥١﴾ (هود: ٥١).

ورسولُنا ﷺ يأمره الله أن يقول لقومه: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٥٧﴾ (الفرقان: ٥٧).

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾ (ص: ٨٦).

فدعاةِ الحقِ لا يسألون الناس أجرًا على دعوتهم ولا يتطلعون إلى الدنيا الفانية، وإنما همهم أن يدخل الناس فى دين الله أفواجًا، وأن يعبدوا الله وحدهُ ليفوزوا بجنة عرضها السموات والأرض، فهم أعلمُ الناس بالحق وأرحمُ الناس بالخلق.

ويظهر ذلك من قصة أصحاب القرية من الرجل الذى جاء من أقصى المدينة يسعى يقول لقومه: ﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠﴾ (يس: ٢٠). وحتى بعدما قتلوه قال: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٧﴾ (يس: ٢٦، ٢٧).

فنصحهم حيًّا وميتًا، ورحمهم حيًّا وميتًا.

٣- أنها دعوةٌ قائمةٌ على العلم والفهمِ والحكمةِ والرحمةِ والبساطةِ:

وهذا يظهرُ من قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢﴾ (يس: ٢٠ ـ ٢٢).

سبحانه و تعالى يقولُ لرسوله ﷺ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٢٥﴾ (النحل: ١٢٥).

ويقولُ له أيضًا: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾ (ق: ٤٥).

فكان رسولُ الله ﷺ إذا جاءهُ الرجل من الكفار يقرأ عليه القرآن فيُسلِم.

فدعوةُ الرسلِ دعوةٌ فطرية تقبلُها الفطرةُ السليمة والعقل السليم.

٤- أنها دعوةٌ واضحةٌ لا غموض فيها، وهذا يظهر من دعوة الرجل المؤمن لأصحاب القرية:

وقد قال تعالى لرسوله ﷺ ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (يوسف: ١٠٨).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (فصلت: ٣٣).

٥- أنها دعوةٌ تهتمُّ بالتوحيد أولاً والتحذير من الشرك:

وهذا يظهرُ جليًّا في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ (يس: ٢٢ - ٢٥).

وما من نبى جاء إلى قومه إلا وقال لهم:

﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ (الأعراف: ٥٩).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (النحل: ٣٦).

الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ (الأعراف: ٥٩).

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ (الأنبياء: ٢٥).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ (النحل: ٣٦).

الأمانة في تبليغ الرسالة مهما كان أثرها في النفس أو المجتمع: كما ورد على لسان عدد من الأنبياء:

قال تعالى: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾﴾ (الشعراء: ١٤٣).

وقال تعالى: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (المائدة: ٦٧).

الانطلاق في دعوة الناس من مبدأ الأخوة الإنسانية:

كما قال تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ (الأعراف: ٦٥).

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ (الأعراف: ٧٣).

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (الأعراف: ٨٥).

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الشعراء: ١٠٦).

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الشعراء: ١٦١).

و إبراهيم عليه السلام يقول لقومه: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (الشعراء: ٧٠-٨٣).

وحتى يوسف عليه السلام في داخل السجن كان يدعو المساجين إلى عقيدة التوحيد ويحذرهم من الشرك. قال تعالى على لسانه: ﴿ يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ

ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

(يوسف: ٣٩، ٤٠).

دعوةُ الرسلِ دعوةٌ معصومة، وطريق الرسل طريقٌ يوصل إلى رضا الله والجنة ولذلك بعد أن ذكر الله أنبياءه ورسله لرسوله ﷺ قال: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (الأنعام: ٩٠).

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (النحل: ١٢٣).

سبحانه وتعالى يقول لنا: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢١).

فعلينا أن نسلُكَ سبيلَ الله وهو سبيل المؤمنين الصادقين من الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، ومن سلك سبيلاً غير سبيل المؤمنين خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين!

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾

(النساء: ١١٥).

ويؤخذ من قصة أصحاب القرية في قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٥٦﴾ (يونس: ٥٦). وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٣٢﴾ (يس: ٣٢).

الموتُ حقٌّ كتبهُ الله على الجميع، على المؤمن والكافر.

فالمؤمن ينتقلُ بالموتِ إلى جنة القبر ثم إلى جنةِ الخلدِ.

والكافرُ ينتقلُ بالموتِ إلى عذاب القبر ثم إلى عذاب جهنم.

قال تعالى عن الرجل المؤمن الذى جاء من أقصى المدينة يسعى بعد أن قتله قومه: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٧﴾ (يس: ٢٦، ٢٧).

وقال تعالى عن أصحاب القرية الكفار الذين قتلوا ذلك الرجل وكذبوا برسل الله: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ۝٢٩ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٣٠﴾ (يس: ٢٩، ٣٠).

وقال تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ۝٢٥﴾ (نوح: ٢٥).

ويوم القيامة وعند الله تجتمع الخصوم.

يجتمع القاتل مع المقتول، والظالم مع المظلوم، وهناك تُردُّ الحقوق إلى أصحابها وتُنصبُ الموازين للقضاء. قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ (الأنبياء: ٤٧).

هناك يعضُّ الظالم على يديهِ ويندمُ، وهناك يتحسرُ المجرم فى وقت لا ينفع فيه ندمٌ ولا حسرةٌ. قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (سبأ: ٣١ ـ ٣٣).

وقال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الأنعام: ٣١).

وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾ (آل عمران: ٩).

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ (النساء: ٨٧).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

(الأنعام: ١٣٤)

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ (إبراهيم: ٤٨).

وقال تعالى: ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

(النحل: ٢١)

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ (الكهف: ٤٧).

وقال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾

(الأنبياء: ١)

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ (الحج: ١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ (الحج: ٥٥).

وقال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ ﴾

(الفرقان: ١١)

وقال تعالى: ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ ﴾ (غافر: ٣٢).

وقال تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (الدخان: ١٠).

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الجاثية: ٢٧).

وقال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾ (محمد: ١٨).

وقال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (ق: ٢٠).

وقال تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾ (القمر: ١).

وقال تعالى: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (المطففين: ٤ – ٦).

(١٣) مؤمن آل فرعون

أهداف القصة:

١- التأكيد على أهمية نصرة الحق.

٢- التعريف ببعض آداب الدعاء.

٣- بيان أهمية الإيجابية فى حياة المسلم.

٤- التعريف ببعض نماذج الفداء والتضحية.

٥- التحذير من الخذلان والسلبية.

الآيات:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ (غافر: ٢٣ - ٢٨)، إلى قوله تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ۖ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ (غافر: ٤٤ - ٤٦).

البيان:

بينما كان فرعون مصر ومن حوله يكذِّبون نبي الله موسى عليه السلام إذ كان ابن عم لفرعون يؤمن بالله تعالى ولم يكن يعلم بإيمانه أحد، فلما رأى أن فرعون يريد قتل نبي الله موسى عليه السلام أخذ ينصح فرعون وملأه بأن: صدق موسى عليه السلام لكم وكذبه عليه، وبدأ يخوِّفهم من عذاب الله وحرمانهم

من ملكهم وعزهم، وأخذ يذكّرهم بمصير الأمم التى كانت قبلهم، وبأن الدنيا متعة فانية، وأن الآخرة هى دار القرار يثاب فيها المؤمنون بالخلود فى الجنة، بينما يخلد الكفار فى نار جهنم.

ووسط هذا النصح والإرشاد بطريق غير مباشر ليبدو بشكل محايد من رجل لا يظهر إيمانه بل يظهر عدله وفطنته إذ بفرعون يزداد تكبرًا ويطلب من وزيره هامان أن يبنى له صرحًا يصعد به إلى السماء ليرى إله موسى.

ورغم ذلك فقد استأنف الرجل المؤمن نصحه حتى أعلنها صراحة بأنه يفوض أمره إلى الله.

⇦ المستخلص عن قصةِ مؤمنِ آل فرعون سيكون حولَ العناصر التالية:

العنصر الأول: قصة الصراع بين الإيمان والكفرِ .

العنصر الثانى: موازين أهل الباطل مقلوبةٌ معكوسةٌ.

العنصر الثالث: نصيحةُ مؤمنٍ فيها تذكيرٌ وتحذيرٌ .

- العنصر الأولُ : قصة الصراع بين الإيمان والكفر.

الصراعُ بين الإيمان والكفر، والحق والباطل، والهدى والضلال.

وفى قصة مؤمن آل فرعون يتمثلُ الإيمانُ فى موسى ﷺ وفى هذا الرجلِ الذى كان يكتم إيمانهُ. ويتمثل الكفرُ فى فرعون وملإه. فقابل الكفار - فرعون وقومه - الحقّ الذى جاء به موسى ﷺ بالتكذيب والتهديد والقتل.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥)﴾ (غافر: ٢٣ - ٢٥).

الصراعُ بين الإيمان والكفر قصتُهُ واحدةٌ وإن اختلف الأفراد من الطغاة والجبابرة أو من المؤمنين، فالصراع واحدٌ، وأدلةُ أهل الإيمان على إيمانهم واحدةٌ، وشبهاتُ الطغاةِ والجبابرة واحدةٌ، كما أن النهاية تكون كذلك.

فالباطل ينتفشُ ويستعرضُ بعضلاته وأسلحته ويبدو بأسبابه الأرضية كأنه على كل شيء قدير، يبدو وكأن أحدًا لا يقدرُ عليه، ولكن عندما يواجه بالحقّ الذى يستمد قوته من الله - عز وجل - إلا وتكون العاقبة للمتقين، والهلاك والعذابُ للطغاة والمتكبرين.

ويظهرُ ذلك من قصةِ أصحاب القرية، ومن قصة موسى عليه السلام مع فرعون، وفى سورة الشعراء نبهنا ربنا - جل وعلا - إلى الصراع بين الحق والباطل، والإيمان والكفر وبين لنا أن العاقبة للحق وأهله دائمًا، وأن الهلاك للباطل وأهله دائمًا.

ففى نهاية كلِّ قصةٍ يقول الله - عز وجل -: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩)﴾ (الشعراء: ١٣٩).

- العنصر الثانى: موازين أهلِ الباطلِ مقلوبةٌ معكوسةٌ.

فرعون الذى قال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤)﴾ (النازعات: ٢٤)، وقال لهم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ (القصص: ٣٨).

فرعون المفسدُ فى الأرض بنص القرآن الذى قال الله تعالى عنه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ (القصص: ٤)، أصبح غيورًا على الدين، حارسًا له من التغير والتبديل الذى يهدده على يدى موسى عليه السلام! وأصبح فرعون داعية إصلاح وخير وأمن! حتى إنه يتهم موسى عليه السلام بتغير الدين والإفساد فى الأرض! .

قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ (غافر: ٢٦).

وقال فى موضعٍ آخر: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ (غافر: ٢٩).

وقال تعالى عن قوم فرعون: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ (الأعراف: ١٢٧).

إنها موازين الباطل المعكوسة والتى ينخدع بها من لا عقل له، فهذا فرعون الذى يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ (غافر: ٢٩).

يقول الله ـ عز وجل ـ مكذبًا له: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ (طه: ٧٩).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾ (هود: ٩٦ ـ ٩٨).

فها هم الذين انخدعوا بموازين أهل الباطل المقلوبة واتبعوهم يدخلون معهم النار، ويندمون فى وقتٍ لا ينفع فيه الندم.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ (الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٨).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ ﴾

(غافر: ٤٧، ٤٨).

و قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

(البقرة: ١١ ـ ١٣).

- العنصرُ الثالثُ: نصيحة مؤمنٍ فيها تذكيرٌ وتحذيرٌ:

قال ابن عباس رضي الله عنه: لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل؛ وامرأة فرعون، وهو الذى قال: ﴿ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (القصص: ٢٠).

وقد كان يكتم إيمانه عن قومه فلم يُظهِر إلا هذا اليــومَ حــين قال فرعون: ﴿ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ ﴾ فأخذت الرجل غضبةٌ لله ـ عز وجل ـ كما ثبت بذلك الحديث: ((أفضل الجهادِ كلمةُ عدلٍ ((وفى رواية: حقٍّ)) عند سلطانٍ جائر))[1].

ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهى قوله: ﴿ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ ﴾ (غافر: ٢٨)، أى: كيف تقتلون رجلاً لكونه يقول ربى الله وقد أقام لكم البرهان تلو البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق؟!

الإيمانُ إذا ملأ القلوب صنع الرجال ودفعهم إلى كلِّ خيرٍ ومنعهم من كلِّ شرٍ.

ومــن أصــحاب محمــد ﷺ الــذى يظهــرُ إيمانــهُ وهــو يــدافع عــن رسول الله ﷺ فى الوقت الذى لم يستطع فيه أحدٌ أن يدافع عنه.

إنه: أبو بكر الصديق ﷺ أفضلُ هذه الأمة بعد نبيها وأحب الناس إلى رسول الله ﷺ، وصاحبه فى الغار.

فهذا الرجل المؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه مع ذلك عندما سمع بقرار فرعون الجائر تقدم إلى قومه بنصيحة فيها تذكيرٌ وتحذير.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد وأبو داود (٤٣٤٤)، والترمذي (٢١٧٤)، وابن ماجه (٤٠١١)، وابن الجعد (٣٣٢٦)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٦/٩٣)، ((الصحيحة)) (٤٩١).

فقال تعالى على لسانه: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ (غافر: ٢٨).

كيف تقتلون رجلاً لكونه يقول: ربى الله وقد جاءكم بالبينات العظيمة التى عهدتموها وشهدتموها وهى دليل ساطع على أنه رسول من عند الله ﷻ.

ثم ذكرهم ببأس الله الذى ينزلُ بالظلمةِ الذين يقفون فى وجه رسل الله ودعوتهم إلى الله، فقال: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ﴾ (غافر: ٢٩).

فهو يحذرهم أن يُسلبوا ما هم فيه من الملك، فإنه ما تعرضت دولةٌ للدين إلا وسُلب أهلها ملكهم، وذلوا من بعد عزهم.

فعقّب فرعون على كلام هذا الرجل.

قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ (غافر: ٢٩)، أى: إن الذى أدعوكم إليه من قتل موسى هو سبيلُ الرشاد، وهو السبيلُ للحفاظ على الدين والأمنِ.

بدأ الرجل المؤمن الذى يكتم إيمانه يتكلم، ولكنه فى هذه المرة يُحذِّرُ ويُخوِّف ويُذكِّر قومه بالأمم الظالمة التى كانت قبلهم.

أممٌ علت فسقطت، وظلمت فهلكت، وسادت فبادت، وكأنه يقول لهم: العاقل من اتعظ بغيره.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾
مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ
إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ
ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا
جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ
يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ
أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ
مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ (غافر: ٣٠ ـ ٣٥).

بعدما خوّف هذا الرجل المؤمن قومه وذكّرهم بعذاب الدنيا الذى يحل بالظلمة الذين يعتدون على أولياء الله، وذكرهم بعذاب الآخرة، قام فرعون يتكلم ولكنه فى هذه المرة أخذ يستهزئ ويسخر من موسى عليه السلام وأخذ الخبيث يعرض حيلة خبيثة يُشغل الناس بها عن الإيمان بموسى عليه السلام.

قال تعالى على لسانه: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ
ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى
تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (غافر: ٣٦، ٣٧).

لما تكلم فرعون وعرض فكرته الخبيثة على الناس قام الرجل المؤمن يتكلم ولكنه فى هذه المرة أظهر إيمانه وأخذ يبين سبيل الرشاد للناس بكل شجاعةٍ.

قال تعالى على لسانه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾ ﴾ (غافر: ٣٨ ـ ٤٠).

الرجل المؤمن بيَّن للناس سبيلَ الرشاد، وبيَّن الأسباب التى تساعد على سلوكه وهى معرفة حقيقة الدنيا والآخرة، فمن زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة ثبت على هذا السبيل، ومن ركن إلى الدنيا وأحبها ونسى الآخرة حُرم هذا السبيل، ثم ذكَّرهم بما أُعد للصالحين والطالحين من النعيم والعذاب عند الله يوم القيامة.

ثم قال لهم: ﴿ ۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ (غافر: ٤١ ـ ٤٤).

فلما تبين لفرعون وقومه أن هذا الرجل قد آمن بموسى عليه السلام واتبع سبيله مكروا به وكادوا له.

قال تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (غافر: ٤٥، ٤٦).

وهذه هى نهاية الكفر: العذاب فى الدنيا ـ كان هنا الغرق ـ ثم منه إلى عذاب ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ ﴾ (غافر: ٤٦)، وبئس المصير ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (غافر: ٤٦).

وفى جهنم يلعن الكفار بعضهم بعضًا، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الأعراف: ٣٨).

عبر ودروس هادية وفوائد إيمانية
من قصة مؤمن آل فرعون

أولاً- ومن يتوكل على الله فهو حسبه :

قال تعالى :﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (الطلاق : ٢ ، ٣).

أى : فهو كافيه وناصره وحافظه.

وقال تعالى :﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٦ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ۝٣٧ ﴾ (الزمر : ٣٦ ، ٣٧).

لمّا أصدرَ فرعونُ قراره الجائر بقتل موسى عليه السلام فقال :﴿ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ﴾ وصل الخبر إلى موسى عليه السلام فاستعاذ موسى بربه وتوكل عليه.

قال تعالى :﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٢٧ ﴾ (غافر : ٢٧).

من توكَّل على الله فهو حسبه، ومن استعاذ بالله أعاذه، ومن احتمى بالله حماه، ومن استنصر بالله نصره، ومن اعتز بالله أعزه.

فلما استعاذ موسى عليه السلام بربه ولجأ إليه وتوكل عليه كفاه شرَّ فرعون.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦٨﴾ (الشعراء: ٦١ ـ ٦٨).

هود عليه السلام عندما هدده قومه توكل على الله والتجأ إليه.

قال تعالى على لسان هود عليه السلام: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ (هود: ٥٤ ـ ٥٦).

لما توكل هودٌ عليه السلام على الله كفاه الله شرَّ قومه ونجاهُ.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٨﴾ (هود: ٥٨).

وإبراهيم عليه السلام توكل على ربه عندما ألقاه قومُه في النار فأنجاه الله منها.

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ (الأنبياء: ٦٩ ـ ٧١).

ومحمدٌ ﷺ عندما كاد به المشركون وجمع له الناسُ توكل على الله.

قال تعالى عن محمد ﷺ وأصحابه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ (آل عمران: ١٧٣، ١٧٤).

يقول ابنُ عباس ﷺ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا:

﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[1] (آل عمران: ١٧٣).

ثانيًا- نصرة المظلوم واجبةٌ:

نأخذه من موقف مؤمن آل فرعون في نصرته لموسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ﴾ (غافر: ٢٨).

نصرةُ المسلم المظلوم حق من حقوق المسلم على أخيه المسلم.

قال ﷺ: ((المسلمُ أخو المسلمِ، لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُهُ))[2].

لا يُسلمُهُ: أي: لا يسلمهُ إلى عدوه.

وقال ﷺ: ((انصرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا)).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٥٦٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

فقال رجلٌ: يا رسول الله ! أنصرهُ إذا كان مظلومًا أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أنصرُهُ؟!

قال ﷺ: ((تَحْجِزُه أو تَمنَعُه - من الظلم - فإن ذَلِكَ نَصْرُهُ)).

ثالثًا- أن يومَ القيامة هو يومُ التناد والحسرةِ والندامةِ:

نأخذُه من نصيحة مؤمنِ آلِ فرعون من قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾﴾ (غافر: ٣٢، ٣٣).

يوم القيامة هو يومُ التناد.

حيث ينادى الكفار على أنفسهم بالويل قال تعالى عنهم: ﴿يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ (الأنبياء: ٩٧).

وينادى مَنْ أخذ كتابه بيمينه فيقول: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾﴾ (الحاقة: ١٩، ٢٠).

وينادى مَنْ أخذ كتابه بشماله فيقول: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾﴾ (الحاقة: ٢٥ - ٢٩).

وينادى أصحابُ الجنة أصحابَ النار: ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ﴾ (الأعراف: ٤٤).

وينادى أصحابُ النار أصحابَ الجنة: ﴿أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ (الأعراف: ٥٠).

ويومُ القيامة هو يومُ الحسرةِ والندامة.

قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ (الزمر: ٥٦).

وقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾

(الأنعام: ٣١).

يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ (غافر: ٣٣).

قال تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (سبأ: ٣٣).

قال تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾

(القيامة: ١٠ - ١٥).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ (عبس: ٣٣ - ٣٧).

وليوم القيامة أكثر من ثمانين اسمًا وأشهر أسماء يوم القيامة:

- يوم القيامة: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ (النساء: ٨٧).

• يوم التغابن: قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ (التغابن: ٩).

• يوم التلاق: قال تعالى: ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ ﴾ (غافر: ١٥)، لأنه يلتقى فيه العباد ليحاسبهم الله جميعًا على كل ما قدموه.

• الغاشية: قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ ﴾ (الغاشية: ١)، وسميت بذلك لأنها تغشى الناس بإفزاعها وأهوالها.

• اليوم الآخر: قال تعالى: ﴿ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (البقرة: ٢٣٢).

• الساعة: قال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾ (غافر: ٥٩).

• يوم البعث: قال تعالى: ﴿ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ ﴾ (الروم: ٥٦).

• يوم الدِّين: قال تعالى: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ (الفاتحة: ٤).

• يوم الحسرة: قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ (مريم: ٣٩).

• الدار الآخرة: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (العنكبوت: ٦٤).

• يوم التناد: قال تعالى: ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ ﴾ (غافر: ٣٢)، وسمى بذلك لكثرة ما يحصل من نداء فى ذلك اليوم.

• يوم الفصل: قال تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الصافات: ٢١).

• يوم الجمع: قال تعالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (الشورى: ٧).

• يوم الحساب: قال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾﴾ (ص: ٥٣).

• يوم الوعيد: قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾ (ق: ٢٠).

• يوم الخلود: قال تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾ (ق: ٣٤).

• يوم الخروج: قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ (ق: ٤٢).

• الواقعة: قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾ (الواقعة: ١).

• الحاقّة: قال تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾﴾ (الحاقة: ١ – ٣)، وسميت بذلك لأنها يتحقق فيها الوعد والوعيد.

• الطامة الكبرى: قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ النازعات: ٣٤، وسميت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفزع.

• الصاخّة: قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾ (عبس: ٣٣).

• الآزفة: قال تعالى: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾ (النجم: ٥٧)، وسميت بذلك لاقترابها.

• القارعة: قال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾ (القارعة: ١ – ٣)، وسميت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها وشدائدها.

رابعًا- الدنيا دارُ مَنْ لا دار له، والآخرةُ هي دارُ القرار:

وهذا نأخذُهُ من نصيحة مؤمنِ آل فرعون، قال تعالى على لسانه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ (غافر: ٣٨ ـ ٤٠).

الدنيا دارُ من لا دار له وإليها يركنُ من لا عقل له والله سبحانه وتعالى يحذر منها.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾ (فاطر: ٥).

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾

(النازعات: ٣٥ ـ ٣٩).

والله سبحانه وتعالى يصفها لعباده حتى لا يغتروا بها.

قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الحديد: ٢٠).

فها هو فرعون اغتر بدنياهُ فقال لقومه: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ (الزخرف: ٥١)؛ أهلكه الله فى اليم وجعل المياه تجرى من فوقِ رأسهِ جزاءً وفاقًا ولا يظلم ربك أحدًا، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

ليس للمرء بعد هذه الدنيا مِنَ دارٍ إلا الجنة أو النار، والنعيمُ فى الجنة دائمٌ لا ينقطع والعذاب فى النارِ أيضًا دائمٌ لا ينقطع. فالآخرة هى دارُ القرار.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ (الجاثية: ١٥).

وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾

(النمل: ٨٩، ٩٠).

خامسًا - المكرُ السَّيِّئُ لا يحيقُ إلا بأهلهِ:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ﴾ (فاطر: ٤٢، ٤٣).

لما نصحَ مؤمنُ آل فرعون قومه كَادَ له فرعونُ وقومهُ ومكروا به فنجاهُ الله من مكرهم وحاقَ المكرُ السيِّئُ بهم.

قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ (غافر: ٤٥).

وقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٠) ﴾ (القصص: ٣٩، ٤٠).

وقال تعالى: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٩١) فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ (٩٢) ﴾

(يونس: ٩١، ٩٢).

قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ (٥٣) ﴾ (النمل: ٥٠ - ٥٣).

سادسًا - عذابُ القبرِ ونعيمهُ حقٌّ لا مرية فيه:

وهذا نأخذه من قوله تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ (٤٥) ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ (٤٦) ﴾

(غافر: ٤٥، ٤٦).

قال تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ (٤٥) ﴾ (غافر: ٤٥).

أي: ونزل بفرعون وقومهِ أسوأ العذاب، وهو الغرقُ في الدنيا ثم: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾، أي: النارُ يحرقون بها صباحًا ومساءً.

قال المفسرون: المرادُ بالنار هنا نار القبر وعذابهم في القبور، بدليل قوله تعالى بعده: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

فالعذاب الذى انتقل إليه فرعون وقومه بعد الغرق هو عذاب القبر قال تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ (نوح: ٢٥).

عذاب القبر ونعيمهُ حقٌّ لا يُنْكِرُهُ إلا مبتدعٌ ضالٌّ هالكٌ؛ وذلك لأنّ عذابَ القبرِ ونعيمه ثابتٌ بالكتاب والسنة.

أما في كتاب الله، ففى قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ (غافر: ٤٦) وهذا هو عذابُ القبر.

وقال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ (يس: ٢٦، ٢٧)، وهذه الجنة التى دخلها ذلك الرجل بعد موته هى جنة القبر.

وقال ﷺ لأصحابه: ((تعوذوا بالله من عذاب القبر))، فقالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر[1].

---

(١) صحيح: وهو جزء من حديث طويل عند مسلم (٢٨٦٧).

وكان ﷺ يدعو فى صلاته فيقول: ((اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر..))[1].

وأمر أصحابَهُ و أُمتهُ أن يستعيذوا بالله من عذاب القبر فى صلاتهم.

فقال ﷺ: ((إذا فرغ أحدُكم من التشهد الأخير، فليتعوذ بالله من أربع: يقول اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال))[2].

سابعًا - فاعتبروا يا أولى الأبصار، والعاقل مَن اتعظَ بغيره.

على العاقل أن يعتبر ويتعظ بهلاك ومصرع المجرمين، وهذا نأخذه من قوله تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (غافر: ٤٥، ٤٦).

وقال تعالى: ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةًۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الشعراء: ٦٥ - ٦٨).

وقال تعالى: ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ (الحشر: ٢).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٥٨٨)، وأبو داود (٩٨٣)، والنسائي (١٣١٠)، وابن ماجه (٩٠٩)، ((صحيح الجامع)) (٦٩٩).

وقال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾﴾ (الأنعام: ٦).

وقال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (العنكبوت: ٤٠).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ (الفجر: ٦ - ١٤).

وقال تعالى عن هلاك قوم لوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ (هود: ٨٢، ٨٣).

وقال تعالى لكفار مكة ليعتبروا بهلاك قوم لوط: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ (الصافات: ١٣٧، ١٣٨).

جعل الله هلاك القرى الظالمة والمجرمين آيةً ليعتبر بها أولوا الألباب.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ (العنكبوت: ١٤، ١٥).

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ ﴾ (هود: ١٠٠)، إلى قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ﴾ (هود: ١٠٢، ١٠٣).

وقال تعالى عن هلاك فرعون: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ ﴾ (يونس: ٩٢).

(١٤) أصحاب الجنة

أهداف القصة:

١- التنبيه إلى أهمية أداء حق الله تعالى فى المال.

٢- التذكير بأهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٣- إلقاء الضوء على بعض آثار معصية الله تعالى واتباع الأهواء.

٤- التحذير من عواقب الظلم.

٥- التحذير من التعاون على المعصية.

٦- التأكيد على أهمية شكر نعمة الله تعالى قولاً وعملاً.

٧- استشعار الرحمة بالفقراء والرقة لحالهم.

٨- التأكيد على أهمية نشر التكافل بين الناس فى المجتمع.

٩- النظر إلى الفقراء بعين التواضع لا بعين الطغيان والتجبر.

١٠- التعرف على أهمية تربية الأبناء تربية سليمة متكاملة.

١١- التحذير من الخوض مع الخائضين والجلوس مع العصاة بعد نصحهم.

الآيات:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا
يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ
﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ
عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ
﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ
﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (القلم: ١٧ - ٣٣).

قصةُ أصحاب الجنةِ لا يكاد يخلو من مِثلها زمانٌ ولا مكانٌ فهى تتكرر في كل يومٍ.. إنها قصةُ الحرصِ على الدنيا وزينتها الفانية وعدم الإحساسِ بآلام الفقراء واليتامى والمساكين الذين أوجبَ الله لهم الحقّ فى هذا المال، - الذى يجمعه الأغنياءُ - قال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٦) ليعيش المجتمع المسلم فى وئام ومحبة، وليخرج الغلُّ والحقدُ والحسدُ من قلوب الفقراء على الأغنياء؛ فإن الغنى إذا أخرج زكاةَ مالهِ وأعطاها للفقير فإن هذا الفقير بدلاً من أن يحسد الغنى ويحقدَ عليه فإنه يدعو الله له بأن يوسعَ عليه ويبارك له فى ماله.

البيان:

كان لرجل مسلم بستان فيه من أنواع النخيل والزروع والثمار، وكان إذا حان وقت الحصاد دعا الفقراء فأعطاهم نصيبًا وافرًا منه، وأكرمهم غاية الإكرام، فلما مات الأب ورثه أبناؤه الثلاثة فقالوا: عالينا[1] كثير والمال قليل ولا يمكننا أن نعطى المساكين كما كان يفعل أبونا، فتشاوروا فيما بينهم وعزموا على ألا يعطوا أحدًا من الفقراء شيئًا، وأن يجنوا الثمر وقت الصباح خفية، وحلفوا على ذلك، فأرسل الله تعالى نارًا على الحديقة ليلاً أحرقت الأشجار وأتلفت الثمار، فلما أصبحوا ذهبوا إلى حديقتهم، فلم يروا فيها شجرًا ولا ثمرًا، فظنوا أنهم أخطأوا الطريق، ثم تبين لهم أنها بستانهم وحديقتهم، وعرفوا أن الله تعالى عاقبهم بنيتهم السيئة، فندموا وتابوا بعد أن فات الأوان.

⇦ المستخلص عن قصة أصحاب الجنة سيكون حول العناصر التالية:

- **العنصر الأول:** الابتلاءُ سُنةُ اللهِ فى خلقه.
- **العنصر الثانى:** هكذا يفعلُ البخلُ بأهلهِ.
- **العنصرُ الثالث:** ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝٣٣﴾ (القلم: ٣٣).

(١) أي: ما علينا من النفقات.

- العنصرُ الأولُ: الابتلاءُ سنة الله فى خلقهِ .

الإنسانُ خُلِقَ فى هذه الدنيا للامتحانِ والابتلاء .

قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ (الإنسان: ٢)، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك: ٢)، وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ (العنكبوت: ٢ ، ٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ (البقرة: ١٥٥).

والابتلاء يكونُ بالسراء والضراءِ، وبالحسناتِ والسيئاتِ، وبالخير والشرِّ، وبالفقرِ والغنى.

قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ (الأعراف: ١٦٨).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (الأنبياء: ٣٥).

فهذا سليمان عليه السلام أنعم الله عليه بنعم كثيرة، فقال عليه السلام: قال تعالى: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ (النمل: ٤٠).

ولما شكر سليمانُ عليه السلام ربهُ فى السراء قال الله عنه: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠﴾ (ص: ٣٠).

وهــذا أيــوبُ عليه السلام ابتلى بالضراءِ: بالفقرِ وموتِ الولدِ والمرضِ فصبرَ، فنجــح فــى الامتحــان، فقال الله تعالى عنه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٤٤﴾ (ص: ٤٤).

ولذلك يقول النبى ﷺ: ((عجبًا لأمر المؤمن، إن أمرَهُ كُلَّهُ له خير، وليسَ ذلك لأحدٍ إلا المؤمن، إن أصابته سراءُ شكرَ، فكان خيرًا له، وإن أصابتْهُ ضراءُ صبرَ، فكان خيرًا له))[1].

و كثيرٌ من الناس لا يعرفون سُنةَ الابتلاءِ فتراهم إذا أنعم الله عليهم بنعمهِ الكثيرة ظنوا أن الله أكرمهم، وإذا ابتلاهم بالضراء ظنوا أن الله أهانهم، والأمر فى الحقيقة ليس كذلك إنما الابتلاء بالسراءِ ليشكروا وبالضراء ليصبروا، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧﴾ (الفجر: ١٥ ـ ١٧).

★★ ومن الأمثلة على سنةِ الابتلاء بالسراء والضراء:

المثالُ الأولُ: قريشٌ أنعم الله عليها بنعمٍ كثيرةٍ جدًا من أعظمها أنه أرسل إليهم رسولاً منهم فقابلوا هذه النعم بالكفرِ والتكذيبِ والصدِّ عن سبيل الله فحرمهم الله نِعمهُ.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (النحل: ١١٢، ١١٣).

المثال الثانى: أصحاب الجنة: لقد أنعم الله على أصحابِ الجنة بنعمٍ عظيمةٍ فى بستانهم فقابلوا هذه النعم بالعزم على حرمان الفقراءِ والمساكين، فحرمهم الله جنتهم، ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (النبأ: ٢٦)، و﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ (الكهف: ٤٩).

قال تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ ﴾ - أى: كفار مكة -: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (القلم: ١٧-٢٠).

المثالُ الثالثُ: قصة الأبرص، والأقرع، والأعمى من بنى إسرائيل.

يقولُ النبى ﷺ: ((إنَّ ثلاثةً فى بنى إسرائيل: أبرصَ وأقرعَ وأعمى، فأرادَ الله أن يبتليهم، فبعثَ إليهم ملكًا، فأتى الأبرصَ فقال: أى شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حسنٌ، وجلدٌ حسنٌ، ويذهب عنى الذى قد قذرنى الناسُ، قال: فمسحه فذهبَ عنه قذرُهُ، وأُعطى لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا، قال: فأى المالِ أحبُّ إليك؟ قال: الإبلُ - فأُعطى ناقةً عُشراءَ، فقال: بارك اللهُ لك فيها)).

قال: ((فأتى الأقرعَ فقال: أى شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: شعرٌ حسنٌ، ويذهب عنى هذا الذى قد قذرنى الناسُ، قال فمسحهُ فذهب عنه، و أُعطى

شعرًا حسنًا ، قال : فأى المال أحبُّ إليك؟ قال : البقرُ فأُعطى بقرةً حاملاً ، قالَ : بارك اللهُ تعالى لك فيها)) .

قال : ((فأتى الأعمى فقال : أى شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال : أن يَرُدَّ الله إليَّ بصرى فأُبصرُ به الناس، قال : فمسحهُ فردّ اللهُ إليه بصره، قال : فأى المالِ أحبُّ إليك؟ قال : الغنمُ، فأُعطى شاةً والدًا ، فأنتجَ هذان وولَّد هذا ، قال : فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم)) .

قال : ((ثم إنه أتى الأبرص فى صورته وهيئته، فقال : رجلٌ مسكينٌ، قد انقطعتْ بى الحبالُ فى سفري، فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك، بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمالَ، بعيرًا أتبلغُ عليه فى سفري.

فقال : الحقوقُ كثيرةٌ، فقال له : كأنى أعرفُك، ألم تكن أبرصَ يقذرُكَ الناسُ؟ فقيرًا فأعطاك الله؟

فقال : إنما وُرِّثتُ هذا المالَ كابرًا عن كابر، فقال : إن كنت كاذبًا، فصيَّركَ الله إلى ما كنت)) .

قال : ((وأتى الأقرعَ فى صورتهِ، فقال له مثل ما قال لهذا ، وردَّ عليه مثل ما ردّ على هذا . فقال : إن كنت كاذبًا فصيرّكَ الله إلى ما كنتَ)) .

قال : ((وأتى الأعمى فى صورته وهيئته فقال : رجلٌ مسكينٌ وابنُ سبيلٍ، انقطعت بى الحبالُ فى سفري، فلا بلاغَ لى اليوم إلا باللهِ ثم بكَ، أسألكَ بالذى ردّ عليك بصرَك، شاةً أتبلغ بها فى سفري.

فقال: قد كنتُ أعمى فردَّ الله إلى بصري، فخُذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله لا أجهدكَ اليوم شيئًا أخذتَهُ لله.

فقال: أمسِكْ مالَكَ، فإنما ابتُليتُم، فقد رُضيَ عنك وسُخِطَ على صاحبيكَ))[1].

الأبرصُ والأقرعُ ابتلاهم اللهُ بالسراء فلم ينجحوا فى الابتلاء فسخط الله عليهم وزالت النعمةُ من بين أيديهم، وأما الأعمى فقد ابتلاهُ الله بالسراء فشكرَ ونجح فى ذلك الابتلاء والامتحان، فرضى الله عنه وبقيتْ له النعمةُ.

نحن فى هذه الدنيا فى امتحانٍ وابتلاءٍ فمن ابتُلى منكم بالسراء فليشكر، ومن ابتُلى بالضراء فليصبر؛ فالابتلاء سنةُ الله فى خلقه.

- العنصرُ الثانى: هكذا يفعلُ البخلُ بأهلهِ:

ابتلى اللهُ الأغنياء بأن جعلَ فى أموالهم حقًّا للفقراء كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ (المعارج: ٢٤، ٢٥)، وفرض الله على الأغنياء أن يُخرجوا هذا الحق للفقراءِ والمساكين ولا يبخلوا به فقال تعالى: ﴿۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٦٠)، وقال تعالى: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (الأنعام: ١٤١).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤) واللفظ له.

ولما أرسل رسولُ الله ﷺ معاذًا إلى اليمن - ليدعو أهلها إلى الإسلام - قال له: ((فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم، فَتُردُّ على فقرائهم))[1].

فمن أخرج حق الفقراء والمساكين ولم يبخل به يفوز بما يلي:

١- يكون قد طهر نفسه وماله كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة:١٠٣).

٢- يتحصَّل على فلاحِ الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ (المؤمنون: ١ - ٤) وقال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ (التغابن: ١٦).

٣- يرحمه الله فى الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ (التوبة: ٧١) وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

٤- يحفظُ الله له ماله كما قال ﷺ: ((احفظِ اللهَ يحفظْك)).

وأما الذين يبخلون بزكاة أموالهم:

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ (آل عمران: ١٨٠).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (النساء: ٣٧).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٩).

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ (الإسراء: ١٠٠).

وقال تعالى: ﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴾ (محمد: ٣٧).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الحديد: ٢٤).

وقال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (التغابن: ١٦).

الذين يبخلون بأموالهم ويحرمون الفقراء والمساكين من حقهم فأولئك:

١ - يَحْرِمُهم الله المطر، قال ﷺ: ((ولم يمنعوا زكاةَ أموالهم إلا منعوا القطر من السماءِ، ولولا البهائم لم يُمطروا))[1].

---

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩)، والحاكم (٤/٥٨٣)، والطبراني في ((الأوسط)) (٤٦٧١)، ((صحيح الجامع)) (٧٩٧٨).

٢- تتعسر عليهم جميع أمورهم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾﴾ (الليل: ٨-١١).

٣- يجرهمُ البخل إلى النفاق والكذب، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (التوبة: ٧٥-٧٧).

٤- البخل يدفعُ بصاحبه إلى قطيعةِ الرحمِ وسفكِ الدماءِ والفجورِ واستحلال المحارمِ.

قال ﷺ: ((اتقوا الظلم، فإن الظلمَ ظلماتٌ يوم القيامة، واتقوا الشحَّ - وهو أعلى درجات البخل - فإنّ الشحَّ أهلك مَن كان قبلكم، حمَلهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم))[1].

٥- كما أن البخل وحرمان الفقراء والمساكين سببٌ للعذاب في الدنيا قبل الآخرة.

لما قرر أصحاب الجنة وعزموا على حرمان الفقراء والمساكين عذبهم الله في الدنيا بأن حرمهم جنتهم.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

قال تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) ﴾ (القلم: ١٧ - ٢٠)، أي: أصبحت كالليل الأسود لاحتراقها - ثم قال تعالى في آخر القصة: ﴿ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾ (القلم: ٣٣)

حال أصحاب الجنة وهم في طريقهم إلى جنتهم، وحالهم عندما وصلوا إلى جنتهم فأخذوا يندمون ويتلاومون:

قال تعالى: ﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) ﴾ (القلم: ٢١ - ٢٥)، أي: فنادى بعضهم بعضًا وقت الصباح ولم يشعروا بما جرى على بستانهم بالليل، ﴿ أَنِ اغْدُوا ﴾ أي: اخرجوا غدوةً، ﴿ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ ﴾ أي: زرعكم، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ﴾ أي: قاصدين قطع ثمارها، ﴿ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) ﴾ أي: يكتمون ذهابهم ويتسارون فيما بينهم، ﴿ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤) ﴾ أي: لا تمكنوه من الدخول إلى جنتكم، ﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) ﴾ أي: غدوا إلى جنتهم على نشاط وسرعة وجدّ وقصدٍ وقدرةٍ في أنفسهم، ويظنون أنهم تمكنوا من تحقيق مرادهم.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) ﴾ (القلم: ٢٦، ٢٧)، أي: فلما وصلوا إليها ورأوها محترقًا ثمرها ﴿ قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: لقد ضللنا الطريق إلى جنتنا. ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) ﴾ أي: حُرِمنا جنتنا بما صنعنا.

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ قال: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ أى: قال أعدلهم وخيرهم رأيًا ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ أى: تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيتكم وسوء قصدكم، بحرمان المساكين حقهم من ثمرة جنتنا، وتخشون انتقام ربكم من المجرمين، وكان أوسطهم قد حذرهم وأنذرهم حين عزموا على أمرهم الخبيث فعصوه، فلامهم وذكرهم، والدليل على هذا قولهم: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾. فتكلموا بما كان قد دعاهم إليه إثر إظهار عزمهم الخبيث وقالوا: ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ أى: فى عدم استثناء حق المساكين فى ثمر البستان.

وقال تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (القلم: ٣٠-٣٢)، أى: أخذ يلوم بعضهم بعضًا على ما كانوا أصروا عليه من منع حق المساكين من ثمر جنتهم عند قطفه وجمعه، فما كان جواب بعضهم لبعضٍ إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ أى: كنا متجاوزين حدود الله فى تفريطنا وعزمنا السيئ، حتى أصابنا ما أصابنا ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾. أى: عسى أن يبدلنا ربنا خيرًا من جنتنا التى فقدنا ثمرها وشجرها بتوبتنا إليه وندمنا على ما فعلنا، وعزمنا على عدم العودة إلى مثل ما عزمنا عليه، من منع حق المساكين فيما يكون لنا ﴿ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ أى: فى العفو عما فرّطنا فيه والتعويض عما فاتنا وذهب منا.

يقول الله - عز وجل - ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ﴾ أى : كذلك يعذبُ الله من اعتدى على حق الفقراءِ والمساكين، فاحذرْ أيها الغنى أن تبخلَ بزكاةِ مالك وتحرمَ الفقراءَ والمساكين فينزل بك عذابُ الله وتُحرمَ نعمَ الله، وتندم فى وقت لا ينفعُ فيه الندم، كما فعل أصحابُ الجنة، والعاقلُ من اتعظ بغيره.

- **العنصر الثالث :** ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (القلم: ٣٣).

والذى يعتدى على حقِّ الفقراء والمساكين يعذبه الله فى الدنيا والآخرة.

وقد وصف الله عز وجل عذاب الآخرة بأوصاف، منها :

وعذاب الآخرة أكبرُ، قال تعالى : ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (القلم: ٣٣).

وعذاب الآخرة أخزى، قال تعالى : ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (فصلت: ١٦).

وعذابُ الآخرةِ أشدُّ وأبقى، قال تعالى : ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (طه: ١٢٧).

وقال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ (البقرة: ٢٨١).

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (آل عمران: ٥٦).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ (آل عمران: ٧٧).

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (الروم: ١٦).

وعذاب الآخرة الذى أعده الله لمانعى الزكاة ـ الذين يعتدون على حق الفقراء والمساكين ـ من خلال الكتاب والسنةِ؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة.

١- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (التوبة: ٣٤، ٣٥).

ويفسر لنا رسول الله ﷺ : ذلك بقوله: ((ما من صاحب ذهبٍ ولا فضةٍ، لا يؤدى منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، صُفحتْ له صفائح من نارٍ، فأُحمى عليها فى نار جهنم، فيكوى بها جنبهُ وجبينه وظهرُه، كلما رُدَّتْ أُعيدت له، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار))[1].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٩٨٧).

لماذا اختار الله عز وجل الجبهةَ والجَنبَ والظهرَ ليوقع عليه العذاب دونَ سائر الجسدِ؟

إن الفقير كان فى الدنيا إذا ذهب إلى الغنى ليسأله أن يعطيه مما أعطاه الله فإنّ الغنى يعبسُ بجبهته فى وجه الفقير، فإذا تتكرر السؤال من الفقير فإن الغنى يعطيه جانبه، فإذا ازداد إلحاحُ الفقير فإن الغنى يعطيه ظهره!! فاختار الله - عز وجل - تلك المواطن الثلاثة التى أعرض بها الغنى عن الفقير لتُعذّب بنفس أمواله التى منع حقها بعد أن يُحمى عليها فى نار جهنم، والعياذ بالله.

٢- وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ ﴾ (آل عمران: ١٨٠).

يا من تعتدى على حق الفقراء والمساكين! ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (القلم: ٣٣).

عبر ودروس هادية وفوائد إيمانية
من قصة أصحاب الجنة

أولاً - المكرُ السَّيِّئُ لا يحيقُ إلا بأهله:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ (فاطر: ٤٣).

وهذا يؤخذ من قصة أصحاب الجنة عندما مكروا بالليل مكرهم وعزموا على أن يحرموا الفقراء والمساكين من ثمار جنتهم، وأقسموا على ذلك، والله - عز وجل - يقول: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾ (النمل: ٥٠، ٥١).

فكان عاقبة مكرهم أن حرمهم الله جنتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ (القلم: ١٧ - ٢٠).

المكر السَّيِّئُ دائمًا لا يحيق إلا بأهله ومن الأمثلة على ذلك:

١ - فرعون عندما مكر بنبي الله موسى عليه السلام.

فقال فرعون لموسى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ (طه: ٥٨، ٥٩).

ثم ماذا فعل فرعون؟ قال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ ﴾ (طه: ٦٠).

جمع السحرة من كلِّ مكانٍ، كما أشارت عليه بطانة السوء الذين قالوا: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الشعراء: ٣٦، ٣٧).

ثم جمع الناس فى مكانٍ واحدٍ، قال تعالى: ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الشعراء: ٣٨ ـ ٤٠).

وأخذ فرعون يُنفر الناس عن موسى عليه السلام ويقول لهم: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الشعراء: ٢٧)، ويقول لهم: ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الزخرف: ٥٢)، ويقول لهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

(الأعراف: ١٠٩، ١١٠).

وهذا المكر السَّيِّئ من فرعون، ولكن الله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (النمل: ٥٠، ٥١).

والأمر الملفت أن السحرة الذين جاء بهم فرعون لينتصر بهم على موسى عليه السلام آمنوا برب العالمين رب موسى وهارون! ـ عليهما السلام ـ قال تعالى: ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ (طه: ٧٠).

وهكذا فلا يحيق المكر السَّيِّئ إلا بأهله.

٢- المفسدون المجرمون من قوم ثمود الذين مكروا بنبى الله صالح عليه السلام، وقرروا بالليل وأقسموا بالله أن يقتلوا نبى الله صالحا عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (النمل: ٤٨-٥٣).

٣- كفّار مكة عندما مكروا برسول الله ﷺ ليقتلوه أو يخرجوه من مكة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الأنفال: ٣٠).

ولما خرج كفار مكة إلى بدر مكروا وحلفوا بالله أن يقتلوا محمداً ﷺ وأصحابه وأن يشربوا الخمور عند بدر حتى تعلم بهم العرب! ولكن فى بدر قُتل منهم من قتل وأسر من أسر ورجع بقيتهم يجرون أذيال الخيبة والندامة والحسرة وهكذا لا يحيق المكر السّيّئ إلا بأهله.

فالذين يمكرون بالإسلام والمسلمين من أعداء الإسلام نقول لهم: اعملوا ما شئتم، وامكروا ما شئتم فإن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله، والله عز وجل يقول لهم: ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ

ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٤٧﴾ ﴾ (إبراهيم: ٤٥ ـ ٤٧) ، ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾ ﴾ (الطارق: ١٥ ـ ١٧).

ثانيًا- أن العزم على العمل مما يؤاخذ به الإنسان.

وهذا يؤخذ من قصة أصحاب الجنة فإنهم عزموا بالليل على حرمان الفقراء والمساكين فعوقبوا على ذلك قبل إنفاذ الفعل، قال تعالى: ﴿ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (القلم: ١٩ ، ٢٠).

فالإنسان يُعاقب على عزمه على فعل المعصية قبل فعلها، ومن الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الحج: ٢٥).

قال رسول الله ﷺ: ((إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار))، فقلت: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟! قال: ((إنه كان حريصًا على قتل صاحبه))[1].

فعلق الوعيد بدخول النار للمقتول على حرصه على قتل صاحبه، يعني عزمه على قتل صاحبه.

ثالثًا - احذر الندم والحسرة في وقتٍ لا ينفع فيه ندمٌ ولا حسرةٌ:

وهذا يؤخذ من قصة أصحاب الجنة، فإنهم عندما وصلوا إلى جنتهم ووجدوها قد احترقت ـ بسبب ما كانوا قد عزموا عليه من حرمان المساكين

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

والفقراء من ثمرها ـ ندموا ندمًا شديدًا، قال تعالى فى وصفهم: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

(القلم: ٢٦ ـ ٣١).

العصاة والمجرمون يندمون فى وقت لا ينفع فيه ندم، ويتحسرون فى وقتٍ لا تنفعُ فيه حسرةٌ ومن الأمثلة على ذلك:

١ـ عند الموت. قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (المؤمنون: ٩٩، ١٠٠).

٢ـ فى أرض المحشر. قال تعالى: ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ٩٧)، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩)، وقال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

(الأنعام: ٣١).

٣- عند تطاير الصحف. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ (الحاقة: ٢٥ - ٢٩).

٤- عند الحساب. قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ (الكهف: ٤٩).

٥- على أبواب جهنم. قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (الأنعام: ٢٧ ، ٢٨).

٦- في داخل جهنم. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ (فاطر: ٣٦ ، ٣٧)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾. (الأحزاب: ٦٦ - ٦٨).

وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ (غافر: ١١) وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ (الملك: ١٠ ، ١١).

رابعًا - من عصى ثمّ ندم على معصيته وبادر بالتوبة النصوح إلى الله تعالى قبل فوات الأوان تاب الله عليه:

وهذا يؤخذُ من قصةِ أصحابِ الجنةِ فقد نَدموا على معصيتهم ورغبوا إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (القلم: ٣٠ - ٣٢).

الإنسان في هذه الدنيا ليس معصومًا عن الذنب - وإن الله عز وجل عَصَمَ أنبياءه فقط - فإذا أذنب الإنسان ذنبًا كبيرًا كان أو صغيرًا فيجب عليه أن يبادر بالتوبة من قريب.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ (النساء: ١٧).

وقال ﷺ: ((كل ابن آدم خطّاء وخيرُ الخطّائين التّوابون))[(١)].

وقال ﷺ: ((الندمُ توبةٌ))[(٢)].

وقال ﷺ: ((الندمُ توبةٌ، والتائبُ من الذنب كمن لا ذنب له))[(٣)].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وأحمد (٣/١٩٨)، والحاكم (٤/٢٧٢)، ((صحيح الترغيب والترهيب)) (٣١٣٩).

(٢) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٢)، وأحمد (١/٣٧٦)، والحاكم (٤/٢٧١)، ((صحيح الجامع))، (٦٨٠٢).

(٣) صحيح: أخرجه الطبراني في ((المعجم الكبير)) (٢٢/٣٠٦)، وأبو نعيم (١٠/٤٣٢)، ((صحيح الجامع)) (٦٨٠٣).

وقسم الله الناس إلى قسمين: تائبٌ وظالمٌ.

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ (الحجرات: ١١).

فعلى العاقل إذا أذنب ذنبًا أن يبادر بالتوبة إلى الله تعالى؛ استجابةً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ (التحريم: ٨)، ولقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ (النور: ٣١).

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ (الفرقان: ٧٠، ٧١).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ (الشورى: ٢٥).

وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ (النساء: ١٤٦).

وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ (طه: ٨٢).

وقد أخبر الله عباده وبشرهم بأنه سبحانه وتعالى يغفر الذنوب جميعًا، وفتح أبواب التوبة أمامهم على مصاريعها، وحذرهم من تأخير التوبة.

فقال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ (الزمر: ٥٣-٥٩).

خامسًا - أن الخوف من عذاب الآخرة يدفع إلى الطاعة ويمنع من المعصية:

ولذلك ختم الله قصة أصحاب الجنة بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (القلم: ٣٣).

المسلم الذى يعلمُ أن هناك عذابًا فى الآخرةِ يدفعه علمه وإيمانه هذا إلى العمل الصالح، ويمنعه من اقترافِ المعاصى.

قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ (الإنسان: ٨-١٠)، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ (الفرقان: ٦٤-٦٦)، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا

وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا
يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ
ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ
أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ
ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن
فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾
(الزمر: ٩-١٦).

فعلى المؤمن إذا ابتُلى بالسراء - بالغنى بالصحة بالمنصب - أن يشكرَ لينجحَ فى الامتحان، وإذا ابتُلى بالضراء فعليه أن يصبر.

(١٥) قصة أصحابِ الأخدود

أهداف القصة:

١- التأكيد على أهمية التربية السليمة للأبناء.

٢- التحذير من متابعة أعداء الله.

٣- اليقين فى نصر الله وقوته.

٤- استشعار عدل الله وأنه لا يضيع أجر المؤمنين الصابرين.

٥- التعريف ببعض مصارع الظالمين.

٦- التنبيه إلى أهمية الصبر على البلاء.

٧- التعريف ببعض مظاهر عداوة الظالمين للمؤمنين.

٨- بيان أن العقيدة أهم من الحياة.

الآيات:

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ (البروج: ١-٢٢).

قصة أصحاب الأخدود صراع بين الإيمان والكفر، وبين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال.

البيان:

قال رسول الله ﷺ: ((كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلامًا أعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما هو كذلك إذ أتى

على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل. فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أى بنى أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل عليَّ، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء. فسمع جليس للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني. فقال: إنى لا أشفى أحدًا إنما يشفى الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك. فآمن بالله فشفاه الله. فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: ولك رب غيري؟ قال: ربى وربك الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك: أى بنى قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل؟ فقال: إنى لا أشفى أحدًا إنما يشفى الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب. فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم أعلاه فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه. فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، وكيف شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى إلى الملك، فقال

له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه فى قارب فتوسطوا به البحر ثم اربطوه بحجر ثقيل وألقوه فى البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فقال للملك: إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به. قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس فى ميدان وتصلبنى على جذع، ثم خذ سهمًا من كنانتى ثم ضع السهم فى وسط القوس ثم قل: باسم الله رب الغلام ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس فى ميدان وصلبه على جذع ثم أخذ سهمًا من كنانته ثم وضع السهم فى وسط القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم فى جانب الوجه من العين إلى الأذن فوضع يده فى موضع السهم فمات. فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام. فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر والله قد نزل بك حذرك. قد آمن الناس فأمر بالأخدود[1] فى أفواه السكك حفرت وأضرم النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأحرقوه فيها أو قيل له: اقتحم ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها فتثاقلت أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أماه اصبرى فإنك على الحق)) ((رواه مسلم)).

ففى قصة أصحاب القرية قتل أصحاب القرية الكفارُ الرجل المؤمن الذى جاء من أقصا المدينة يسعى لأنه آمن باللهِ ودعاهم إلى الإيمان بالله.

---

(١) الأخدود الشق العظيم في الأرض.

وفرعونُ وقومُهُ الكفارُ قرروا قتل موسى عليه السلام لأنه قال: ربى الله ودعاهم إلى الإيمان بالله، كما قال الرجل المؤمن فى نصيحته لهم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ (غافر: ٢٨).

وأصحاب الأخدود الكفار يقتلون المؤمنين ويحرقونهم بالنار لأنهم آمنوا بالله العزيز الحميد. كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ (البروج: ٨).

وكفار مكة يعذبون المؤمنين لأنهم آمنوا بالله ربِّ العالمين ولذلك قصَّ النبى قصة أصحاب الأخدود على أصحابه وقد كانوا يعذبون فى مكة ليثبتوا على إيمانهم ويصبروا كما صبر الراهبُ على إيمانه، وكما صبر جليسُ الملكِ على إيمانه، وكما صبر الغلام على إيمانه وكما صبر المؤمنون الذى حُرقوا بالنار على إيمانهم.

هذه القصة البديعة التى سجل الله عز وجل خاتمتها فى كتابه، وبين النبى ﷺ بدايتها وسياقها يظهر فيها بجلاء قوة الإيمان، وكيف أن العبد إذا وجد طعم الإيمان وذاق حلاوته، فإن ذلك يشغله عما يتعرض له الجسد من آلام وعذاب، فالقلب يأسر الإيمان لموافقته للفطرة السليمة فيتحمل المؤمنون أشد ألوان الأذى ويكون أيسر على المؤمن أن تخرج روحه من جسده، ولا يخرج الإيمان من قلبه، ولا شك أن هذه السورة سورة البروج مكية، فهذه القصة كانت تسلية للصحابة الكرام الذين كانوا يعانون ألوان العذاب بمكة، ويظهر فيها لطف الله عز وجل بالمؤمنين، وتثبيته لهم، فإن من قصد الهداية وسلك سبيلها

أمده الله ﷻ بأسباب التثبيت، وزاده من الهداية كما قال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدًى ﴾ (مريم: ٧٦). وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ ﴾ (محمد: ١٧). كما أن من قصد الضلال والمحادة لله ﷻ ولرسله الكرام، فإن الله ﷻ يحرمه هدايته وتوفيقه، ويكله إلى نفسه وشيطانه فيعده ويمنيه ويضله ويغويه، ولا يرضى منه دون الكفر ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فأهل الإيمان يُكَافَئُون على إيمانهم بمزيد من أسباب الإيمان، وأهل الطغيان يعاقبون على طغيانهم بمزيد من الخذلان، فلا يزدادون إلا غيًّا وضلالاً، فانظر كيف تدرج الحال بهذا الملك الكافر حتى حفر لأهل الإيمان الأخاديد، وملأها نارًا وساق إليها الذين رضوا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا، والناظر بالأسباب المادية والمقاييس الدنيوية يهوله الأمر، ولكن المؤمن الذى يثق بوعد الله ﷻ ويؤمن بأن الدنيا عرض زائل، وأن الآخرة هى الحيوان، يعلم بأنها لحظات ثم تخرج هذه الروح إلى فاطرها، حيث تخاطب ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ (الفجر: ٢٧ – ٣٠). إنها لحظات والشهيد لا يذوق من مس القتل إلا كما يذوق من مس القرصة، ثم ينقلون إلى جنة الله ﷻ فتصير هذه النار التى ألقوا فيها عليهم بردًا وسلامًا، بل تصير أخاديد النار رياضًا من رياض الجنة، وتسرح أرواحهم فى الجنة حيث شاءت.

أما الكفرة الفجرة فنارهم لا تكون عليهم بردًا ولا سلامًا ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ ﴾ (النساء: ٥٦). خالدين فى هذا

العذاب الأليم، والشقاء المقيم خلودًا أبديًّا لأن نفوسهم لا تصلح إلا لذلك، ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (الأنعام: ٢٨).

و في القصة كذلك سنة من سنن الله ﷻ و هي سنة الابتلاء كما قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ (العنكبوت: ٢ ، ٣).

وفيه من آداب الداعية التنزه عن أعراض الدنيا، والرضى بالله ﷻ وثوابه، وفيه حرص الداعية على إيمان قومه ولو كان بسبب هذا الإيمان ذهاب نفسه وخروج روحه.

الغلام بين الراهب والساحر:

قال ﷺ: ((كان ملكٌ فيمنْ كان قبلكم، وكان له ساحرٌ، فلمَّا كبر قال للملك: إني قد كبِرتُ فابعثْ إليّ غلامًا أُعلمهُ السحر، فبعث إليه غلامًا يُعلمُهُ))[(١)].

هكذا كان بعض الحكام قديمًا يستخدمون السحرةَ في بعض أمورهم وفعلهم هذا حرامٌ لأن السحرة من المفسدين في الأرض كما قال تعالى على لسان موسى ؑ: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ (يونس: ٨١).

عجبًا لأمر هذا الساحر الذي عاش حياته كلّها كافرًا بالله ـ عز وجل ـ واقعًا في الموبقات وعلى الرغم من ذلك بدلاً من أن يُفكر في التوبة قبل أن يموت ـ فقد اقترب أجله ـ وإذا به يفكر كيف يستمرُّ هذا الشرُّ من بعده

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣٠٠٥)، وسيأتي لفظه مفصلا في طيات الخطبة.

ليكون ذلك فى ميزان سيئاته من بعده كما قال ﷺ: ((من سنَّ فى الإسلام سُنةً سيئةً كان عليه وزرُها ووزرُ من عمل بها من بعده، من غير أن يُنَقَصَ من أوزارهم شيءٌ))[1].

وكما قال تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (النحل: ٢٥).

ثم قال ﷺ: ((فكان فى طريقه، إذا سلكَ، راهبٌ، فَقَعَدَ إليه وسمعَ كلامهُ، فأعجبهُ، فكان إذا أتى الساحرَ مرّ بالراهب وقعدَ إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسنى أهلي، وإذا خشيت أهلكَ فقُلْ: حبسنى الساحرُ)).

أرادوا للغلام أن يكون ساحرًا ووليًا من أولياء الشيطان، وأراد الله له أن يكون من أوليائه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

يهدى من يشاء ويضل من يشاء فقد اهتدى الغلام للحق وهو فى أحضان الساحر تحت إشراف الملك.

ولما اشتكى الغلام الساحر للراهب لقنه الراهب أمرًا يتخلص به من ضرب الساحر ـ وهذا جائز عند المصلحة ـ وهو ما يسمى بالتورية.

ثم قال ﷺ: ((فبينما هو كذلك إذ أتى على دابةٍ عظيمةٍ قد حَبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحرُ أفضلُ أم الراهبُ أفضل؟ فأخذ حجرًا فقال:

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٠١٧).

اللهمَّ! إن كان أمر الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر فاقتُل هذه الدَّابة، حتى يمضى الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناسُ، فأتى الراهبَ فأخبره، فقال له الراهب: أى بُنيّ! أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرِك ما أرى، وإنك ستُبتلى، فإن ابتُليتَ لا تَدُلّ عليّ)).

ظهرَ الحق للغلام وأكرمه الله بكرامةٍ لِيَثْبُتَ على الحق، وأخبره الراهب بعد ذلك أنه سيُبتلى لأن الابتلاء سنة الله فى عباده.

قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾

(العنكبوت: ٢، ٣).

الغلام يداوى الناسَ من الأمراض ويدعوهم إلى الله.

ثم قال ﷺ: ((وكان الغلامُ يبرئُ الأكمهَ والأبرصَ، ويداوى الناسَ من سائر الأدواء، فسمع جليسٌ للملكِ كان قدْ عميَ، فأتاهُ بهدايا كثيرة، فقال: ما ههُنا لك أجمعُ، إن أنت شفيتني، فقال: إنى لا أشفى أحدًا، إنما يشفي الله تعالى فإن أنت آمنتَ بالله دعوتُ الله فشفاكَ، فآمن بالله فشفاه الله)).

استغل الغلامُ المؤمنُ حاجة الناس إليه فى الدعوة إلى الله تعالى فبدأ معهم أولاً بالتوحيد وبتصحيح العقيدة حيث ربط قلوبهم بالله ـ عز وجل ـ فقال: ((إنى لا أشفى أحدًا، إنما يشفى الله تعالى فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك)).

ولم يلتفت الغلامُ أبدًا فى دعوته إلى حُطام الدنيا الفانية مما هو فى أيدى الناس أو مما عند الملكِ مع أنه يتربى تحتَ إشراف الملك.

ولم يحاول أن يستخدم جليسَ الملك الذى جاء وهو فى حاجة إليه فى التخطيط لقلب نظام الحكم على الملك وإنما كان الغلام المؤمن يخطط لإخراج الناس من عبادة العبادِ إلى عبادة ربِّ العبادِ.

الابتلاءُ سنةُ الله فى خلقه.

ثم قال ﷺ: ((فأتى - أى: جليسُ الملكِ - المَلِكَ فجلسَ إليه كما كان يجلسُ، فقال له الملكُ: من ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: أولك ربٌّ غيري؟ قال: ربى وربُّكَ الله، فأخذهُ فلم يزلْ يُعذِّبُهُ حتى دلّ على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أى بُنيّ! قد بلغَ من سحرِك ما تبرئُ الأكمهَ والأبرص وتفعلُ وتفعلُ، فقال: إنى لا أشفى أحدًا، إنما يشفى الله تعالى)).

وأعاد أمام الملكِ نفس الكلام فقال: ((إنى لا أشفى أحدًا، إنما يشفى الله تعالى)) إنها العقيدةُ الصحيحةُ، إنه الإيمانُ الصادقُ، إنها دعوةُ الذين يريدون رضا الله والجنة ولا يتطلعون إلى دنيا الناس الفانية.

ثم قال ﷺ: ((فأخذه فلم يزل يعذبُهُ حتى دلّ على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار، فوضع المنشار فى مفرقِ رأسِهِ، فشقه به حتى وقع شقّاهُ، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينكَ فأبى، فوضع المنشار فى مفرق رأسِهِ فشقه به حتى وقع شقاه)).

هكذا لا يعرفُ الكفارُ إلا لغة القتل والبطش والتعذيب والنشر بالمناشير وهذا عين ما فعلَهُ فرعون مع السحرة لما آمنوا قال الله عز وجل عنه: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ

وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ (طه: ٧١ - ٧٣).

الغلامُ والملك:

الغلامُ المؤمن يتوكل على الله وحده، والملك يتفننُ في طريقة التخلص من الغلام، قال ﷺ: ((ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجعْ عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتُم ذِروتَه، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم! اكفنِيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في سفينة فتوسَّطوا به البحرَ، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهمّ اكفنيهم بِمَا شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله)).

قال تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾ (البقرة: ١٣٧).

وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ﴾ (الزمر: ٣٦).

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ (النمل: ٧٩).

وقال له أيضًا: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾ (الحجر: ٩٥).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣) - أي: كافيه وحافظه.

ولقد قال ﷺ: ((يا غلام! احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف))[1].

أراد الغلام أن يثبت للملكِ أن الله وحده هو رب العالمين وأن الأمور كلّها بيديه، وأنه هو النافعُ وهو الضار، بل وأراد أن يثبت لهذا الملك أنه لا يملك نفعًا ولا ضرًّا.

كما أراد الغلام أن يؤمن الناسُ برب العالمين ليخرجوا من الظلمات إلى النور.

الغلامُ يأمر الملك:

ثم قال ﷺ: ((فقال - أي: الغلام - للملك: إنك لستَ بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمعُ الناسَ في صعيدٍ واحدٍ، وتصلُبُني على جذعٍ، ثم خُذ سهمًا من كِنانتي، ثم ضع السهم في كَبدِ القوس ثم قل: باسْمِ الله، ربِّ الغلام ، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيدٍ واحدٍ، وصلبه على جذعٍ، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/٢٩٣)، ((المشكاة)) (٥٣٠٢).

فى كبدِ القوس، ثم قال: باسْمِ الله ربِّ الغلام، ثم رماه فوضع السهم فى صُدغهِ، فوضع يده فى صُدغه فى موضع السَّهم فمات.

فقال الناس: آمنا بربِّ الغلام، آمنا بربِّ الغلام، آمنا بربِّ الغلام.

إن الغلام كان يخطط ليؤمن الناس بالله وحده، ونجح الغلام فيما خطط له ولو أنه قَدّم روحه فى سبيل ذلك.

فما أن مات الغلام حتى قال الناس: آمنا برب الغلام.

لقد صدق الغلامُ مع ربه فصدقه.

المشهد الأخير فى القصة وهو مشهدٌ مؤلمٌ:

قال ﷺ: ((فأمر ـ أى: الملك ـ بالأخدود بأفواه السكك فخدَّت وأضرم فيها النيران، وقال: مَنْ لمْ يرجعْ عن دينه فاحمُوهُ فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأةٌ ومعها صبى لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُمَّاه! اصبرى فإنك على الحق)).

ولكن ما هى الجريمة التى ارتكبها هؤلاء؟

إن جريمتهم فى نظر الكفار والمجرمين أنهم آمنوا بالله ربِّ الغلام رب العالمين.

وهل الإيمان بالله جريمةٌ يُحرَّقُ صاحبُها بالنار؟!

إنه الصراعُ بين الإيمان والكفر.

أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله؟!

أتقتلون غلامًا قالَ ربى الله؟!

أتحرقون قومًا قالوا آمنا برب الغلام؟!

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ ﴾ (البقرة: ٢١٧).

وقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا ﴾ (البقرة: ١٠٩).

هذا المشهد الأخير وحيث أخذ الكفارُ يحرقون المؤمنين بالنار.

قال تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ۝١١ ﴾ (البروج: ٤-١١).

غضب الله على الكفار المجرمين الذين تلذذوا بحرق المؤمنين فى النار فقال تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴾ - أى: لُعِنَ أصحاب الأخدود - وتوعدهم الله ﷻ بالعذاب الأليم فى جهنم لكفرهم، وتوعدهم بالتحريق لأنهم حرقوا المؤمنين فى الدنيا جزاءً وفاقًا ولا يظلم ربك أحدًا، والجزاء من جنس العمل ولكن أين هذا الحريق من ذاك الحريق؟! أين هو فى شدته أو فى مدتهِ؟!

فحريق الدنيا بنارٍ يوقدها الخلق، وحريقُ الآخرة بنار يوقدها الخالق! حريق الدنيا لحظاتٌ وينتهي، وحريق الآخرة دائمٌ لا ينقطع! حريقُ المؤمنين في الدنيا فيه رضا رب العالمين على عباده المؤمنين.

ومع حريق الآخرة غضب رب العالمين على الكافرين المجرمين.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) ﴾ (الأحزاب: ٦٤، ٦٥).

وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ (٥٠) ﴾ (إبراهيم: ٤٩، ٥٠).

وقال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ (١٦) ﴾ (الزمر: ١٦).

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ (٤٨) ﴾ (القمر: ٤٨).

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤) ﴾ (الحجر: ٤٣، ٤٤).

وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) ﴾ (الكهف: ٢٩).

وقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ (٢٤) ﴾ (البقرة: ٢٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾

(الإنسان: ٤).

وقال تعالى: ﴿۞ هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ (الحج: ١٩).

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾ (الملك: ٦ – ٨).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

(النساء: ٥٦).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ﴾ (فاطر: ٣٦).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ (غافر: ٤٩، ٥٠).

وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾

(الزخرف: ٧٧).

وأحل بالكافرين المجرمين الخزى والعار والهلاك فى الدنيا، ويوم القيامة لهم العذاب الأليم. كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ (البروج: ١٠).

تحصَّل المؤمنون بثباتهم على إيمانهم على الفوز الكبير.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ (البروج: ١١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ (البينة: ٧، ٨).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ (يونس: ٩، ١٠).

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (النحل: ٣٢).

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ (إبراهيم: ٣٣).

وقال تعالى: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ (الرعد: ٣٥).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الحج: ٢٣).

وقال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ (القيامة: ٢٢ ـ ٢٥).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الكهف: ١٠٧).

وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (آل عمران: ١٣٦).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (العنكبوت: ٥٨).

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ (التوبة: ٧٢).

وقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (البقرة: ٢٥).

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ (النمل: ٧٩).

وهذا الغلام المؤمن الصادق فى إيمانه وفى حرصه على إيمان الناس نجح فى دعوته وهكذا يفعلُ الإيمان بأهله. وهكذا يصنع الإيمان الرجال.

عبر ودروس هادية وفوائد إيمانية
من قصة أصحاب الأخدود

أولاً- السحرُ حرامٌ، لا يحبهُ اللهُ، ويدفعُ صاحِبَهُ إلى كلِّ شرٍّ.

السحر لا يحبهُ الله - عز وجل - وهذا يؤخذ من قوله ﷺ: ((فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابةٍ عظيمةٍ قد حبست الناسَ فقال: - أى الغلام - اليومَ أعلمُ الساحرُ أفضل أم الراهبُ أفضل؟ فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان أمرُ الراهبِ أحبَّ إليك من أمرِ الساحرِ فاقتُلْ هذه الدابة حتى يمضى الناسُ، فرماها فقتلها ومضى الناس)).

ففى هذا دليلٌ على أنّ الله - عز وجل - لا يُحبُّ السِّحرَ ولا السَّحرة.

واعلموا أن السحرةَ من المفسدين فى الأرض والله لا يحب المفسدين كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (يونس: ٨١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (القصص: ٧٧).

السحرُ حرامٌ وقد ذكره الله عز وجل فى كتابه فى موضع الذم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ (البقرة: ١٠٢).

وقال تعالى ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾

(البقرة: ١٠٢).

وقال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (البقرة: ١٠٢).

وقال ﷺ: ((اجتنبوا السبع الموبقات)). قالوا: يا رسول الله! وما هنَّ؟ قال: ((الشركُ بالله، والسحرُ...)) الحديث[1].

وقال ﷺ: ((لا يدخلُ الجنة مدمنُ خمرٍ، ولا مؤمنٌ بسحرٍ، ولا قاطع رحم))[2].

أدلةٌ من كتاب ربنا ومن سنةِ نبينا ﷺ تدل على حرمةِ السحرِ وعلى حرمةِ تَعَلُّمِهِ أو تعليمِه وعلى حرمةِ الذهاب إلى السحرةِ.

احذروا من الذهاب إلى السَّحَرَة وذلك:

١- لأنَّ الساحرَ مجرمٌ:

قال تعالى عن سحرة فرعون لما آمنوا: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ (طه: ٧٠) إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ (طه: ٧٤).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٢) صحيح: أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦١٠٤)، وأبو يعلى في ((مسنده)) (١٣/ ١٨١)، ((الصحيحة)) (٦٧٨).

ففى الآية دليلٌ على أن من مات ساحرًا كافرًا لقى الله يومَ القيامة مجرمًا.

٢- لأن الساحرَ شيطانٌ:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ (البقرة: ١٠٢).

٣- لأن الساحر أفاكٌ:

((أى: يتفننُ فى الكذب)) أثيمٌ ((أى: يتفنن فى معصية الله)).

قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ (الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢).

٤- الساحرُ لا يفلحُ أبدًا:

قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ (طه: ٦٩).

وقال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَـٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ (يونس: ٧٧).

٥- الساحرُ لا خلاق له فى الآخرة:

((أى: لا نصيب له ولا أجر له عند الله يوم القيامة)).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ (البقرة: ١٠٢).

وقد حصر البعض أصول السحر فى ثلاثة:

• زجر النفوس بمقدمات توهيمية وإرهابية بما اعتاده الساحر من التأثير النفسانى فى نفس المسحور الضعيف روحًا، المستعد لقبول التأثير ويشهد لهذا قول الله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ (الأعراف: ١١٦).

• استخدام مؤثرات من خصائص الأجسام من حيوان ومعادن كالزئبق وسائر العقاقير المؤثرة ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ (طه: ٦٩).

• الشعوذة باستخدام خفايا الحركة والسرعة حين يخيل أن الجماد يتحرك ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ (طه: ٦٦).

ثانيًا - أنّ الإيمان يحبُّهُ اللهُ وهو سببٌ لكلِّ خيرٍ.

والإيمان له ثمراتٌ عاجلةٌ - أى: فى الدنيا - وآجلةٌ - أى: فى الآخرة - ينتفع بها أهلهُ ومنها:

١- الأمنُ والأمان لا يكون إلا لأهل الإيمان:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ (الأنعام: ٨٢) - أى: بشرك - ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الأنعام: ٨٢).

٢- الحياةُ الطيبةُ وطمأنينةُ القلوب لا تكون إلا لأهل الإيمان :

قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (النحل : ٩٧).

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ (٢٨) ﴾ (الرعد : ٢٨).

٣- الله ـ عز وجل ـ يتولى الدفاع عن أهل الإيمان :

قال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ (الحج : ٣٨).

وقال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ (٦٣) ﴾ (يونس : ٦٢ ، ٦٣).

٤- الأجرُ العظيم والبشرى يومَ القيامة لأهل الإيمان :

قال تعالى : ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦) ﴾

(النساء : ١٤٦).

وقال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) ﴾

(الأحزاب : ٤٧).

٥- الأخوةُ الصادقةُ والاتحادُ والاعتصامُ لا تكون أبدًا إلا فى ظل الإيمان :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات : ١٠).

وقال ﷺ: ((المسلم أخو المسلم...))[1].

وقال ﷺ: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضهُ بعضًا))[2].

وقال ﷺ: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[3].

فالإيمانُ يا عباد الله! يحبه الله وهو سببٌ لسعادة الدنيا والآخرة، ويدفع صاحبهُ إلى كل خير، ولذلك دعا هذا الغلامُ الناسَ جميعًا إلى الإيمان بالله رب العالمين بل وقدم نفسه وروحه في سبيل ذلك، وما أن قتله الملك حتى قال الناس: ((آمنا برب الغلام)).

في إثبات الكرامات:

ففي كتاب الله:

١- أصحابُ الكهفِ الذين لبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعًا بلا طعامٍ ولا شراب وهم نائمون يقلّبُهم الله ذات اليمين وذات الشمال؛ في الصيف وفي الشتاءِ لم يُزعجهم الحر، ولم يؤلمهم البردُ، ما جاعوا وما عطشوا وما ملوا من النوم، وهذه كرامة لهم بلا شك.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) واللفظ له.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ له.

٢- مريم - عليها السلام - أكرمها الله تعالى - بكرامات منها:

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

(آل عمران: ٣٧).

وقال تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ﴾ (مريم: ٢٣-٢٦).

في التواضع:

التواضع خلقٌ يحبه الله ولذلك أمر به عباده في كتابه.

قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾

(الشعراء: ٢١٥).

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ﴾ (الكهف: ٢٨).

التواضع خلقٌ وصّى به النبي ﷺ وحث عليه.

قال ﷺ: ((إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ)).

وقال ﷺ: ((ما نقصت صدقةٌ من مالٍ، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله)).

التواضع من صفات عباد الرحمن.

قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ (الفرقان: ٦٣).

والتواضع من صفات أهل الجنة.

قال تعالى: ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ ﴾ - وهى الجنة -: ﴿ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (القصص: ٨٣).

ثالثًا- الجزاءُ من جنس العمل:

وهذا يؤخذ من قصة أصحاب الأخدود من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾

(البروج: ١٠).

إن من سنن الله تعالى التى لا تتغير ولا تتبدل ولا تتحول، أن جزاءَ العامل يكون من جنس عمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر ((جزاءً وفاقًا)).

فالمحسنُ جزاؤه الإحسان والحسنى كما قال تعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾ (يونس: ٢٦).

وقال تعالى ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الرحمن: ٦٠).

والمُسيءُ يُعاقبُ بجنس عمله فى الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ (الشورى: ٤٠).

من وضع هذه السنة ((الجزاء من جنس العمل)) بين عينيه وهو يسير فى هذه الدنيا دفعه ذلك إلى الأعمال الصالحة، ومنعه من اقتراف المعاصي.

قال تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (فصلت: ٤٦).

★★ ومن الأمثلة التى توضح أن الجزاء من جنس العمل:

١- فرعونُ الذى تكبر فقال: ﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ (الزخرف: ٥١).

فأهلكهُ الله - عز وجل - فى هذه الأنهار وجعلهُ عبرةً لمن خلفه قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (يونس: ٩٠ - ٩٢).

٢- وأولئك قوم عاد لما قالوا: ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ (فصلت: ١٥)، أهلكهم الله - عز وجل - بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ فجعلتهم كأعجاز نخلٍ خاوية.

٣- وها هم الكفار يسخرون ويستهزئون ويضحكون فى الدنيا من المؤمنين فيعاقبهم الله - عز وجل - بأن يجعل المؤمنين يضحكون منهم وهم يعذبون فى نار جهنم فى الآخرة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (المطففين: ٢٩ - ٣٦).

٤- وها هم الزناةُ من الرجال والنساء، لما استخفوا من أعين الناس عند فعل الفاحشة وكشفوا عن عوراتهم وتلذذوا بالحرام، عاقبهم الله - عز وجل - بالعذاب الأليم والفضيحة أمام الناس.

قال تعالى: ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ (النور: ٢).

الإنسانُ خُلِقَ فى هذه الدنيا ليُبتلى.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ (الإنسان: ٢).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ (الملك: ٢).

وقال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾

(العنكبوت: ٢، ٣).

إن من الناس فى هذه الدنيا من يدعى الإيمان والصلاح والتقوى وهو من أكذب الكاذبين؛ فيبتلى الله - عز وجل - العباد ليميز بعضهم من بعض.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (البقرة: ٨ - ١٠).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (العنكبوت: ١٠، ١١).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ (الحج: ١١).

الابتلاء للمؤمن فى هذه الدنيا دليلٌ على محبة الله له.

رابعًا- أنّ من تاب من ذنبهِ تابَ الله عليه:

وهذا يؤخذ من قصة أصحاب الأخدود من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾

(البروج: ١٠).

وهذا دليلٌ على أن الله ـ عز وجل ـ يتوبُ على العبدِ إذا تابَ من ذنبه مهما كَبُرَ.

فمن تاب حتى من الكفر تاب الله عليه، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ (الأنفال: ٣٨).

بعد ما قال اليهود ما قالوا فى حق الله، وبعدما قال النصارى ما قالوا فى حق الله دعاهم الله ـ عز وجل ـ إلى التوبة والاستغفار، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ (المائدة: ٧٤).

أبوابُ التوبة لا تزال مفتوحة على مصاريعها فمن تاب من معصيته تاب الله عليه.

★★ومن الأمثلة على قبول توبة من تاب:

فهذه أدلةٌ تدلُّ على أن من تاب من ذنبه تاب الله عليه:

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ (طه: ٨٢).

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ (التوبة: ١١).

وقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ (المائدة: ٣٤).

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ (الفرقان: ٧٠، ٧١).

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾ (مريم: ٦٠).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ (البقرة: ٥٤).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ (غافر: ٧).

ويقول سبحانه: ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الزمر: ٥٣).

فتح الله باب التوبة لأصحاب الكبائر ليتوبوا: قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ (المائدة: ٣٣ ، ٣٤).

وها هم أهل الشرك والقتل والزنا يفتح الله أمامهم باب التوبة فيقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ ﴾ (الفرقان: ٦٨ – ٧١).

وهؤلاء الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات يفتح الله أمامهم باب التوبة لكى يتوبوا ويقيموا الصلاة ويتركوا الشهوات ويقبلوا على فعل الطاعات، قال تعالى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ

﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾ (مريم: ٥٩ ، ٦٠).

فقد يستصغر الإنسان ذنبًا وهو عند الله عظيم قال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ (النور: ١٥).

ويقول سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ (النور: ٣١).

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ (التحريم: ٨).

والتوبة النصوح التى يقبلها الله من عباده:

هى التى تتوافر فيها الشروط التالية:

الشرط الأول: الإقلاع عن المعصية أى تركها نهائيًّا.

الشرط الثاني: العزم على ألا يعود لمثلها أى أن يعزم فى قلبه على ألاّ يعود لمثل المعصية التى يريد أن يتوب منها.

الشرط الثالث: الندم على ما صدر منه، فقد قال عليه الصلاة والسلام: ((الندم توبة)) [رواه الحاكم وابن ماجه].

الشرط الرابع: إن كانت المعصية تتعلق بحق إنسان كالضرب بغير حق، أو أكل مال الغير ظلمًا، فلا بد من الخروج من هذه المظلمة إما برد

المال أو استرضاء المظلوم؛ قال ﷺ: ((من كان لأخيه عنده مظلمة، فليتحلله قبل أن لا يكون دينار ولا درهم)) [رواه مسلم "رد المظالم إلى أهلها"].

الشرط الخامس: أن تكون التوبة قبل الغرغرة، وقد ورد في الحديث الشريف: ((إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)) [رواه الترمذي وقال حديث حسن].

الشرط السادس: التوبة قبل طلوع الشمس من المغرب. "ربنا تقبل منا إنك أنت التواب الرحيم".

الشرط السابع: الإخلاص: وهو أن يقصد بتوبته وجه الله ﷻ.

خامسًا- أنّ الدعاءَ ينفعُ مما نزل ومما لم ينزل:

وهذا يؤخذ من قصة أصحاب الأخدود من دعاء الغلام فقد دعا ربهُ أكثرَ من مرةٍ فاستجاب اللهُ له، وانتفع بالدعاء.

قال الغلام في دعائه الأول: ((اللهم إن كان أمرُ الراهبِ أحبَّ إليك من أمر الساحرِ فاقتل هذه الدابة، فرماها فقتلها ومضى الناس)).

وفي دعائه الثاني قال لجليس الملك: ((إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله تعالى فإن آمنت بالله دعوت اللهَ شفاك فآمن فشفاه الله)).

وفي دعائه الثالث قال: ((اللهم اكفنيهم بما شئت وكيف شئت)) فرجف الجبلُ في المرةِ الأولى، وانكفئت السفينة في المرة الثانية، ففي ذلك دليلٌ على أن الدعاء ينفعُ مما نزل ومما لم ينزل.

فهذا أيوب عليه السلام ابتُلي بالمرض فدعا الله وانتفع بالدعاء .

قال تعالى: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الأنبياء: ٨٣ ، ٨٤).

وهذا يونس عليه السلام: ابتلى بالسّجن فى بطن الحوت فدعا الله، فانتفع بالدعاء .

قال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (الأنبياء: ٨٧ ، ٨٨).

وهذا زكريا عليه السلام ابتلى بعدم الأولاد فدعا الله، فانتفع بالدعاء .

قال تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (الأنبياء: ٨٩ ، ٩٠).

فالدعاء ينفعُ مما نزلَ ومما لم ينزل ولذلك أمرنا الله عز وجل بالدعاء ووعدنا بالاستجابة .

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ ﴾ (غافر: ٦٠).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦).

وقال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ (النساء: ٣٢).

وهذا ما فعلهُ يوسفُ عليه السلام مع المساجين فى السجن:

فلما احتاجوا إليه فى تأويل الرؤيا دعاهم أولاً إلى توحيد الله - تعالى - قال الله تعالى على لسان يوسف: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (يوسف: ٣٧، ٣٨).

ثم بدأ يفصح عن عقيدته إفصاحًا كاملاً، وأخذ يكشف لهما عن فساد اعتقادهما واعتقاد قومهما فقال: ﴿ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (يوسف: ٣٩، ٤٠).

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ (النحل: ٣٦).

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ (الأنبياء: ٢٥).

وما من نبى جاء إلى قومه إلا قال لهم قبل كل شيء:

﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (المؤمنون: ٢٣).

و قد عالجت هذه القصة قضية الثبات على الحق والتمسك به على الرغم مما يصيب صاحبه؛ وذلك لتقوى فينا هذه الصفة الحميدة لنسعد فى الدنيا والآخرة على أن هناك دروسًا وعبرًا أخرى نوجزها فيما يلى:

١- الهداية من الله، هذا مبدأ يجب علينا أن نؤمن به، فطلب الهداية من الله من صفات أصحاب الفكر السليم والعقل السديد، وهؤلاء إذا رزقهم الله هداه، ومنَّ عليهم بالرشد والتوفيق فعليهم أن يسلكوا طريق الحق ويسيروا على نهج الله القويم، وهذا ما يجب أن نتعلمه ونعيه جيدًا.

٢- الرحم صلة قوية لها حرمتها، وقد توعد الله قاطع الرحم بأشد عقاب وهو مقاطعة الله له وعدم قبوله، ومن هنا فقاطع الرحم نهايته سيئة فى الدنيا والآخرة، ولنا فى هذه القصة العبرة والعظة فى ذلك.

٣- إذا فسدت طبيعة الناس وكثرت معاصيهم، وزاد عنادهم ولَّى الله عليهم من يسومهم سوء العذاب، فالحاكم الظالم عقاب من الله لأمة شقَّت عصا الطاعة وخرجت عن هدى الله، وجاهرت بالمعاصي، فعلينا أن

نطيع الله فيما أمر أو نهى، ونخشى الله فى كل ما نفعل أو نترك، فمتى سادت المحبة فى الأمة وشاع فيها الخير ولّى الله عليها من يحكمها بالعدل، ويسوسها بالعطف والرحمة.

٤- اهتمام الآباء بأبنائهم والسعى إلى ما فيه خيرهم، فالآباء يحرصون على تعليم الأبناء ما يفيدهم فى دنياهم وأخراهم، وهذا ما وجدناه فى هذه القصة عندما حرص الأب على تعليم ابنه السحر عند أكبر السحرة؛ وذلك لأنه رأى فيه ـ حسب زعمه ـ الخير له والمستقبل الباهر ولكن الأب أراد شيئًا لابنه وأراد الله له شيئًا آخر وكان ما أراد الله.

٥- على الإنسان أن يبحث عن الحق قدر استطاعته ولا يهمل فى ذلك، وإذا هداه الله إلى الحق وجب عليه أن يتمسك به ولا يفرط فيه أبدًا، وهذا ملمح نجده فى هذه القصة.

٦- جميع الديانات الصحيحة سواء أكانت يهودية أم نصرانية تدعو إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، أما إذا حُرِّفَت هذه الديانات وبُدِّل فيها فإنها بذلك تخلو من جوهرها الحقيقي، ولا تصلح أن تكون هادية للناس.

٧- هناك بعض المواطن يجب علينا أن نجهر فيها بالحق، ونعلن أننا من أصحابه ولا نخشى فى الله لومة لائم، فعندما تحين الفرصة يجب علينا أن نغتنمها بالإعلان عن الحق والدعوة إليه، وإذا لم نفعل ذلك نكون من العاصين وسوف يحاسبنا ربنا على ذلك.

٨- عندما يعتز الظالم بظلمه ويفتخر بإثمه فإن الله يسلط عليه من العقاب ما يناسبه وما يتفق مع جرمه، وهذا ما رأيناه فى هذه القصة عندما اعتز الحاكم الظالم بإثمه وفعل ما يمليه عليه غروره فإن الله يأخذه أخذ عزيز مقتدر، وينزل به من العقاب ما يردعه هو وأمثاله. ويقع ما كان يخاف منه.

فعلينا أن نتعظ بهذه الدروس حتى نسعد فى الدنيا والآخرة.

(١٦) أصحاب الفيل

أهداف القصة:

١- التذكير بأهمية الكعبة ومكانتها عند الله.

٢- اليقين بأن الله تعالى قادر على كل شيء.

٣- التحذير من العبث بالمقدسات.

٤- بيان أهمية اللجوء إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

الآيات:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥) ﴾ (الفيل: ١-٥).

أصحاب الفيل قوم قدموا من الحبشة واليمن يريدون هدم الكعبة بقيادة أبرهة الحبشى الأشرم، فأنزل الله عليهم سخطه وجعلهم عبرةً لمن يعتبر.

لقد حدثت هذه القصة فى عام سُمى بعام الفيل وفى هذا العام وبعد قصةِ أصحابِ الفيل بخمسين يومًا وُلد رسول الله ﷺ.

البيان:

هذه القصة فيها خوارق للعادات، وكان أهل مكة يعبدون الأوثان قبل بعثة المصطفى ﷺ، وكان أصحاب الفيل نصارى أهل كتاب، ولا شك أن أهل الكتاب أحسن حالاً من عبدة الأوثان، فلم تكن هذه الحادثة كرامة لأهل مكة، ولا لعبد المطلب وهو على دين قومه، وإنما معجزة من معجزات هذا النبى الخاتم، الذى تتهيأ مكة لاستقباله، وتستعد البشرية لرؤية أنواره، وقد كان حملاً كريمًا فى هذا الوقت، حيث ولد ﷺ فى هذا العام - عام الفيل - وكان ذلك كرامة لهذا البيت، الذى سوف يصير قبلة لخير أمة أخرجت للناس، يترددون إليه ولا يرون أنهم قضوا منه وطرًا، ففى هذه البقعة المباركة وبجوار هذا البيت العتيق ينبثق نور الإسلام، وتبدأ بعد قليل

بعثة النبى ﷺ ، فليس بعجيب أن يرغم الله أنوف من قصدوه بِشَرٍّ، وأن يمزقهم الله ﷻ كل ممزق، وأن يجعلهم الله ﷻ كورق شجر أكلته الدواب فألقته روثًا، مبالغة فى إهانتهم وإحباط كيدهم، وتحقير شأنهم، لأنهم قصدوا إهانة بيت الله، وراموا العز بذلك لأنفسهم فأهانهم الله ﷻ و أذلهم، وجعلهم عبرة للمعتبرين إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

⇦ المستخلص عن قصة أصحاب الفيل سيكون حول العناصر التالية:

- **العنصر الأول:** الكعبةُ هى بيت الله الحرام.
- **العنصر الثانى :** للبيت ربٌّ يحميه.
- **العنصر الثالث:** ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ (غافر: ٢٥).
- **العنصر الرابع:** ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ (النمل: ٦٢).

– العنصر الأول: الكعبةُ هى بيت الله الحرام.

قال تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ (الحج: ٢٦)، وقال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (إبراهيم: ٣٧)، وقال تعالى: ﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ (المائدة: ٩٧).

الكعبةُ هى أولُ بيتٍ وضع للناس فى الأرض للعبادة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

(آل عمران: ٩٦، ٩٧).

قال أبو ذر ﷺ: يا رسول الله! أى مسجدٍ وُضعَ فى الأرض أول؟ قال: ((المسجدُ الحرام))، قلتُ: ثم أي؟ : قال: ((المسجد الأقصى)) قلت: كم كان بينهما؟ قال: ((أربعون سنة))[1].

الكعبة بيت الله الحرام وقد رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (البقرة: ١٢٧).

الكعبة بيتُ الله الحرام وقد أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يؤذن فى الناسِ بالحجِّ إلى هذا البيت.

قال تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الحج: ٢٧).

وفرض الله على المسلمين حج هذا البيت فقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (آل عمران: ٩٧).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٢٥)، ومسلم (٥٢٠).

الكعبة بيتُ الله الحرام والطوافُ بها في أي وقتٍ من ليلٍ أو نهار عبادةٌ يتقرب بها العبدُ إلى ربه.

قال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ (الحج: ٢٩).

وقال ﷺ: ((من طاف بالبيتِ أسبوعًا؛ لا يضع قدمًا، ولا يرفع أخرى؛ إلا حط الله عنه بها خطيئة، وكتب بها حسنة، ورفع له بها درجة))[1].

الكعبة بيت الله الحرام الذى من دخله كان آمنًا.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ (البقرة: ١٢٥) وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (آل عمران: ٩٦، ٩٧).

جعل الله الكعبة قبلةً للمسلمين من أمةِ محمدٍ ﷺ فهم يتوجهون إليها في صلاتهم، قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة: ١٤٤).

وجاء في حديث ابن عباس ﷺ: أن رسول الله ﷺ ركع ركعتين في قُبُلِ الكعبةِ وقال: ((هذه القبلة))[2].

---

(١) صحيح: أخرجه ابن حبان (٣٦٨٩)، وابن خزيمة (٢٧٥٣)، والطيالسي (١٩٠٠)، ((صحيح الترغيب والترهيب)) (١١٤٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٩٨)، ومسلم (١٣٣٠).

في الوقت الذى خرج فيه أبرهةُ الحبشى بجيشه ليهدمَ الكعبة ويخيف أهلها كان رسول الله ﷺ لا يزال حملاً فى بطن أمه، وحفاظًا على بيت الله الذى سيكون قبلةً لهذا الرسول الكريم ﷺ وأمته، وحفاظًا على الرسول ﷺ الذى تنتظره البشرية ليخرجها بإذن الله من الظلمات إلى النور، من أجل ذلك كُلّه أنزل الله سخطه وغضبه على أبرهةَ وجيشه ليكونوا عبرةً لكلٍّ من تُسَوِّلُ له نفسه أن يعتدى على بيت الله الحرام.

- **العنصر الثانى: للبيتِ ربٌّ يَحْميه.**

وهذه الكلمة قالها عبد المطلب بن هاشمٍ جدُّ رسول الله ﷺ لأبرهة - قائد أصحاب الفيل - الذى جاء لهدم الكعبة.

وقصة أصحاب الفيل كما جاءت فى الكتاب والسنةِ.

كان أبرهة الأشرم حاكم اليمن من قِبَلَ ملك الحبشة الذى أرسل جيشًا كثيفًا إلى اليمن، وكان أبرهة أحد الأمراء على هذا الجيش.

ولما صفا الحكم لأبرهة الأشرم بنى كنيسة بأرض اليمن لم يُبْنَ قبلها مثلها، سمتها العرب ((القليسُ)) لارتفاعها، ولأن الناظر إليها تكادُ تسقط قُلُنسُوته عن رأسه من ارتفاع بنائها.

وعزمَ أبرهةُ على أن يصرف حج العرب إليها فلا يحجون إلى الكعبة بمكة، ونادى بذلك فى مملكته فكرهت العرب ذلك، وغضبت قريش لذلك غضبًا شديدًا، حتى قصد كنيسته بعضهم ووصل إليها فدخلها ليلاً وأحدث فيها - أى: تغوط فيها - وكرَّ راجعًا من حيث أتى.

فلما علم أبرهة بذلك - وقيل له: إن الذى فعل ذلك بعض قريش - أقسم ليذهبن إلى بيت مكة ((الكعبة)) وليُخربنّه حجرًا حجرًا.

وسار بالفعل بجيش كثيفٍ يتقدمهم فيلٌ عظيمٌ لم يُر مثله، وقاتله فى طريقه إلى مكة قبائل العرب ولكنه تغلب عليها حتى وصل إلى مكان بالقرب من مكة فنزل به، ثم أرسل أبرهة بعض جنده، ودخلوا مكة واستولوا على مائتي بعيرٍ لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبيرُ قريشٍ وسيدها، فهمّت قريشٌ وكنانة وهُذيل ومن كان معهم فى الحرب بقتال أبرهة، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، لجيشه الكثيف الذى جاء به، فتركوا قتاله.

وبعث أبرهة أحد أعوانه إلى أهل مكة ليأتيه بسيدهم ليكلمه بشأن مجيئه، وأنه ما جاء لقتالهم وإنما جاء لهدم الكعبة فدلوه على عبد المطلب فجاء به إلى أبرهة، فلما دخل عليه هابه وأجلّه ونزل عن سريره وجلس على البساط بجانب عبد المطلب ثم قال لترجمانه: قل له: ما حاجتك وماذا تريد؟ فقال عبد المطلب: إن حاجتى أن يرّد علىَّ أبرهة مائتي بعير استولى عليها أعوانه. فقال أبرهة لترجمانه: قل له: لقد كنت أعجبتنى حين رأيتُك، ثم قد زهدتُ فيك حين كلمتني، أتُكلمُنى فى مائتي بعير استولينا عليها، ولا تُكلمنى فى بيت هو دينُك ودين آبائك جئتُ لأهدمه؟! فقال عبد المطلب: إنى أنا ربُّ الإبل وإنّ للبيت ربًّا سيحميه وسيمنعه منك قال: ما كان ليمتنع مني. قال عبد المطلب: أنت وذاك. فردّ أبرهة على عبد المطلب إبله ورجع عبد المطلب إلى قريش، فأمرهم بالخروج من مكة والتحصن فى

رؤوس الجبال؛ خوفًا عليهم من بطش الجيش بهم، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقةِ باب الكعبة وقام معه نفرٌ من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، ثم خرج هو وقريشٌ إلى الجبال.

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله الكبير وجيشه لدخول مكة، فلما وجهوا الفيل نحو مكة برك الفيل فضربوه ليقوم وينهض فأبى عليهم ذلك، ولما وجهوه إلى اليمن قام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك وكلما وجهوه إلى مكة برك، وتبع ذلك أن أرسل الله عليهم طيرًا أبابيل ترميهم بحجارةٍ فأهلكتهم.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) ﴾ - أى: ألم تعلم وتسمع ماذا فعل ربك بأصحاب الفيل الذين قدموا من اليمن والحبشة يريدون تخريب الكعبة. ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) ﴾ - أى: جعل كيدهم فى ضياعٍ وإبطال - ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) ﴾ - أى: متفرقة من هاهنا وهاهنا، يتبعُ بعضها بعضًا - ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) ﴾ - أى: من طين متحجرٍ، وهو طينٌ شديدُ القوة، كما قال تعالى: ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) ﴾ (الذاريات: ٣٢ - ٣٤)، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) ﴾ (هود: ٨٢). ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥) ﴾ - أى: كزرع أكلته الدواب فراثته، فيبس وتفرقت أجزاؤه، فشبه تقطع أوصالهم بما نزل بهم من العقاب، وتفرق آراب أبدانهم، بتفرقِ أجزاء الروثِ، الذى نتج عن أكل الزرع.

- العنصر الثالث: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝٢٥﴾

(غافر: ٢٥).

يكيدون لبيت الله ولدينه ولأوليائه، والله - عز وجل - يكيدُ بهم ويجعلُ كيدهم في تضليل، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝٢٥﴾، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝١٧﴾

(الطارق: ١٥-١٧).

وقال تعالى: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ۝٤٥﴾ (القلم: ٤٥)، وقال تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ۝٤٢﴾ (الطور: ٤٢)، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٨﴾ (الأنفال: ١٨).

★★ ومن الأمثلة على ذلك من كتاب الله:

١- قوم إبراهيم مع نبي الله إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝٥٣ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٥٤ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٦ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ۝٥٧ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۝٦١

قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا
فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ
فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا
فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الأنبياء: ٥١ ـ ٧٠).

٢ ـ فرعونُ مع نبي الله موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا
كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾
فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ
مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ
فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا
فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ
ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا
وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ
ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ
فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً
مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا
صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ
هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ (طه: ٥٦ ـ ٧٠).

٣- أبرهة وجيشه مع بيت الله الحرام. كاد أبرهة لبيت الله الحرام فبنى كنيسة بأرض اليمن ليصرف حج العرب إليها، ولم يكتف بذلك بل أرغم الناس على ذلك، ولم يكتف بذلك حتى جهز جيشًا كبيرًا وسار به من اليمن إلى مكة ليهدم بيت الله الحرام فردّ الله كيده فى نحره، وجعل كيده فى تضليلٍ، وأنزل عليهم سخطه وغضبه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢﴾ (الفيل: ١، ٢).

هكذا يكيدُ الله - سبحانه وتعالى - لمن كاد لبيته أو لدينه أو لأوليائه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝١٧﴾ (الطارق: ١٥-١٧).

- **العنصر الرابع**: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ (النمل: ٦٢).

الذى يجيبُ المضطر إذا دعاه ويكشف السوء هو الله وحده، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ (النمل: ٦٢).

والكفار يعلمون أنه لا يستجيب الدعاء ولا يكشف السوء إلا الله ولذلك إذا نزلت بهم شدةٌ دعوا الله مخلصين له الدين فإذا كشف عنهم ما نزل بهم رجعوا إلى كفرهم، وهذا ما فعله عبد المطلب ومن معه من كفار مكة فإنهم عندما علموا أن أبرهة قد جاء بجيشٍ كبيرٍ ليهدم الكعبة توجهوا إلى الله بالدعاء.

وأخبرنا الله - عز وجل - فى كتابه عن الكفار وكيف أنهم إذا نزلت بهم الشدة أو مسهم الضرّ لجأوا إلى الله وحده بالدعاء، فإذا كشف الله عنهم ما

نزل بهم نسوا ذلك، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (يونس: ٢٢، ٢٣).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ (الزمر: ٨).

قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (النمل: ٦٢)، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ (فاطر: ١٣- ١٤)، وقال تعالى: ﴿ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾

(الحج: ١٢، ١٣).

وإبراهيم عليه السلام قال لقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (الشعراء: ٧٢، ٧٣).

الذى يستجيب الدعاء هو الله وحده، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر: ٦٠).

والذى يكشف الضرّ هو الله وحده، قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ ﴾ (يونس: ١٠٧).

والذى ترجع الأمور كلها إليه هو الله وحده، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (هود: ١٢٣).

عبر ودروس هادية وفوائد إيمانية
من قصة أصحاب الفيل

أولاً- الجزاءُ من جنس العمل.

لله في خلقه سننٌ لا تتبدل ولا تتحول ولا تتغير، قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣) ﴾ (فاطر: ٤٣).

ومن هذه السنن: الجزاء من جنس العمل.

قال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس: ٢٦).

وقال تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ (محمد: ٧).

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧) ﴾ (سبأ: ١٧).

وقال ﷺ: ((احفظ الله يحفظك))[1].

ومن الأمثلة على أن الجزاء من جنس العمل في عقاب المجرمين.

١- أبرهة اللعين قائد أصحاب الفيل.

---

(١) صحيح: جزء من حديث، أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/٢٩٣)، ((صحيح الجامع)) (٧٩٥٧).

بنى أبرهة الأشرم الحبشى كنيسةً بأرض اليمن ليصرف حج العرب إليها وأمر بذلك ونادى فى مملكته بذلك، فكيف كان جزاؤه من جنس عمله، لقد صرف الله الناس عن تلك الكنيسة وأهانها .

وجيش أبرهة لما خرج بعدده و عدته يتقدمه فيل عظيم هو من أقوى الحيوانات سلط الله عليه أضعف المخلوقات، قال تعالى :﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ (الفيل: ٣ ـ ٥).

خرج أبرهة بجيشه الكثيف يتقدمه فيلٌ لم ير مثله ليُخرب الكعبة حجرًا حجرًا ، فكان جزاؤه من جنس عمله.

لما أراد أبرهة هدم الكعبة حجرًا حجرًا عاقبه الله بأن جعل جسده يتساقط أُنملةً أُنملةً .

ولما أراد تصديع الكعبة انصدع صدره عن قلبه.

ولما خرج متكبرًا ظالمًا مغترًّا بقوته يريد مكة، عاد ذليلاً ضعيفًا كفرخ الطائر؛ والجزاء من جنس العمل.

ولما أراد أبرهة وجيشه أن يهدموا الكعبة وتتابعوا عليها من كل مكان، عاقبهم الله بأن عذبهم بالحجارة التى أتتهم من كل مكان؛ قال تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ (الفيل: ١ ـ ٥).

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الزمر: ٦٠)، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (هود: ١٨).

رسولنا محمد ﷺ هو رسول الله حقًا وصدقًا، وهو الذى جاء بالصدق وصدق به، أما مسيلمة فقد كذب على الله وعلى رسوله وعلى الناس فكان الجزاء من جنس العمل، فلا يقالُ ((محمدٌ)) إلا ومعها ((رسولُ الله ﷺ)). ولا يقالُ ((مسيلمة)) إلا ومعها ((الكذاب))؛ فالجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحدًا.

٢- الكفارُ الذين يسخرون ويستهزءون ويضحكون من المؤمنين فى هذه الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (المطففين: ٢٩-٣٣).

فكان الجزاء لهم عند الله من جنس عملهم، قال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (المطففين: ٣٤-٣٦).

٣- فرعونُ - لعنهُ الله - الذى علا فى الأرض وأفسدَ فيها، وذبَّح الأبناءَ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ (القصص: ٤).

وقال لقومه: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ (النازعات: ٢٤)، وقال لهم أيضًا: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ (القصص: ٣٨)، وقال لهم: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ (الزخرف: ٥١).

فعاقب الله ﷻ فرعون بعقاب من جنس عمله، فأذله وأغرقه في الأنهار التي اعتز بها، وجعله عبرةً لمن يعتبر.

قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ (القصص: ٤٠)، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾

(يونس: ٩٠-٩٢).

٤- قارون:

قارون بغى على قومه وتكبر في الأرض بكثرة ماله. قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ (القصص: ٧٦) لقد كان السبب في هذا البغي هو المال، كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ (القصص: ٧٦).

عاقبهُ الله بعقاب من جنس عمله: لقد خسف الله عز وجل به وبماله الأرض التي تكبر عليها، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾

(القصص: ٨١).

٥- قوم لوط الذين انقلبت فطرتهم:

إن من الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها: أن يأتى الرجالُ النساء شهوةً بنكاح شرعي، ولكن قوم لوطٍ انقلبت فطرتهم فكانوا يأتون الرجال شهوةً من دون النساء.

قال تعالى فى وصفهم: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (العنكبوت: ٢٨، ٢٩).

وقال تعالى - أيضًا- فى وصفهم: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (النمل: ٥٤، ٥٥).

إن قوم لوطٍ لما انقلبت فطرتهم عذبهم الله بأن قلب عليهم الأرض وجعل عاليها سافلها.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ (هود: ٨٢، ٨٣)؛ فالجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحدًا.

ثانيًا- على العاقل أن يتعظ بمصارع المجرمين العصاة من قبله ومن حوله.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ ﴾ (الفيل: ١)، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ ﴾ (الفجر: ٦)، و قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (الأنعام: ١١).

و قال تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤) فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٤٧) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٨) ﴾ (الحج: ٤٢ – ٤٨).

ثالثًا- عاقبة الظلم وخيمةٌ فى الدنيا والآخرة.

وهذا يؤخذُ من قصة أصحاب الفيل مما حل بهم من العقاب، فقد خرج أبرهة بجيشه الكثيف يتقدمه فيلٌ عظيم لم يُرَ مثلهُ، ظالمًا باغيًا، يريد هدم الكعبة ظلمًا وعدوانًا فأمهله الله ﷻ حتى وصل بالقرب من مكة فأنزل عليه سخطه.

يقول ﷺ: ((إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)) ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)﴾

(هود: ١٠٢)[1].

★★الظلمُ سببٌ للهلاك والعذاب فى الدنيا.

قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا (٥٩) ﴾ (الكهف: ٥٩).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (القصص: ٥٩).

وقال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ (الأنعام: ٤٥).

وقال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (العنكبوت: ٤٠).

★★أما فى الآخرة فالظلم سببٌ للندم والحسرة والعذاب الأليم فى نار جهنم.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفرقان: ٢٧-٢٩)، وقال تعالى: ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الصافات: ٢٢-٢٤)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الكهف: ٢٩).



موضوعات المجلد الثاني

١- موائد السماء:

(أ) **مائدة بني إسرائيل:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ (البقرة: ٦١)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ (البقرة: ٥٧)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾﴾ (طه: ٨٠)، وقال تعالى ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ (الأعراف: ١٦٠)

(ب) **مائدة السماء إلى مريم:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ

عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (آل عمران: ٣٥ – ٣٧).

(جـ) مائدة الحواريين: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ (المائدة: ١١٢ – ١١٥).

٢- **الذين خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ (البقرة: ٢٤٣).

٣- **الملأ من بني إسرائيل:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ

ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى
مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ
مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ
ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن
شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُوا۟
مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا
ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ
قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟
لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا
عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ
وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ
بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾ (البقرة: ٢٤٦ – ٢٥٢).

٤- **النمروذ** : قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ
ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ
فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا
يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

٥- **قصة الميت الحي:** قال تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) ﴾ (البقرة: ٢٥٩).

٦- **ثعلبة بن حاطب:** قال تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٧٨) ﴾ (التوبة: ٧٥ – ٧٨).

٧- **الثلاثة الذين خُلِّفوا:** قال تعالى: ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠٦) ﴾ (التوبة: ١٠٦)، وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨) ﴾ (التوبة: ١١٨).

٨- **المائدة الخبيثة:** قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي

لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (يوسف: ٣٠ – ٣٢).

٩- **أصحاب الأيكة:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الحجر: ٧٨)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (الشعراء: ١٧٦)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ (ص: ١٣)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ (ق: ١٤)

١٠- **موسى عليه السلام مع العبد الصالح:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا

فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا
فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ
عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾
أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ
كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا
وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ
فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ
رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ
تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ (الكهف: ٦٠ ـ ٨٢).

١١ - **عجل بني إسرائيل والسامري:** قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ
﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ
بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ
يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن
رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ
ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ
إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا
نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي
وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ
إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ
إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ

يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ
فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ
عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴿٩٨﴾ ﴾ (طه: ٨٣ – ٩٨).

١٢- **أصحاب الرس:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا
﴿٣٨﴾ وَكُلّٗا ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَۖ وَكُلّٗا تَبَّرۡنَا تَتۡبِيرٗا ﴿٣٩﴾ ﴾ (الفرقان: ٣٨ ، ٣٩)
وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ ﴾ (ق: ١٢).

١٣- **نملة سليمان عليه السلام:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ
وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ
ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ
وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾
(النمل: ١٧ – ١٩).

١٤- **الهدهد سفير سليمان عليه السلام:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ
لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ
لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ
تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۢ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ
مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ

ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾
أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا
تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ
أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ
فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (النمل: ٢٠ – ٢٨)، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ
ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ
إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ
ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ
إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا
نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ
ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ (سبأ: ٢٢ – ٢٦).

١٥- **امرأتان في مدين:** قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ
ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي
حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ
إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ
أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا
تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ
ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن
تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ

سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (القصص: ٢٣ – ٢٨).

١٦– **كبش الفداء:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الصافات: ١٠١ – ١٠٧).

١٧– **الخصمان فى محراب داود عليه السلام:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (ص: ٢١ – ٢٦).

١٨– **قوم تبع:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ أَهْلَكْنَٰهُمْۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الدخان: ٣٧)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ (ق: ١٢ – ١٤).

١٩- **المجادلة:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى
ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا
هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ
وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن
قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ (المجادلة: ١ - ٤).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذى أعاننى على جمع وترتيب القصص من غير الأنبياء فى كتاب الله (القرآن الكريم) ورسالته الخاتمة للإنسان ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ (القصص: ٧٠). ونتقدم بهذه الدراسة القرآنية حول أضواء قرآنية فى أهمية القصص القرآنى (عبر وعظات ودروس وفوائد إيمانية).

وإن هناك قصصًا تميزت برؤية قرآنية من معرفة **نور الحق**، وفى الكلام على قوله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥)، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ (المائدة: ١٥)، فالنور من الله، وهو مصدر هداية ونفع للإنسان، ومنه نُفِخَت الروح فى الإنسان، فالله الخالق الهادى سبحانه هو نور السماوات والأرض، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ (إبراهيم: ١)، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ (الأعراف: ٥٣)، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (التوبة: ٣٣).

وفى **العدل** على قوله سبحانه: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ (النساء: ٥٨)، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ

شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (المائدة: ٨).

وفى **الهدى**، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (البقرة: ٤، ٥).

وفى **الصلاح**، قال تعالى: ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (النساء: ١١٤).

وفى **الإحسان**، قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (البقرة: ١١٢)، وقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

وفى **التقوى**، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ (البقرة: ١٩٧).

وفى **التراحم**، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾ ﴾ (الأنفال: ٧٥).

وفى **الإخاء**، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ ﴾ (الحجرات: ١٠).

وفى **عدم الإسراف والفساد**، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ (الفرقان: ٦٧).

ويُبَيَّن هذا المعنى فى القَصَص :

- أصحاب الكهف.
- لقمان.
- ذى القرنين.
- مؤمن آل فرعون.

يقـــــول سبحـــــانه وتعـــالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (المجادلة: ٢٢).

وبعض القصص القرآنى تعالج **الإسراف**، فى الكلام على قوله: ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (الشعراء: ١٥١، ١٥٢)، وقال تعالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الأعراف: ٣١).

وفـى **الفســاد**، قـال تـعـالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (البقرة: ١١، ١٢)، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ (البقرة: ٢٠٥).

وفى **الضلال**، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (البقرة: ١٦ – ١٨).

وفى **الفحشاء**، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ (الأعراف: ٣٣)، وإبليس الشيطان الشرير النار المدمرة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ (النور: ٢١). وقال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (الأنعام: ١٥١).

وفى **الخطيئة**، قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (البقرة: ٨١)، وقال تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الجاثية: ٣٣)، وقال سبحانه: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (العنكبوت: ٤).

وفى **الظلم**، قال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ ﴾ (النساء: ١٦٠)، وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (الكهف: ٥٩)، وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ (غافر: ١٨).

وفى **الهوى والشهوات**، قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ (آل عمران: ١٤)، وقال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (الفرقان: ٤٣).

وفى **الفجور**، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾

(نوح: ٢٦، ٢٧).

وفى **الاستكبار**، قال تعالى: ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾ (نوح: ٧)، وقال تعالى: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (النحل: ٢٢).

ويبين هذا المعنى فى القصص:

- عالم السوء.
- قارون.
- أصحاب السبت.
- أصحاب القرية.
- أصحاب الجنة.

يقـول سـبحانه وتعـالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ (المجادلة: ١٩).

وأثر القصة على من يُعايشها أو يقرأها أو يسمع بها، فهى تؤثر فى النفس والقلب أعظم الأثر، وقصص القرآن الكريم لا مثيل لها فى قوة التأثير، فأسأل الله أن يكون ما جمعته فيه دروس وعبر وفوائد إيمانية حتى تكون بركة فى عقولنا وقلوبنا وحياتنا وعلاقاتنا وخير للإسلام والمسلمين وأن يجعل ذلك فى ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا وارزقنا علمًا نافعًا.

أسأل الله أن يكون هدفى رضاه ورجاء ثوابه والفوز بالجنة والنجاة من النَّار، وأسأل الله أن يكون ما جمعته ونقلته من كتب التفاسير صحيحًا، وأسأل الله ألاَّ أكون وقعت فى خطأ من حيث لا أدري، وأسأل الله أن ينفع بهذا كل من يقرأه، حامدين شاكرين له فضله وإنعامه وتوفيقه. وهناك بعض القصص القرآنى من غير الأنبياء لم نتحدث عنها فى هذه الدراسة، وتحدثنا عنها فى إشارات قرآنية سريعة.

وأسأل الله أن يحقق لنا هدفًا عظيمًا هو الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن، وأسأل الله أن يجعلنا من الصالحين، الهداة المهتدين وأن يرزقنا الشهادة فى سبيل الله، وأن نلقى الله عز وجل وهو راضٍ عنَّا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم إني كتبت ما كتبت، فإن كان صحيحًا فهذا من فضلك عليّ، وما كان من خطأ فمنّي ومن الشيطان، والمرء غير معصوم، والتقصير في الإنسان غير معدوم؛ فالكمال محال لغير ذي الجلال، ورحم الله امرأً صحح لي خطأ ودلني عليه ابتغاء وجه الله، فله من الله أحسن الجزاء، ختامًا أتوجه بالدعاء إلى الله أن يغفر خطيئتي ويتجاوز عن زلتي، ويجعلني في خدمة دينه وعباده، وما توفيقي إلا بالله.

الفقير إلى الله تعالى

محمد محمود حماد

الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٣٥٧ لسنة ٢٠١١

الترقيم الدولى ٩٧٧/١٧/١٢٧٤/٣

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٣٩٢٦٧ س ٢٠١٠ - ١٠٠٠


Bibliotheca Alexandrina
1112903